



امثلة من روائع الفن الاسلامي
(منقولة عن الطبعة الاخيرة من دائرة المعارف البريطانية)

مقالة مآثر الحضارة العربية

مقتطف نوفمبر ١٩٣٢

المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

الجزء الرابع من المجلد الحادي والثمانين

٢ رجب سنة ١٣٥١

١ نوفمبر سنة ١٩٣٢

تشية الحيوانات وتصيفها

غرائب الطبيعة وعجائب المخلوقات

لا يخفى ان بعض الحيوانات كالادباب والخفافيش والسلاحف والارانب وغيرها تستكن في الشتاء فتدخل مكاناً تأوي اليه وتبقى فيه زمناً لا تأكل ولا تشرب ولا تتحرك فاذا جاء الربيع خرجت من مشتها سعيّاً وراء رزقها . فهذا السكون في الشتاء يسميه علماء الطبيعة (Hibernation) ومعناه بالعبية التشية من قولهم شتّى في المكان اي اقام فيه شتاءً وبعض الحيوانات يكمن في الصيف كالخلازين والضفادع وبعض الاممك في البلاد الحارة وهو ما يسميه الافرنج (Aestivation) اي التصيف من صيّف في المكان اي اقام فيه صيفاً . وقد كانت التشية معروفة عند العرب اشار اليها الجاحظ في كتاب الحيوان حيث قال « وجميع الحشرات والاحناش والعقارب وهذه الذبابات التي تعض وتلسع تكمن في الشتاء الا النمل والذر والنحل فانها قد ادّخرت ما يكفيها وليست كغيرها مما تثبت حياته مع ترك الطعم » . وقال الدميري في وصف الضب « ومن شأنه في الشتاء ان لا يخرج من جحره وقد اشار الى ذلك امية بن ابي الصلت في قوله يباري الريح تكرومة ومجداً اذا ما الضب اجحره الشتاء »

أي إذا جاء الشتاء فلزم جحره . وقال في وصف الدب وهو « يحب العزلة فاذا جاء الشتاء دخل وجاره الذي اتخذهُ في الغيران ولا يخرج حتى يطيب الهواء ... »
والحيوانات التي تشي أو تصيف كثيرة جداً منها الخفافيش أي الوطايط فلها إذا جاء

الشتاء اوت كهفاً او جوف شجرة وتعلقت بمخالبها وادلت رؤوسها والتصقت بعضها ببعض وبقيت على ذلك الشتاء بطوله لا تتحرك مطلقاً وإذا نهت قليلاً اخذت تنفس رويداً رويداً ثم عادت إلى ما كانت عليه من السكون فاذا جاء الربيع خرجت من مكمنها وعادت إلى الحركة والطيران ومنها الادياب فأنها تشتي في اكثر الاماكن الباردة تدخل كهفاً فيسقط الثلج ويغطيها وهي داخل الكهف نائمة لا تأكل ولا تشرب وقيل إن أنثى تلد وترضع صغارها وهي في داخل الكهف ولا تغذي بشيء مطلقاً فاذا جاء الربيع خرجت من مشتها سمينة قوية كأن الصيام لم يؤثر فيها. على إن بعض الحيوانات كالرموط وسنحاج الارض يخرج من مشتها هزبلاً ضعيف القوى ومنها القنفذ المعروف في الشام بكبابة الشوك فإنه يدخل ثقباً في صخر او تحت جذور شجرة ويبقى زمناً لا يأكل ولا يتحرك . والزغبة وهي التي يسميها الانكليز (Dormouse) اي الفأرة النومة تقيم شتاء في عش طائر او تبني لها بيتاً من الطحلب او الريش وتكن فيه عدة اشهر نائمة لا تتحرك. والارنب تندس تحت الثلج فيغطيها وتبقى كذلك عدة اشهر لا يصيبها مكروهاً وهذا السكون في زمن الشتاء او زمن الصيف ليس مقتصراً على الحيوانات اللبونة اي التي ترضع صغارها بل زاه في كثير غيرها من الحيوانات البرية والبحرية كالزحافات والاسماك لكنه غير معروف في الطيور . فالسلاحفة البرية تكن زمناً في حفرة من الارض والسلاحفة النهرية تغوص في الطين على شواطئ البحيرات والانهار . والضفادع تفعل ذلك ايضاً في بعض الاماكن واحياناً يحف الطين في زمن القيظ فتبقى عدة اشهر في الطين الجاف على عمق عشرين قدماً او اكثر لا تغذي بشيء ولا تنفس ثم إذا جاء الشتاء خرجت من مكمنها . اخبرنا بعضهم انه كان يحفر بئراً في السودان في مكان تجتمع فيه المياه في زمن المطر فحفر الى عمق ٤٢ قدماً ولم يجد ماء ولكنه وجد ضفادع كثيرة على عمق ٢٠ قدماً إلى ٣٠ قدماً . والسماك الرئوي يصيف اشهر في زمن الجفاف فإنه يغوص في الطين ويحف الطين حوله ويبقى في الطين الجاف إلى ان يأتي المطر وتفيض المياه وتملأ الخيران فيخرج من مكمنه ويعوم في الماء واكبر الحلازين البرية تبقى زمناً طويلاً في الصيف بلا تغذية فالبزاق وهو نوع منها يختبئ في حفرة او نقرة ويجعل لقووه بوقه غطاءً فيه ثقب صغير يتنفس منه ويبقى كذلك الصيف كله إلى ان يقع المطر . والغطاء مصنوع من مادة يفرزها من فمها الغاية منه منع التبخر فتبقى الرطوبة في جسمه زمناً طويلاً ومتى شتئ البراق او صيف لا يأكل شيئاً لذلك يقول العامة انه صائم والقراش والعت وغيرهما من الحشرات والهوام تكن في الشتاء وبعضها يكمن زمناً طويلاً جداً قبل ان يصير حيواناً كاملاً كبعض انواع زيز الحصاد فإنه يبقى بضع عشرة سنة تحت الارض وهو دمعوص قبل ان يصير حيواناً كاملاً . اما النحل فكما قال الجاحظ لا يكن في الشتاء بل على ضد ذلك فإنه يحتاج إلى مقدار كبير من الغذاء في الاشهر الباردة وبقاؤه في الخلايا

لا يعد تشئية بالمعنى الذي يفهمه علماء الطبيعة لان الحيوانات التي تشئي لا تتناول غذاءً مطلقاً في زمن التشئية او انها تأكل حيناً بعد آخر كالرموط لكن ذلك ليس تشئية بالمعنى الحقيقي ومتى تشئ حيوان او صيغف ضعفت فيه كل القوى الحيوية وانخفضت حرارته كثيراً وقد تصل الى درجة من الانخفاض لا تزيد كثيراً عن حرارة ما يجاوره من الاجسام . وبعض الحيوانات التي تشئي تهبي في آخر الصيف مقداراً من الطعام تدخره الى زمن الشتاء لكن ذلك لا يكون تشئية بالمعنى الحقيقي فانه يراد بالتشئية ادخار الدهن او الشحم في الجسم قبل الزمن الذي يستكن فيه الحيوان فتى استكن نام نوماً طويلاً لا يتناول فيه طعاماً ما بل يستعص عن ذلك بالاغتذاء بما ادخره من الدهن في جسمه فاذا كان بهيمة اي من اكلة البقول صار في تشتيته مبعاً او لاحقاً اي من اكلة اللحوم لأن غذاءه يكون من لحمه فيحدث فيه بعض التغيير الفسيولوجي وتتغير الفضول التي يفرزها تغيراً يذكر وتصير مثل فضول السباع في تركيبها الكيماوي

والمشهور ان التشئية في الحيوان سببها البرد لكننا اذا انعمنا النظر وجدنا ان البرد وحده ليس كافياً لذلك فان اكثر الباحثين قد وجدوا ان عرض الحيوانات للبرد الشديد في الصيف لا يجعلها تشئي . والتجارب التي من هذا القبيل متناقضة على ان اكثرها يثبت ما ذكر . ولا ريب ان قلة الغذاء قد تكون سبباً من اسباب التشئية فان الحيوانات التي تشئي اذا كثر الطعام عندها نؤخر الزمن الذي تشئي فيه عادة لكن ذلك ليس مطرداً فان بعضها يشئي رغماً عن كثرة الطعام لديه وما يحسن ذكره تأثير قلة الطعام في الانسان كما يحدث لفلاحى روسيا في سني الجذب فانهم اذا راوا ان غلاتهم لا تكفيهم الى آخر الشتاء احتاطوا لذلك وانقصوا طعامهم اليومي ولكي لا تخور قواهم قبل انتهاء الشتاء ناموا نوماً طويلاً فوق مواقعهم فلا يتحرك الواحد منهم ولا يقوم من فراشه الا لايقاد النار واكل كسرة من الخبز وشرب قليل من الماء ثم يعود الى فراشه وينام فان السكون والنوم الطويل يقللان انحلال الجسم والمقدار اللازم من الطعام لتغذيته والى القارىء بعض الظواهر الفسيولوجية في الحيوانات الببونة متى كمنت شتاءً

التنفس . يقل التنفس كثيراً ويسير سيراً غير منتظم ثم تقف عضلات التنفس وقوفاً تاماً ولا يعود الصدر يتحرك فيبقى التنفس قائماً بحركة القلب فقط فاذا انقبض دخل الهواء الى الرئتين واذا انبسط خرج منهما . فازغبة مثلاً متى كانت مشئية تراها تتنفس تنفساً قليلاً ثم يقف نفسها تماماً نحو عشر دقائق ثم تعود الى التنفس وهلم جراً . وهي تتنفس عادة ثمانين مرة او اكثر في الدقيقة . ومن الغريب ان بعض هذه الحيوانات كالرموط والخفاش اذا وضعا وهما في حالة التشئية في صندوق فيه مقدار كبير من الحامض الكربونيك لا يصبهما سوء واذا وضع عصفور او جرذ في الصندوق نفسه مات حالاً مما يدل على ان الحيوانات متى كانت مشئية

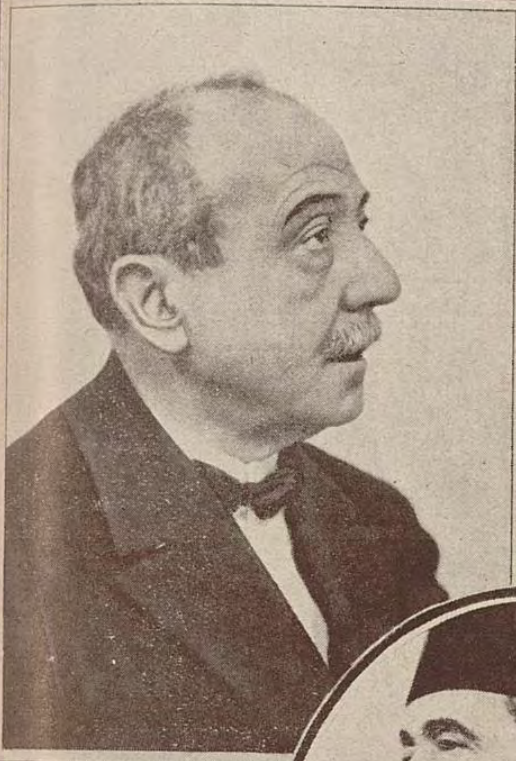
لا تتناول إلا مقداراً يسيراً جداً من الأكسجين لشدة انخفاض القوى الحيوية فيها والسبب نفسه لا ينبعث منها إلا مقدار قليل جداً من الحامض الكربونيك
الدورة الدموية . تضعف ضربات القلب كثيراً وينقص عددها في الخفاش والزغبة ينقص من مائة ضربة في الدقيقة الى ١٤ او ١٦ ضربة فقط . وقد خُص الدم الوريدي في الحيوانات المشتية فكان شريانياً اي احمر قانئاً . على ان بعض الباحثين وجدوا الدم في الاوعية وريدياً اي ارجواني اللون

الهضم . يختلف الهضم باختلاف عادات الحيوان فالزغبة والمرموط وغيرهما من الحيوانات التي تشتي تدخر طعامها في اواخر الصيف فاذا اقبل الشتاء وكنت استيقظت حيناً بعد آخر واكلت قليلاً فلا بد اذا ان اعضاء الهضم فيها تعمل بعض العمل احياناً . وبعضها كالذب الاسود لا يأكل مطلقاً وهو مشتبّر فيقف الهضم فيه وقوفاً تاماً

والسكبد شأن كبير في زمن التشتية فتكون مخزناً يخزن فيه ما يسميه الفسيولوجيون بالغلو كوجين اي مولد السكر وهو مادة مصدرها المواد النشائية فتحولها السكبد الى سكر تفرغه في الاوعية الدموية فيسير مع الدم الى الانسجة فتغذي به مثلها تغذي به في اليقظة ايضاً الجهاز العصبي والحرارة . يضعف تنبه الاعصاب كثيراً في الحيوانات المشتية لكنها تصير من هذا القبيل شبيهة بالحيوانات الباردة الدم^(١) كالضفادع اي ان التنبه العصبي يبق في عضلاتها مدة طويلة بعد فصلها عن الجسم . وتفقد الحيوانات الحارة الدم قوة ضبط حرارتها فتصير مثل الحيوانات الباردة الدم اي عوضاً عن ان تكون حرارتها منتظمة وعلى معدل واحد تصير مثل حرارة ماحولها فترتفع او تنخفض بارتفاع هذه الحرارة وانخفاضها ومتى اوقظت رفعت حرارتها حالاً الى حالتها المعتادة

المناعة . وجد بعضهم ان الحيوانات المشتية تقاوم الامراض المعدية اشد المقاومة وان مدة الحضانة تطول فيها ووجد آخرون ان بعضها يكون موقى من الامراض المسكروبية متى كان مشتبراً الخلاصة ان التشتية تكون بعض الحيوانات سكروناً تاماً تقف فيه اعمال اكثر الاعضاء حتى لقد قال بعضهم ان التنفس يقف وقوفاً تاماً في التشتية الحقيقية لكن هذا القول مشكوك فيه . وهي تتدرج من النوم الطبيعي حيث تقف اعمال بعض الاعضاء الى التشتية الحقيقية حيث تكون ظواهر الحياة في ادنى درجة من الضعف . ويظن ان السبات الذي يقع فيه دراويش الهند نوع من انواع التشتية . والتشتية لازمة لهذه الحيوانات ولولاها لا انقرضت عن وجه الارض

(١) يراد بالحيوانات الباردة الدم الضفادع والسلاحف والعطاء وما اشبه وحرارتها بين الصفر والتسعين من مقياس فارنهایت وقلما ترتفع عن حرارة ما يحيط بها اما الحيوانات الحارة الدم كالانسان والطيور وما اشبه فتكون حرارتها اكثر من ذلك ولا تتغير بتغير الحرارة التي حولها بل تبقى على معدل واحد



توفاه الله في فجر

١٤ أكتوبر ١٩٣٢

فقيه الشعر العربي

أحمد شوقي بك

امام صفحة ٣٨٥

عن اللطائف المصورة

شوقي

مصطفى صادق الرافعي

هذا هو الرجل الذي يُخَيَّلُ اليَّ أنَّ مصر اختارته دون أهلها جميعاً لتضع فيه رُوحها المتكلم ، فأوجبت له ما لم توجب لغيره وأعانتُه بما لم يتفق لسواه ووهبتُه من القدرة والتمكين وأسباب الرياسة وخصائصها على قدر أُمَّة تريد أن تكون شاعرة لا على قدر رجل في نفسه ، وبه وحده استطاعت مصر أن تقول للتاريخ : شعري وأدبي

شوقي . هذا هو الاسم الذي كان في الأدب كالشمس من المشرق متى طلعت في موضع فقد طلعت في كل موضع ، ومتى ذُكر في بلد من بلاد العالم العربي اتسع معنى اسمه فدلَّ على مصر كلها كأنما قيل النيل أو الهرم أو القاهرة . مترادفات لا في وضع اللغة ولكن في جلال اللغة

رجل عاش حتى تمَّ وذلك برهان التاريخ على اصطفائه لمصر ودليلُ العبقرية على أن فيه السرَّ المتحرك الذي لا يقف ولا يكل ولا يقطع نظام عمله كأن فيه حاسَّة نحلة في حديقة . ويكبر شعره كلما كبر الزمن فلم يتخلف عن دهره ولم يقع دون أبعد غاياته ، وكأنه مع الدهر على سياق واحد وكأن شعره تاريخ من الكلام يتطور أطواره في النمو فلم يجمد ولم يرتكس ، وبقي خيال صاحبه الى آخر عمره في تدير السماء كعمر أض النجمة سحابة كثير البرق تمتلئ بمطر ينصب من ناحية ويمتلئ من ناحية

والناس يُكتب عليهم الشباب والكهولة والهرم ولكن الاديب الحق يُكتب عليه شباب وكهولة وشباب ، إذ كانت في قلبه الغايات الحية الشاعرة ما تنفك يلد بعضها بعضاً الى ما لا انقطاع له فانها ليست من حياة الشاعر التي خلقت في قلبه ولكنها من حياة المعاني في هذا القلب

اقر هذا في شوقي رحمه الله وأنا من أعرف الناس بعيوبه وأما كن الغمزة في أدبه وشعره ، ولكن هذا الرجل انفلست من تاريخ الأدب لمصر وحدها كاتفلت المطرة من سحابها المتسار في الجو فأصبحت مصر به سيدة العالم العربي في الشعر وهي لم تذكر قديماً في الأدب إلا بالنسكة والرقعة وصناعات بديعية ملفقة ولم يستغنى لها ذكر بنابغة ولا عبقر

وكانت كالمستجدية من تاريخ الحواضر في العالم حتى ان أبا محمد الملقب بولي الدولة صاحب ديوان الانشاء في مصر للظاهر بن المستنصر (وقد توفي سنة ٤٣١ هـ) وكان رزقه ثلاثة آلاف دينار في السنة غير رسوم يستوفى عليها على كل ما يكتبه — سلم لرسول التجار الى مصر من بغداد جزءين من شعره ورسائله يحملهما إلى بغداد ليعرضهما على الشريف المرتضى وغيره من أدبائها فيستشيرهم في تخليد هذا الادب المصري بدار العلم ان استجادوه وارتضوه . كأن حفظ ديوان من شعر مصر ونثرها في مكتبة بغداد قديماً يشبه في حوادث دهرنا استقلال مصر وقبولها في عصابة الامم....

وهذا أحمد بن علي الاسواني امام من أئمة الأدب في مصر توفي سنة ٥٦٢ هـ) وكان كاتباً شاعراً يجمع الى علوم الادب الفقه والمنطق والهندسة والطب والموسيقى والفلك — أراد أن يدون شعر المصريين فجمع من شعرهم (وشعر من طراً عليهم) اربع مجلدات كأن الشعر المصري وحده الى آخر القرن السادس للهجرة في العهد الذي لم يكن ضاع فيه شيء من الكتب والدواوين لا يملأ اربع مجلدات ٠٠٠ على اختلافهم في مقدار المجلدة فقد تكون جزءاً لطيف الحجم والاسواني نفسه يبلغ ديوانه نحو مئة ورقة

واخوه الحسن المعروف بالمهذب الاسواني المتوفى سنة ٥٦١ قال العماد الكاتب انه لم يكن بمصر في زمنه أشعر منه وسارت له في الناس قصيدة سموها النواحة وصف فيها حنينه الى اخيه وقد رحل الى مكة وطالت غيبته بها وخيف عليه . فالرجل اشعر اهل مصر في زمنه وحادثه النواحة تجعله في هذا المعنى اشعر من نفسه على أنه مع هذا لم يقل الا من هذا :

ياربُّ أين زى الأُحبة يَمِّموا هل أنجدوا من بعدنا ام أهَمُّوا
رحلوا وفي القلب المعنى بعدهم وجدُّ على مرَّ الزمان مخيِّمٌ
وتعوَّضتْ بالانس نفسي وحشة لا أوحش الله المنازل منهم

ولولا ابن الفارض والبهاء زهير وابن قلاص الاسكندري وامثالهم وكلهم اصحاب دواوين صغيرة وليس في شعرهم الا طابع النيل اي الرقة والحلاوة ، لولا هؤلاء في المتقدمين لاجد تاريخ الشعر في مصر . ولولا البارودي وصبري وحافظ في المتأخرين وكلهم كذلك اصحاب دواوين صغيرة لما ذكرت مصر بشعرها في العالم العربي . على ان كل هؤلاء وكل أولئك لم يستطيعوا ان يضعوا تاج الشعر على مفروق مصر ووضعه شوقي وحده

والعجب ان دواوين المجيدين من شعراء المصريين لا تكون الا صغيرة كأن طبيعة النيل تأخذ في المعاني كأخذها في المادة فلا فيض ولا خصب الا في وقت بعد اوقات وفي ثلاثة اشهر من كل اثني عشر شهراً . ومن جمال الفراشة ان تكون صغيرة وحسبها عند نفسها ان اجنحتها منقطة بالذهب وأنها هي نكتة من بديع الطبيعة

على انك واجدٌ في تاريخ الادب المصري عجيبة من عجائب الدنيا لا تذكر معها الاياداة ولا الانيادة ولا الشاهنامة ولا غيرها ولكنها عجيبة ملائمتها روح الصحراء ان كانت تلك الدواوين الصغيرة من روح النيل، وهي قصيدة نظمها ابو رجاء الاسواني المتوفى سنة ٣٣٥ هـ وكان شاعراً فقيهاً اديباً عالماً كما قالوا، وزعموا انه اقتصر في نظمه أخبار العالم وقصص الانبياء واحداً بعد واحد . قالوا وسئل قبل موته كم بلغت قصيدتك فقال ثلاثين ومائة الف بيت.... وما أشك ان هذا الرجل وقع له تاريخ الطبري وكتب السير وقصص الاسرائيليات فنظمها متوناً متوناً.... وافنى عمره في ١٣٠ الف بيت حولها التاريخ الى خبر مهمل في ثلاثة اسطر

كل شاعر مصري هو عندي جزء من جزء ولكن شوقي جزء من كل ، والفرق بين الجزءين أن الاخير في قوته وعظمته وتمكنه واتساع شعره جزء عظيم كأنه بنفسه الكل . ولم يترك شاعر في مصر قديماً وحديثاً ما ترك شوقي وقد اجتمع له ما لم يجتمع لسواه وذلك من الادلة على انه هو المختار لبلاده فساوى الممتازين من شعراء دهره وارتفع عليهم بامور كثيرة هي رزق تاريخه من القوة المدبرة التي لا حيلة لاحد أن يأخذ منها ما لا تعطي او يزيد ما تنقص او ينقص ما يزيد . وقد حاولوا اسقاط شوقي مراراً فأراهم غباره ومضى متقدماً ورجع من رجع منهم ليغسل عينيه.... ويرى بها ان شوقي من النفس المصرية بمنزلة المجد المكتوب لها في التاريخ بحرب ونصر وما هو بمنزلة شاعر وشعره

ولد شاعرنا سنة ١٨٦٨ في نعمة الخديوي اسماعيل باشا ونثر له الخديوي الذهب وهو رضيع في قصة ذكرها شوقي في مقدمة ديوانه القديم ثم كفله الخديوي توفيق باشا وعلمه واثق عليه من سعة وأزل نفسه منه منزلة اب غني كما يقول شوقي في مقدمته ثم تولاه الخديوي عباس باشا وجعله شاعره وتركه يقول

شاعرُ العزيز وما بالليل ذا اللقبُ

واذا انت فسرت لقب شاعر الامير هذا بالامير نفسه في ذلك العهد خرج لك من التفسير شاعر مُرْهَفٌ مُعَبَّنٌ بأسباب كثيرة ليكون أداة سياسية في الشعب المصري تعمل لاحياء التاريخ في النفس المصرية وتبصيرها بعظمتها واقحامها في معارك زمنها وتهيئتها للمدافعة ، وتصل الشعر بالسياسة الدينية التي توجهت لها الخلافة يومئذ لتضرب فكرة اوروبا في تقسيم الدولة بفكرة الجامعة الاسلامية . ولا يخرج لك شوقي من هذا التفسير على انه رجل في قدر نفسه بل في قدر أميره ذلك وكان ممتلئاً شاباً يعني غلياناً ومُعدداً يومئذ لمطامح بعيدة ملفقة حشوها الديناميت السياسي....

كنت ذات مرة أكلم صديقي الكاتب العميق فروح الطون صاحب الجامعة وكان معجباً

بشوقي إعجاباً شديداً فقال لي إن شوقي الآن في أفق الملوك لا في أفق الشعراء. قلت كأنك نقيته من الملوك والشعراء معاً أذ لو خرج من هؤلاء لم يكن شيئاً ولو نفذ إلى أولئك لم يعد شيئاً. إنما الرجل في السياسة الملتوية التي تصله بالأمير هو مرة كوزير الحربية ومرة كوزير المعارف وهذه السياسة التي ارتاض بها شوقي ولا بسها من أول عهده وأتجه شعره في مذاهبها من الوطنية المصرية إلى النزعة الفرعونية إلى الجامعة الإسلامية فكانت بهذا سبب نبوغه ومادة مجده الشعري — هي بعينها مادة نقائصه فلقد ابتلته بحب نفسه وحب الثناء عليها وتسخير الناس في ذلك بما وسعته قوته إلى غير أشد من غيرة الحسنة تقشعر كل شعرة منها إذا جاءها الحسن بثانية. وهي غيرة وإن كانت مدمومة في صلتها بالاديء الذين لدغوه بالجرم... ونحن منهم، غير أنها ممدوحة في موضعها من طبيعته هو أذ جعلته كالجواد العتيق الكريم ينافس حتى ظله، فعارض المتقدمين بشعره كأنهم معه ونافس المعاصرين ليجعلهم كأنهم ليسوا معه ونافس ذاته أيضاً ليجعل شوقي أشعر من شوقي. وعندني أن كل ما في هذا الرجل من المتناقضات فرجعه إلى آثار تلك السياسة الملتوية التي ردت بطبيعة القوة عن وجوها الصريحة فجعلت تضطرب في وجوه من الحيل والاسباب مدبرة مقبلة مستهدية في كل مجاهلها بارة مغناطيسية عجيبة لا يشبهها في الطبيعة إلا أنف الثعلب المتجه دائماً إلى رائحة الدجاج....

ومؤرخ الأدب الذي يريد أن يكتب عن شوقي لا يصنع شيئاً أن هو لم يذكر أن هذا الشاعر العظيم كان هدية الخديوي توفيق والخديوي عباس لمصر كالذئب بين فرعي النيل. وما أصابه المتنبي من سيف الدولة مما ابتعث قريحته وراش اجنحته الساوية وأضفى ريشها وانتزى بها على الغايات البعيدة في تاريخ الأدب — أصاب شوقي من سمو الخديوي عباس أكثر منه فكان حقيقاً أن يساوي المتنبي أو يتقدمه ولكنه لم يبلغ منزلته لأن الخديوي لم يكن كسيف الدولة في معرفته بالأدب العربي ورغبته فيه. وسر المتنبي كان في ثلاثة أشياء: في جهازه العصبي العجيب الذي لا يقل في رأيي عما في دماغ شكسبير، وفي ممدوحه الأديب الملك الذي ينزل من هذا الجهاز منزلة المهندس الكهربائي من آلة عظيمة يديرها بعلم ويقوم عليها بتدبير ويحوطها بعناية، ثم في أفق عصره المتألق بنجوم الأدب التي لا يمكن أن يظهر بينها إلا ما هو في قدرها ولا يتميز فيها إلا ما هو أكبر منها ولا يتركها بالمنظفة إلا شمس كشمس المتنبي تتفجر على الدنيا بمعجزاتها النورانية

ولقد والله كان هذا المتنبي كأنه يوزع الشرف على الملوك والرؤساء وهل أدل على ذلك من أن أبا إسحاق الصابي شيخ الكتاب في عصره يرأسه أن يمدحه بقصيدتين ويعطيه خمسة آلاف درهم فيرسل إليه المتنبي: ما رأيت بالعراق من يستحق المدح غيرك ولكني إن مدحتك تنكر لك الوزير (يعني المهلبي) لاني لم أمدحه فإن كنت لا تبالي هذا الحال فانا أجيئك ولا

أريد منك مالاً ولا من شعري عوضاً . فأين في دهرنا من تشعره عزّة الادب مثل هذا الشعور ليأتي بالشعر من نفس مستيقنة ان الدنيا في انتظار كلماتها ؟

على ان شوقي لم يكن ينقصه باعتبار زمنه الا (الجمهور الشعري) وكل بلاء الشعر العربي أنه لا يجد هذا الجمهور ، فالشاعر بذلك منصرف الى معاني فردية من ممدوح عظيم او حبيب عظيم او سقوط عظيم حتى الطبيعة تظهر في الشعر العربي كأنها قطع مبتورة من الكون داخله في الحدود لابس الثياب . ومن ذلك ينبغ الشاعر وليس فيه من الاحساس الا قدر نفسه لا قدر جمهوره والا ملء حاجاته لا ملء الطبيعة فلا جرم يقع بعيداً عن المعنى الشامل المتصل بالجمهور ويسقط بشعره على صور فردية ضيقة الحدود فلا تجد في طبعه قوة الاحاطة والتبسط والشمول والتدقيق ولا تؤاتيه طبيعته ان يستوعب كل صورة شعرية بمخائصها فاذا هو على الخاطر العارض يأخذ من عفوه ولا يحسن أن يوغل فيه واذا هو على نزوات ضعيفة من التفكير لا يطول لها بحثه ولا يتقدم فيها نظره واذا نفسه تمر على الكون مرّاً سريعاً واذا شعره مقطع قطعاً واذا آلامه وأفراحه أوصاف لا شعور وكلمات لاحقائق وظل طامس ملق على الارض اذا قابلته بتفاصيل الجسم الحي السائر على الارض

واجتمع لشوقي في ميراث دمه ومجاري اعراقه عنصر عربي وآخر تركي وثالث يوناني ورابع شركسي وهذه كثرة انسانية لا يأتي منها شاعر الا كان خليقاً ان يكون دولة من دول الشعر . والى هذا ولد شاعرنا باختلاله العصبي في عينيه كأن هذا دليل طبيعي على ان وراءها عينين للمعاني تراجمان عيني البصر . وما لم يكن التركيب العصبي في الشاعر مهياً للنبوغ فاعلم أنه وقع من تقاسيم الدنيا في غير الشعر وليس في الطبيعة ولا في الصناعة قوة تجعل حنجرة البلبل في غير البلبل . ومع كل ما تقدم فقد اعين شوقي على الشعر بفراغه له اربعاً واربعين سنة غير مشترك العمل ولا متقسم الخاطر على سعة في الرزق وبسطة في الجاه وعلو في المنزلة ، وبين يديه دواوين الشعر العربي والاوروبي والتركي والفارسي . وان تنس فلا تنس ان شاعرنا هذا خص بنشاط الحياة وهو روح الشعر لا روح للشعر بدونه فسافر ورحل وتقلب في الارض وخالط الشعوب واستعرض الطبيعة يتخللها ببصره ما بين الاندلس والاستانة وظهيره على ذلك ماله وفراغه ، وانما قوة الشعر في مساقط الجو وفي كل جو جديد روح للشاعر جديدة ، والطبيعة كالناس هي في مكان بيضاء وفي مكان سوداء وهي في موضع نائمة تحلم وفي موضع قائمة تعمل وفي بلد هي كالانثى الجميلة وفي بلد هي كالرجل المصارع ولن يجتمع لك روح الجهاز العصبي على أقواء وأشدّه الا إذا أطعمته مع صنوف الاطعمة اللذيذة المفيدة ألوان الهواء اللذيذ المفيد

وعندي انه لا أمل أن ينشأ لمصر شاعر عظيم في طبقة الفحول من شعراء العالم الا اذا أعيد تاريخ شوقي مهذباً منقحاً في رجل وهبه الله مواهبه ثم تهبة الحكومة المصرية مواهبها

والكتاب الاول الذي راض خيال شوقي وصقل طبعه وصحح نشأته الادبية هو بعينه الذي كانت منه بصيرة حافظ وذكرناه في مقالنا عنه اي كتاب الوسيلة الادبية للمرصفي. وليس السر في هذا الكتاب ما فيه من فنون البلاغة ومختارات الشعر والكتابة فهذا كله كان في مصر قديماً ولم يغن شيئاً ولم يخرج لها شاعراً كشوقي. ولكن السر ما في الكتاب من شعر البارودي لانه معاصر والمعاصرة اقتداء ومتابعة على صواب ان كان الصواب وعلى خطأ ان كان الخطأ. وقد تصرّمت القرون الكثيرة والشعراء يتناقلون ديوان المتنبي وغيره ثم لا يجيئون الا بشعر الصناعة والتكلف ولا يُخلدُ الجيلُ منهم الا لما رأى في عصره ولا يستفتح غير الباب الذي فُتح له. الى ان كان البارودي وكان جاهلاً بفنون العربية وعلوم البلاغة لا يحسن منها شيئاً، وجهله هذا هو كل العلم الذي حوّل الشعر من بعد فيا لها عجيبه من الحكمة وهي دليل على ان اعمال الناس ليست الا خضوعاً لقوانين نافذة على الناس. واكب البارودي على ما أطاقه وهو الحفظ من شعر الفحول اذ لا يحتاج الحفظ الى غير القراءة ثم المعاناة والمزاولة، وكانت فيه سليقة نفرجت مخرج مثلها في شعراء الجاهلية والصدر الاول من الحفظ والرواية وجاءت بذلك الشعر الجزل الذي نقله المرصفي بالهام من الله تعالى ليخرج به للعربية حافظ وشوقي وغيرهما. فكل ما في الكتاب انه ينقل روح المعاصرة الى روح الاديب الناشئ فتمتعته هذه الروح على التميز وصحة الاقتداء فاذا هو على ميّزة وبصيرة واذا هو على الطريق التي تنتهي به الى ما في قوة نفسه ما دام فيه ذكاء وطبع. وبهذا ابتداء شوقي وحافظ من موضع واحد وانتهى كلاهما الى طريقة غير طريقة الآخر والطريقتان معاً غير طريقة البارودي

تحول شوقي بهذا الشعر لا الى طريقة البارودي فانه لا يطيقها ولا تهياً في اسبابه وخاصة في اول عهده وكان لغة البارودي فيها من لقيه اي فيها البارود ولكن تحولنا بعبثنا كان عن طريقة معاصريه من امثال الليثي وابي النصر وغيرها فترك الاحياء وانطلق وراء الموتى في دواوينهم التي كان من سعادته أن طبع الكثير منها في ذلك العهد كالمثني وابي تمام والبحري والمعري ثم اهل الرقة اصحاب الطريقة الغرامية كابن الاحنف والبهاء زهير والشاب الظريف والتلعغفري والحاجري ثم مشاهير المتأخرين كابن النحاس والامير منجك والشرقاوي. وقد حاول شوقي في اول أمره أن يجمع بين هذا كله فظهر في شعره تقليده وعمله في محاولة الابتكاد والابداع وإحكام التوليد مع السهولة والركة وتكلف الغزل بالطبع المتدفق لا بالحلب الصحيح وأنا حين أكتب عن شاعر لا يكون اكبر همي الا البحث في طريقة ابتداعه لمعانيه

وكيف ألم وكيف لحظ وكيف كان المعنى منسبته له وهل ابداع ام قلد وهل هو شعر بالمعنى شعوراً تخالط نفسه وجاء منها ام نقله نقلاً خجاء من الكتب . وهل يتسع في الفكرة الفلسفية لمعانيه ويدقق النظرة في أسرار الاشياء ويحسن ان يستشف هذه الغيوم التي يسبح فيها المجهول الشعري ويتصل بها ويستصحب للناس من وحيها ، ام فكره استرسال وترجيم في الخيال واخذ للموجود كما هو موجود في الواقع ؟ وبالجملة هل هو ذاتية تمر فيها مخلوقات معانيه لتخلق فتكون لها مع الحياة في نفسها حياة من نفسه ام هو تبعية كالسمسار بين طرفين يكون بينهما وليس منهما ولا من احدهما ؟ في هذه الطريقة من البحث تاريخ موهبة الشاعر ولا يؤدبك الى هذا التاريخ الا ذلك المذهب اليه ان اطقته أما تاريخ الشاعر نفسه فما اسهله اذ هو صورة أيامه وصلته بعصره وليس في تاريخ ما كان الا نقله كما كان

واذا عرضنا شوقي بتلك الطريقة رأيناه نابغة من أول أمره ففيه تلك الموهبة التي أسميها حاسة الجو اذ يتلمح بها النوايا معاني ما وراء المنظور ويستزلون بها من كل معنى معنى غيره أنظر أبياته التي نظمها في أول شبابه وسنه يومئذ ٢٣ سنة على ما اظن وهي من شعره السائر:

خدعوها بقولهم حسناء والغواني يغرهنّ الثناء
ما تراها تناست اسمي لما كثرت في غرامها الاسماء
إن رأيتني تميل عني كأن لم تك بيني وبينها أشياء
نظرة فابتسامة فسلام فكلام فوعد فلقاء

دع غلطته في قوله (تميل عني) فان صوابها تميل اذ هي جواب إن الشرطية ولكن تأمل كيف استخرج معانيه ، وانا كنت دائماً وما أزال معجباً بالبيتين الثاني والرابع لا إكباراً لمعناها فهما لاشيء عندي ولكن إعجاباً بموهبة شوقي في التوليد فانه اخذ البيت الثاني من قول ابي تمام أتيت فؤادها أشكو اليه فلم أخلص اليه من الزحام

فمر المعنى في ذهن شوقي كما يمر الهواء في روضة وجاء نسيماً يترقق بعد ما كان كالريح السافية بترابها لان الزحام في بيت أبي تمام حقيق بسوق فاعة للبيع والشراء لا بقلب امرأة يحبها . بل هو يجعل قلب المرأة شيئاً غريباً كأنه ليس عضواً في جسمها بل غرفة في بيتها وقد سبق شاعرنا ابا تمام بمراحل في ابداعه وذوقه ورقته

والبيت الرابع من قول الشاب الظريف

قف واستمع سيرة الصب الذي قتلا فثات في جهنم لم يبلغ الغرض
رأى خب فسام الوصل فامتنعوا فرام صبراً فأعيا نيله فقضى

وهذه « فاءات » تجر الى القبر ونعوذ بالله منها ومما كنت أعيبه على شوقي ضعفه في فنون الادب فان المويحيي الكاتب الشهير انتقد في جريدته مصباح الشرق ابيات (خدعوها)

عند ظهور الشوقيات في سنة ١٨٩٩ فارتاع شوقي وتحمل عليه ليمسك عن النقد مع ان كلام المويلحي لا يسقط ذبابة من ارتفاع نصف متر ومن مصيبة الادب عندنا بل من اكبر اسرار ضعفه ان شعراءنا لا طاقة لهم بالنقد وانهم يفرون منه فراراً ويعملون على تفاديه وانهم لا يحسنون غير الشعر فلا البارودي ولا صبري ولا حافظ ولا شوقي كان يحسن واحد منهم ان يدفع عن نفسه او يكتب فصلاً في النقد الأدبي او يحقق مسألة في تاريخ الأدب ومن معاني شوقي السائرة :

لك نصحي وما عليك جدالي آفة النصح أن يكون جدالا
وكرره في قصيدة أخرى فقال :

آفة النصح أن يكون جدالا وأذى النصح أن يكون جهارا
والبيتان من شعر صباه ايضاً وهما من قول ابن الرومي :

وفي النصح خير من نصيح مَوَادِع ولا خير فيه من نصيح مَوَائِب
فصصح شوقي المعنى وابدل الموائبة بالجدال وذلك هو الذي عجز عنه ابن الرومي . ومن ابداعه في قصيدته (صدى الحرب) يصف هزيمة اليونان

يكادون من دُعرٍ تفرُّ ديارهم وتنجو الرواسي لو حواهن مشعب
يكاد الثرى من تحتهم يلج الثرى ويقضم بعض الارض بعضاً ويقضب
وهذا خيال بديع في الغاية جعل هزيمتهم كأنها ليست من هول الترك بل من هول القيامة وهو مع ذلك مؤلف من قول ابي تمام في وصف كرم ممدوحه أبي دلف

تكاد مغانيه تهش عراصها فتركب من شوق الى كل راكب
فقداس شاعرنا على ذلك واذا كادت الدار تركب الى الراكب اليها من فرحها فهي تكاد تفر
مع المهزوم من دعرها ولكن شوقي بنى فأحكم وسما على ابي تمام بالزيادة التي جاء بها في البيت الثاني ومن احسن شعره في الغزل :

حسوت الجمال فلو ذهبت زيدها في الوهم حسناً ما استطعت مزيدا
وهو من قول القائل :

ذات حسن لو استزادت من الحسن اليها لما أصابت مزيدا

غير ان شوقي قال لو ذهبت زيدها في الوهم والشاعر قال لو استزادت هي فلو خلا بيت شوقي من كلمة (في الوهم) لما كان شيئاً ولكن هذه الكلمة حققت فيه المعنى الذي تقوم عليه كل فلسفة الجمال فان جمال الحبيب ليس شيئاً الا المعاني التي هي في وهم محبه فالزيادة تكون من الوهم وهو بطبيعته لا ينتهي فاذا لم تبق فيه زيادة في الحسن فما بعد ذلك حسن . وقد بسطنا هذا المعنى في صور كثيرة في كتبنا رسائل الاحزان والسحاب الاحمر واوراق الورد فالنظره فيها

ومما يتمم ذلك البيت قول شوقي في قصيدة النفس
يا دُمِيَّةَ لا يستزاد جلالها زبديده حسن المحسن المتبرع
وهذا المعنى يقع من نفسي موقعاً وله من اعجابي محل فهذه الزيادة انني فيه كزيادة العمر
لو أمكنت وهي في موضعها كما ينقطع الحظ ثم يتصل وكما يستحيل الأمل ثم يتفق ويسهل .
وقد علمت مأخذ الشطر الاول أما الثاني فهو من قول ابن الرومي
يا حسن الوجه لقد شدتته فاضمم الى حسنك احسانا
وفي القصيدة التي رثى بها ثروت باشا وهي من احسن شعره تجد من أبياتها هذا البيت النادر
وقد يموت كثير لا تحسبهمو كأنهم من هوان الخطب ما وجدوا
وشوقي يعارض بهذه القصيدة ابا خالد ابن محمد المهلب في داليته التي رثى بها المتوكل وكان
المهلب حاضراً قتله هو والبحتري فرثاه كل منهما بقصيدة قالوا انها من اجود ما قيل في معناها
وبيت شوقي مأخوذ من قول المهلب

انا فقدناك حتى لا اصطبار لنا ومات قبلك أقوامٌ فما فُقدوا
اي لم يحس موتهم أحد ولكن البيت غير مستقيم لان الذي يموت فلا يفقد هو الخالد
الذي كأنه لم يموت فاستخرج شوقي المعنى الصحيح وجعل العدم الذي هو آخر الوجود في الناس
اول الوجود ووسطه وآخره في هؤلاء الذين هانوا على الحياة فوجدوا وماتوا كأنهم ماتوا وما وجدوا

والى ما علمت من قوة هذه الشاعرية ودقتها فيما تتألى له ومجيتها بالمعاني النادرة مستخرجة
استخراج الذهب مصقولة صقل الجوهر معدلة بالفكر موزونة بالمنطق — تجد لها تهافتاً
كتهافت الضعفاء وغرّة كغرة الاحداث حتى لتحسب أن طفولة شوقي كثيراً ما تنبعث في شعره
لاعبة هازلة أو كأن للرجل شخصيتين كما يقول اطباء فهمما تتعاوران شعره كالألوان ونقصاً وعلواً
وزولاً أو قل هي العربية واليونانية في ناحية من نفسه والتركية والشركية في ناحية أخرى .
لذلك الابتكار والبلاغة والمنطق ، ولهذه التهويل والمبالغة والخلط ، وشوقي هو بهما جميعاً
تفتنه القوية منهما فيعجب بها إعجاب القوة وتخدعه الضعيفة فيعجب بها إعجاب الرقة . كما
أعجب بيته الذي قاله في الحنين إلى الوطن من قصيدته الاندلسية الشهيرة

وطني لو شغلت بالخلد عنه نازعتني اليه في الخلد نفسي

وهذا البيت مما يتمثل به الشبان وكتاب الصحافة ولم يفتن أحد إلى فساد وسخافة
معناه فان الخلد لا يكون خلاً إلا بعد فناء الفاني من الانسان وطبائعه الارضية وبعد أن لا
تكون أرض ولا وطن ولا حنين ولا عصبية . فكان شوقي يقول: لو شغلت عن الوطن حين لا أرض
ولا وطن ولا دول ولا أم ولا حنين الى شيء من ذلك فاني على ذلك أحن إلى الوطن الذي لا

وجوده في نفسي ولا في نفسه . . . وهذا كله لغو . . . والمعنى يعد من قول ابن الرومي
وحبب أوطان الرجال اليهمو مآرب قضائها الشباب هنا لك
إذا ذكروا أوطانهم ذكروا رثهمو عهود الصبي فيها فحشوا لذلك
ومنازعة النفس هي الحنين ومعنى ابن الرومي وإن كان صحيحاً غير أنه لا يصلح لفلسفة الوطنية في زمننا
وإن في شوقي عيبين يذهبان بكثير من حسناته أحدهما المبالغات التركية الفارسية مما تنزعه إليه
تركيته ولا مبالغة في الدنيا تقاربها كقول بعض شعرائهم إن الخلة بفرتها جففت الأبحر السبعة . . .
وهو اغراق سخيف لا يأتي بخيال عجيب كما يتوهمون بل يأتي بهذيان عجيب . وإذا كان الصدق
يأنف من الكذب فإن الكذب نفسه يأنف من هذا الاغراق . ومن هذه التركية في شوقي
إضافات وهمة هي من تلك المبالغات كذيل الحمار من الحمار ، قطعة فيه ودليل عليه وآخر لأوله
ولا محل لها في ذوق البلاغة العربية كقوله

(عيسى الشعور) إذا مشى رد الشعوب الى الحياة

وقوله في سعد باشا في حادثة الاعتداء عليه

ولو زلت غيب (عمرو الامور) وأخلى المنابر سجنائها

ويدخل في جنائيات هذه التركية على شعره تكراره الاسماء المقدسة والاعلام التاريخية كيوشع
وعيسى وموسى وخالد وبدر وسيناء وحاتم وكعب وغيرها مما هو شائع في نظمهم ولا تجده أكثر
ما تجده إلا قليلاً مملولاً ولهذا الالفاظ عندنا فلسفة لا محل لها الآن فهي أحياناً تكون
السحر كله والبلاغة كلها على شرط أن يكون القلب هو الذي وضعها في موضعها وأن لا يضعها
إلا على هيئة قلبية فيكون كأنه وضع نفسه في الشعر ليخفق خفقانه الحي في بضعة الفاظ
وهذا ما لم يحسنه شوقي . والعيب الثاني ان الفاظ شاعرنا لا يثبت أكثرها على النقد لضعفه
في الصناعة البيانية ثم لضعف الموهبة الفلسفية فيه وإعتباره التهويل شعراً والمبالغة بلاغة
وإن فسدت بهما البلاغة والشعر . أنظر إلى قوله من قصيدته الشهيرة ٢٨ فبراير

قالوا الحماية زالت قلت لا عجب قد كان باطلها فيكم هو العجبا

رأس الحماية مقطوع فلا عدمت كنانة الله حزماً يقطع الدنيا

قلنا فاذا قطع (رأس الحماية) وبقيت منها بقية ما ذنب او يد او رجل فإن هذه البقية في لغة
السياسة التي تنقد الالفاظ وحروفها ونقط حروفها . . . لن تكون ذنباً ولا يداً ولا رجلاً
بل هي (رأس الحماية) بعينه . . . على ان شوقي إنما عكس قول الشاعر

لا تقطعن ذنب الأفعى وترسلها ان كنت شهماً فأتسبع رأسها الذنباً

وهذا كلام على سياق من العقل فما غناء قطع ذنب الأفعى إذا بقي رأسها وإنما الأفعى

كلها هي هذا الرأس

ولقد ظهر لي من درس شوقي في ديوانه أمر عجبت له فاني رأيته يأخذ من أبي تمام والبحري والمعري وابن الجوزي وغيرهم فربما ساوهم وربما زاد عليهم حتى اذا جاء الى المتنبي وقع في البحر وأدركه الغرق لأنه نشأ على رهبة منه كما تشير اليه عبارته في مقدمة ديوانه الاول . وقد وصف خيل الترك في قصيدة انقره بقوله :

والصبر فيها وفي فرسانها خلقٌ توارثوه أباً في الروع بعد أب
كما ولدتهم على أعرافها ولدت في ساحة الحرب لافي باحة الرحب
وشعره هذا كأنه يرتعد امام قول المتنبي :

اقبلتها غرر الجياد كأنما أيدي بني عمران في جبهاتها
الثابتين فروسة كجلودها في ظهرها ، والطعن في لسانها
فكانها نستجت قياماً تحتهم وكانهم ولدوا على صهواتها

فانظر أين صناعة من صناعة وأين شعر من شعر . وقال في (صدى الحرب) يصف مدافع الدردنيل :

قذائفٌ تخشى مهجة الشمس كلما علت مصعيدات أنها لا تصوب
اذا هبَّ حامها على السفن انثنت وغانمها الناجي فكيف الخيب ؟

وهذا الاستفهام (فكيف الخيب) استفهام مضحك لأنه اذا كان الناجي غانماً فالخيب خاسر بلا سؤال ولا فلسفة . والكلمة الشعرية في هذا كله هي قوله (وغانمها الناجي) وهي كالهاربة تتوارى خوفاً من بيت أبي الطيب

أغرُّ أعداؤه اذا ساموا بالهرب استكبروا الذي فعلوا

فهذا هو الشعر لا ذاك . على اني اشهد ان في قصيدة (صدى الحرب) ابياتاً هي من اسمي الشعر وكان شوقي رحمه الله كان ينظم هذه القصيدة من ايمانه ومن دمه ومن كل مطامع دنياه وآخرته . يبتغي بها الشهرة الخالدة في الناس والمنزلة السامية عند الخديوي ونباهة الشأن عند الخليفة والثواب عند الله تعالى . ولو هو في اثناء عملها اسقط نصفها او اكثر لجاءت فريدة في الشعر العربي غير ان الحرص كان يغتره وكان طول عمره مفتوناً بشعره فجاء في هذا الشعر بالطم والرم كما يقولون . وله كثير من الكلام الرذل الساقط بضعفه وتهافته ولولا تلك التركيبة الفارسية وضعفه البياني لما رضي ان يكون ذلك في شعره . وليت شعري كيف غاب عن منله ان التهويل والاغراق والاحالة مما يهجن الشعر ويذهب بآثره في النفس ويحيله الى صناعة هي شر من الصناعة البديعية لان هذه تكون في الالفاظ والالفاظ تحتل العبث البديعي ويخرج بها الامر الى ان تكون ضرباً من الرياضة كعمالة بعض المسائل في الجبر والهندسة تركيباً وحلاً ، ولكن المعاني لا تحتل ذلك اذ هي تفكير لا يلتوي الا فسد . والمعاني التي يأتي بها الشاعر يجب ان تكون فيها مزية بخاصتها من الجمال والبيان وان تكون أخيلتها هي الحقائق التي أول مواضعها فوق حقائق البشر

ان الخيال الشعري يزيع بالحقيقة في منطق الشاعر لا ليقبلها عن وضعها ويحجبها بمسوخة مشوهة ولكن ليعتدل بها في أفهام الناس ويجمعها تامة في تأثيرها وتلك من معجزاته اذ كانت فيه قوة فوق القوة عمداً أن يزيد الموجود وجوداً بوضوحه مرة وبغموضه أخرى ولعلماء الادب العربي كلمة ما أراهم فهموها على حقها ولا نفذوا إلى سرها. قالوا أأعذب الشعر اكذبه يعنون إن قوام الشعر المبالغة والخيال ولا ينفذون إلى ما وراء ذلك وما وراءه إلا الحقيقة رائعة بصدقها وجلالها . وفلسفة ذلك أن الطبيعة كلها كذب على الحواس الانسانية وإن أبصارنا وأسماعنا وحواسنا هي عمل شعري في الحقيقة اذ تنقل الشيء على غير ما هو في نفسه ليكون شيئاً في نفوسنا فيؤثر فيها أثره جمالاً وقبحاً وما بينهما. وما هي خمرة الشعر مثلاً ؟ هي رضاب الحبيبة . ولكن العاشق لو رأى هذا الرضاب تحت المجهر رأى .. رأى مستنقعا صغيراً ... ولو كان هذا المجهر اضعاف الاضعاف مما يجهر به لرأيت ذلك الرضاب يعرج عجيجاً بالهوام والحشرات التي لا تخفى بنفسها ولكن أخفاها التدبير الالهي بأن جعل رتبها في الوجود وراء النظر الانساني رحمة من الله بالناس. فأعذب الشعر ما عمل في تجميل الطبيعة كما تعمل الحواس الحية بسر الحياة، ولهذا المعنى كان الشعراء النوايغ في كل مجتمع هم كالحواس لهذا المجتمع ومن سخييف الاغراق في شعر شوقي قوله في رثاء مصطفى باشا كامل وهي ابيات يظن هو انه أوقع كلامه فيها موقعاً بديعاً من الاغراب :

فلو أن أوطاناً تصوّر هيكلاً دفنوك بين جوانح الاوطان
او كان يحمل في الجوارح ميت حملوك في الاسماع والاحقان
أو كان للذكر الحكيم بقية لم تأت بعد رثيت في القرآن

فهذه فروض فوق المستحيل بأربع درجات وتصور انت ميتاً يحمل في الجوارح فيترم فيها ويبلى وما زال الشاعر في ابياته يخرج من طامة إلى طامة . حتى قال رثيت في القرآن . ولو سئلت أنا إعراب (لو) في هذه الابيات لقلت انها حرف نقص وتلفيق وعجز وكيف يسوغ في الفرض أن تكون للقرآن بقية لم تنزل والله تعالى يقول فيه «اليوم أكملت لكم دينكم» . والامر أمر دين قد تم وكتاب مقدس ختم ونبوة انقضت والشاعر ماض في غفلته لم يتنبه لشيء ولم يدرك انه يفرض فرضاً يهدم الاسلام كله بل حسب أنه جاء بخيال وبلاغة فارسية . وشوقي في الحقيقة كامل كناقص وإن من معجزات هذا الشاعر أن يكون ناقصاً هذا النقص كله ويكمل وفي الشوقيات صفحات تكاد تغرد تغريداً وفيها صفحات أخرى تنق نقيق الضفادع . وفي هذا الديوان عيوب لا يريد أن نقتصها فأن ذلك يحتاج إلى كتاب برأسه اذا ذهبنا تأنيهاً ونشرح العلة فيها ونخرج الشواهد عليها . ولكن من عيوبه في التكرار ان له بيتاً يدور في قصائده دوران الحمار في الساقية وهو هذا البيت :

وانما الامم الاخلاق ما بقيت فان هم ذهب اخلاقهم ذهبوا
بل هذا البيت : وانما الامم الاخلاق ما بقيت فان تولت مضوا على آثارها قدما
بل هو هذا : كذا الناس بالاخلاق يبقى صلاحهم ويذهب عنهم امرهم حين تذهب
بل هو هذا البيت : ولا المصائب اذ يرمى الرجال بها بقاتلات اذا الاخلاق لم تصب
وقد تكرر (فيما قرأته من ديوانه) ثلاث عشرة مرة فعاد المعنى كطيلسان ابن حرب
الذي جعل الشاعر يرقعه ثم يرقعه حتى ذهب الطيلسان وبقيت الرقع والبيت الاول
من العيسن النادر ولكن افسده في الباقي سوء ملكة الحرص في شوقي أو ضعف الحس البياني ،
او ابتذاله الشعر في غير موضعه ، او وهن فكرته الفلسفية من جوانب كثيرة . وهذه الاربعة
هي الابواب التي يقتحم منها النقد على شعر صاحبنا ولو هو كان قد حصنها بأضدادها لكان
شاعر العربية من الجاهلية الى اليوم ولكان عسى ان ينقل الشعر الى طور جديد في التاريخ .
ولكن الفوضى وقعت في شوقي من اول امره فارسل الى اوربا لدرس الحقوق وكان الوجه ان
يرسل لدرس الآداب والفلسفة ، وغامر في سياسة الارض وكان الحق ان يشتغل بسياسة السماء
وتهالك في مادة الدنيا وكان الصواب ان يتهالك في معانيها

ان الفوضى ذاهبة بنا مذهبها في الادب والشعر . فكل شاعر عندنا كمؤلف يضع رواية
ثم يمثلها وحده وعليه ان يمثلها وحده فهو يخرج على النظارة في ثياب الملك فيلتي كلاماً ملكياً ثم
ينفعل فيجني في ثوب القائد فيلتي كلاماً حربياً ثم ينقلب فيعود في هيئة التاجر فيلتي كلاماً
سوقياً ثم يروغ فيرجع في مبادل الخادم ثم . . . ثم يتوارى في جلدة بربري . . .
وهذه الفوضى التي اهلتها الحكومة واهلها الامراء والكبراء هي حقيقة مؤلمة ولكن هي الحقيقة

* * *

وشوقي على كل هذا هو شوقي اول من احتفى بتاريخ مصر من الشعراء وأول من توسع
في نظم الرواية الشعرية فوضع منها ست روايات وهو صاحب الآيات البديعة في الوصف وهذه
الناحية هي اقوى نواحيه . ولقد اهتمني قراءة البارع من شعره في اغراضه وفنونه المختلفة
ان الله تعالى ينعم على الآداب الجميلة بأفراد ممتازين في جمال ارواحهم وقوتها تجد الآداب لنتها
فيهم وسموها بهم ، كأن الامر قياس على ما يقع من عشق الناس لبعض المعاني فيكون في المعاني
ما يعشق بعض الناس . ومتى بلغ عشق المعنى لانسان مبلغ الاختصاص والوجد ظهر الفن ابداع
ما يرى كأن المعنى الادبي يتجمل ويتجسس ليستميل هذا الانسان الحاكم عليه حكم الحب
فيا مصر لقد مات شاعرك الذي كان يحاول ان يخرج بالجيل الحاضر الى الزمن الذي لم
يأت بعد . فاذا جاء هذا الزمن الزاخر بفنونه وآدابه العالية وذكرت مجد شعرك الماضي فليقل
اساتذتك يومئذ : كان هذا الماضي شاعراً اسمه شوقي

القضايا الاجتماعية الكبرى

في العالم العربي

للمفتي توفيق عبد الرحمن شهابندر

بناء الدولة

العوامل النافذة في بناء الدولة : قد يستاء الباحث الاخلاقي ان يعلم ان انفذ البواعث اثراً في تأليف الدولة باعث اناني مزدوج مؤلف من عاملين اثنين جمع الثروة وحب التسلط على الناس . ولكن ماذا يفيد الاستياء وماذا تنفع الحوقلة ومعظم الاوضاع التي يباهي بها البشر كوضع الزواج الذي شرحناه يبتدىء حقيراً ذا خمر مظلم ثم لا يلبث ان ينطبع بطابع الانسانية اللائع ؟ ويلوح لنا ان الاستئثار والطمع والخوف والشهوة والظلم والانانية وغير ذلك من البواعث الطبيعية كل ذلك كان له الشأن الخطير في تأسيس اوضاعنا الاجتماعية مادية كانت ام معنوية وقد دلّ التاريخ على ان عامل جمع الثروة كالكسب الذي يكسبه الغزاة من ماشية وسائمة واماء وعبيد يؤول الى تقوية الروابط الحكومية وتأييد قوة الفاتحين ونفوذهم بالنظر الى ما تجلبه الدولة من المنافع المادية ناهيك بالحاجة التي يشعر بها سواد الناس الى النظام واجراء العدل في توزيع هذه المنافع — وهو وظيفة الحكومة طبعاً

ومن الامثال التي نضربها على ذلك ان الملك عبد العزيز بن سعود ملك نجد والحجاز اليوم كان في بداءة القرن الحاضر لاجئاً الى الكويت بسيطاً عند اميره الشيخ مبارك بن الصباح لان آل الرشيد كانوا قد احتلوا موطن آبائه واجداده وانتزعوا السلطة منهم وابن السعود هذا هو رجل شجاع ذو عزيمة صادقة وطموح وثاب فوطد النفس على العودة الى نجد واخراج آل الرشيد المغتصبين منه فدبر امره في ليل حتى تمكن من اغتيال عامل الرشيد في فراشه وبمساعدة كمين ابقاه خارج القصر تمكن من ترسيخ قدمه في البلاد ثم اخذ ملكه في التكامل والاتساع الى ان امتد الى البحر الاحمر غرباً وسورية والعراق شمالاً ولكن هذا الاتساع ما كان ليتم لولا المنافع التي جناها الغزاة الفاتحون من جنوده واعوانه . فمزج هذه المنافع الاساسية بدعوة روحية جذابة كاللدعوة الى التنزيه ومحاربة الشرك ولا سيما الاستيلاء على اموال المشركين جزاء لهم كل ذلك ألّف من همج النجديين خصوصاً ممن يدعون « غطفاناً » جيشاً لجباً متحمساً اكتسح هذه الاصقاع المترامية الاطراف ولم يتورع ان يطبق على الكثير

من سكانها قاعدة القتل العام — ولو على ابواب مكة — باسم التوحيد والتطهير من الشرك !
 فالقارىء يرى من هذا المثال الملموس كيف ان الباعث الاول على تأسيس هذه المملكة المترامية
 الاطراف هو باعث طبيعي يرتكز على شعور بالتأثر متأصل في العرب ، فلما ذر عليه القائمون به
 فلاناً وبهارة من دعوة اخلاقية خيالية كالية صلح طعمه وصار لذيذاً حتى في افواه الاتقيين
 المتأقين ناهيك بالشهرين الشرسين . ولاحظت في المدد التي اقتتها في الصحراء ان كل دعوة
 كائنة ما كانت متى وضعت عليها التوابل الروحانية المقبلة وكان من ورائها نفع مادي تلاقي
 رواجاً عظيماً ولا سيما عند القبائل التي تشكو القلة وتعاني المحل . ولا نخطئ اذا نحن قلنا
 ان المؤمنين بمثل هذه الدعوة عن اخلاص طاهر لا تمازجه المنافع المادية هم الاقلية . واما
 سواد الناس فهم لا يدركون الكمال عادة الا اذا كان مصلحاً طعمه بالمنافع فلا يصلون لله
 مثلاً الا اذا اعتقدوا ان تحت السجادة في الدنيا ديناراً وهاجاً وفي الآخرة قصر آحافلاً بالخور والعين
 ويمكننا ان نضع القاعدة العامة الآتية عن الاقوام التي لا تزال على الطريقة الفطرية العمياء
 في نموها — يعني انها لم تدخل بعد في طور الارتقاء الغائي الذي يكون التحول الاجتماعي
 فيه غاية يدركها الناس بعقولهم — وهذه القاعدة هي ان التابل الذي يذر على الباعث المادي
 الاصلي ليجعل طعمه لذيذاً هو مقياس ارتقاء الشعب الذي يذره . بل ان هذه القاعدة تنطبق
 على اي شعب كان ما دام سواده كره تتقاذفها صواعج الدعايات المزوقة فتتلقفها ايدي اللاعبين
 تأثير الدين في تأسيس الدولة : ومن العوامل المتجلية في تأسيس كيان الدولة العامل الديني
 منذ العصر القبلي الاول الى اليوم فقد ايد الدين الاستقرار السياسي وساعد على حفظ
 النظام بما اتاه من تعضيد الشيخ الزعيم وتثبيت الفاتح العظيم وذلك للمصلحة التي توخاها من
 مقامها الرفيع ولا يزال الملوك والقواد الى يومنا هذا حتى في ارقى البلدان الغربية مظهر عطف
 الاكبروس ومحلى تأييده . وزاد في سلطة الشيوخ والفاتحين في العصر السحيقة ان الكهنة
 كانوا يجمعون الى الخوف من الآلهة والفرع من الاصنام والارواح الخوف منهم . وقد مثل
 الشيخ الزعيم والفاتح العظيم سلطة هذه المعبودات في القرون الاولى كما مثلاها في القرون الوسطى
 فلم يكن الفرق كبيراً بين فرعون الرب الاعلى وشارلمان ظل الله على الارض . وبالاقتبال من الوضع القبلي
 البسيط الى الوضع الدولي المعقد انتقل الدين من شكاه المحلي الاهلي الى شكاه القومي العام كما حدث
 عند الاسرائيليين اذ تغلب دين احد الاسباط على اديان الاسباط الاخرى فكتسحها ومن ثم صار
 الدين اليهودي القومي : وحينئذ انتقل (يهوه) من بقعته المحدودة الى مقامه الشامل — من
 صنم سبطي محلي لا يختلف كثيراً عن اللآلة والعزى ومناة الى اله قدير يحكم على المشارق والمغرب
 اشراك الآخرين في الحكم : وغني عن البيان ان اتساع القبيلة على الطريقة التي ذكرناها ادت الى
 رغبة الناس في الحصول على النظام والتمتع بالحماية تحقيقاً للمصلحة العامة لكن القيام بجميع الوظائف

التي يقتضيها هذا التحول يتعذر على اي فرد من الافراد ولو كان من الجبارة فلو اصر (الشيخ النوري بن شعلان) في المثال المتقدم او اصر المرتزقة من اعوانه ممن يتمتعون بنواله مباشرة على ان يبقى هذا الامر جميعاً في قبضة يده لاختل النظام وتألب عليه الناس في الداخل والخارج. لاجرم انه مضطر الى اشراك غيره في الحكم من انتداب من يساعده في التشريع والقضاء والتنفيذ لان سياسة جمهور كبير من الناس والاشراف على اعماله ومعاملته افراده بالعدل هي كلها امور تدل على التعقد الذي طرأ مما لا يقوى الشيخ الزعيم على معالجته كما يعالج الوالد الشئون العائلية فلا بد والحالة هذه من اختيار المنتدين الصالحين للاموال وهذا الانتداب يحدث تنوعاً مستمراً في الوظائف الحكومية وهو تنوع يدل على طريقة تأليف الدولة

ومن اكبر البلايا التي اصاب بها الحسين بن علي ملك الحجاز وزعيم الثورة العربية طمعه في ان يبقى «شيخاً زعيماً في القبيلة» يتناول الاشياء كبيرها وصغيرها بقبضة يده مما كان سبباً عظيماً في انهيار ملكه ، وعسى ان يتعظ الآخرون من ملوك العرب ممن يجرون على طريقته الهرمة العتيقة هذه اما بسائق الغفلة او بتحريض المرتزقة من حوالهم . وفي وسعنا وضع القاعدة الآتية وهي ان كل قطر متسع متشعب يبلغ به الولع بالمحافظة الى درجة انه يحاول البقاء مقتصرأ على سلطة « الشيخ الزعيم » او على السنة التي استتمها بمفرده من غير اعتبار للطوارئ ولا اشراك غيره معه في الامر هو قطر رجعي يطلب العودة الى الاوضاع القبلية الاجتماعية البائدة النظرية الذنوبية في تحليل الدولة : كما تولدت الاسرة من سعي الرجل والمرأة لأن يعيشا معاً بالالفه والتعاون ويستولدا الاولاد ويحضانهم كذلك الدولة نشأت من سعي الناس لأن يعيشوا معاً متكاتفين متكافين تحقيقاً لغايات مشتركة يطلبونها فلم تكن الدولة والحالة هذه بداية المجتمع الانساني ولا الغاية الاختيارية التي نشدها الانسان بمحض اختياره وبعد نظره بل هي احدى الوسائل المتأخرة التي توسل بها بفطرته وبطبيعته للحصول على الهناء الاجتماعي وذلك بما استجد من نظام معين خضع له وهذا النظام هو النظام السياسي فالدولة اذن هي فرع من فروع تلك الشجرة الاجتماعية الباسقة التي انبتت فروعاً أخرى من أوضاع خطيرة مثل وضع الزواج والاقتصاد والدين . وكما أن هذه الاوضاع متأصلة في المجتمع ومشتبكة به اشتباك السدية بالحمى كذلك الدولة هي ظاهرة من ظواهره الجوهرية . ولا يظن احد ان تعيين الزمن الذي بدأت فيه الجماهير بالخضوع للادارة السياسية والاشراف « الحكومي » العام هو أهون من تعيين الزمن الذي اتصل فيه الرجل بالمرأة لتأسيس الاسرة بل كلاهما حادث مع المجتمع وملازم له . وليست حاجة المجتمع الى التعاون والنظام والحماية العامة دون حاجته الى استيلاء الاولاد والألما اختلفت الجمعية البشرية كثيراً عن قطع من الجواميس يرود المستنقعات في الهند او سرب من القرود يجوب الغابات في افريقيا



قبر شاعر

الى روح الشاعر فوزي المعلوف

[نظمت على أثر مطالعة الشاعر لقصيدة « على بساط الريح »]

رَفَّتْ عَلَيْهِ مُورَقَاتُ الْغُصُونِ وَحَفَّتْهُ الْعُشْبُ بِنَوَّارِهِ
ذَلِكَ قَبْرٌ لَمْ يَشِدَّهُ الْمَنُونُ بَلْ شَادَهُ الشَّعْرُ بِآثَارِهِ
بَنَاهُ مِنْ لَبَنَاتِ الْقَنُونِ وَزَانَهُ الْمَجْدُ بِأَحْجَارِهِ
أَلْقَى بِهِ الشَّاعِرُ عِيبَ الشُّجُونِ وَأَوْدَعَ الْقَلْبَ بِأَسْرَارِهِ

وَجَاوَرَتْهُ نَخْلَةٌ بِاسِقَةٍ تَجُثُّمُ فِي الْوَادِي إِلَى جَنْبِهِ
كَأَنَّهَا الثَّالِكَةُ الْوَامِقَةُ تَقْضِي مَدَى الْعُمُرِ إِلَى قُرْبِهِ
تَسْنُ فِيهَا النِّسْمَةُ الْخَافِقَةُ كَأَنَّمَا تَخْفِقُ عَنْ قَلْبِهِ
وَتَرْسِلُ الْأَغْنِيَةَ الشَّائِقَةَ هَشْوَفَةً ظَلَّتْ عَلَى حُبِّهِ

وَيُقْبَلُ الْفَجْرُ الْوَضِيءُ الْأَهَابُ يَهْفُو عَلَى الْقَبْرِ بِأَضْوَائِهِ
كَأَنَّمَا يَذْكُرُ تَحْتَ التَّرَابِ لَوْلَوْ تَزْرِي بِلَأْلَائِهِ
إِسْتَسْلٌ مِنْهَا الْمَوْتُ ذَاكَ الشَّهَابُ غَيْرَ شِعَاعٍ فِي الدَّجَى تَائِهِ
يَظَلُّ يَهْفُو فَوْقَ تِلْكَ الشَّعَابِ يَطُوفُ بِالْيَنْبُوعِ مِنْ مَائِهِ

وَيَذْهَبُ النُّورُ وَيَأْتِي الظَّلَامُ وَتَبْزُغُ الْأَنْجُمُ فِي نَسَقِهِ
حَيْرَى تَجُوبُ اللَّيْلَ كَالْمَسْتَهَامِ أَسْهَرُهُ الشَّأْرُ مِنْ شَوْقِهِ
تَبْحَثُ عَنْ نَجْمٍ بِتِلْكَ الرَّجَامِ هَوَى بِهِ الْمَقْدُورُ عَنْ أَفْقِهِ
أَخْ لَهَا فِي الْأَرْضِ وَدَّ الْمَقَامِ وَآثَرَ الْغَرْبَ عَلَى شَرْقِهِ

وَيَطْلُقُ الطَّيْرُ نَشِيدَ الصَّبَاحِ بِنِعْمَةٍ تَنْبِيءٍ عَنْ حُزْنِهِ
يَمْدُ فَوْقَ الْقَبْرِ مِنْهُ الْجِنَاحُ وَيُرْسِلُ الْمُنْقَارُ فِي رُكْنِهِ
أَفْضَى إِلَى الرَّاقِدِ فِيهِ وَبَاحُ بِأَنَّهُ الْمَلْهُمُ مِنْ فَنِّهِ
فَرَيْنَ قَوَافِيهِ اسْتَمَدَّ النُّوَاحِ وَمِنْ أَغَانِيهِ صَدَى لَحْنِهِ

وَحِينَ تَمْضِي نَسَمَاتُ الْخُرَيْفِ وَتَمْلَأُ الْأَرْضَ رِيحُ الشِّتَاءِ
وَيَقْبَلُ اللَّيْلُ الرَّهَيْبُ الْخُفَيْفُ فَلَا تَرَى نَجْمًا يَنْيرُ السَّمَاءِ
هَنَّاكَ لَا ظِلُّ عَلَيْهِ وَرَيْفُ يَهْفُو وَلَا طَيْرٌ يَثِيرُ الْغِنَاءِ
يَظْلِلُ الْأَرْضَ الظَّلَامُ الْكَثِيفُ كَأَنَّهَا تُمْسِي بَوَادِي الْفَنَاءِ

يَا شَاعِرًا مَا جَمَعْتَنِي بِهِ كَوَاكِبُ اللَّيْلِ وَشَمْسُ النَّهَارِ
لَكِنَّهُ الشَّرْقُ وَفِي حُبِّهِ يَنَاقِ بِنَا الشُّوقُ وَتَدْنُو الدِّيَارِ
سَكَبْتُ مِنْ شَجْوِكَ فِي قَلْبِهِ وَمِنْ مَا قَيْكَ الدَّمُوعَ الْغِزَارِ
فَوَدَّ أَنْ لَوْ مِثَّتْ فِي تَرْبِهِ لِيَشْفِي النَّفْسَ بِهَذَا الْجِوَارِ

صَوَّرَ لي القبرَ الذي تَنْزِلُ تَخَيَّلُ الشعرَ ووحىُ الشعورِ
جُفْتُ للقبرِ بما يَجْمَلُ من صُورِ الدنيا الفَتونِ الغرورِ
قُلْ لي بحقِّ الموتِ ما يفعلُ بالشاعرِ الموتِ وتلك القبورِ
وهل وراءَ الموتِ ما نهملُ من عالمِ الرجعى ويومِ النشورِ

قَدْ رَأَعِي موثُكَ يا شاعري في مَيْعَةِ العمرِ وفجرِ الشبابِ
وهزَّني ما فاضَ من خاطرِ كان ينابيعَ البيانِ العذابِ
ونَفَسَاتُ القَلَمِ السَّاحِرِ في جَوْهَرِكَ الأفقَ وطَيِّ السحابِ
ووقفَ بالكوكبِ الحائرِ رأى بساطَ الرِّيحِ يدنو فسحابِ

لكنَّهُ شعركَ لما يَزَلُ يُرَدِّدُ الكونُ أناشيدهُ
شعْرُ كصوتِ الوحي أنَّى زَلُ أرقصُ في الرُّوضِ أماليدهُ
وَعَلَّمَ الطيرَ الهوى والغزلَ فأسمعُ الزَّهرَ أغاريدهُ
وغمستُ الرِّيحُ به في الجبَلِ فخرَّكتُ منه جلاميدهُ

يا قَبْرُ لم تُبْصِرْ عيني ولا رَأَتْكَ إِلَّا في ثنايا الخيالِ
ملأتُ بالرَّوعِ فؤاداً خلا إِلَّا من الحبِّ ونُورِ الجمالِ
أوحيتُ لي سرُّ الردى فأنجلي عن عيني الشكَّ وليل الضلالِ
غداً ستطوى القلبُ أيندي البلى ويقنصُ النجمُ عُقَابَ الليلِ

وهكذا تَمْضِي لَيْسَالِي الحَيَاةِ والقبرُ ما زالَ على حالهِ
دُنْيَا من الوهمِ ودهرُ تراه يُغَرِّرُ القلبَ بآمالهِ
يسخَّرُ من مبتسماتِ الشفاءِ وجارفِ الدمعِ وسَيِّالهِ
دهرُ على العالمِ دارتُ رَحاهُ فلم تَدْعُ رسماً لأطلالهِ

علي محمود طه المهندس

ارز لبنان ومغارة قاديشا

للمبرر مصطفى الشرايبي

لا يسمع الانسان باسم الارز الا وترسم في ذهنه صورة فيها جمال واتساق وروعة وعظمة ، صورة شجرة من دهاقين الشجر وسادتها وسرحة من سرة الدوح وعيونها تفتنك بعلو ماقها الشاهق وبطول اغصانها المعترضة (الأفقية) وبخضرة اوراقها الحائثة وبقيام ثمارها البيضاء كالشموع او كالفناديل على الاغصان فوق الورق . ولا يحب فالأرز شجر الرب المنسوب الى اكرم فصيلة نباتية وهي الفصيلة الصنوبرية لأن فيها ملوك النبات كما ان في الفصيلة النخيلية امراءها ولكم تأقت النفس الى رؤية هذا الشجر المبارك في حرمه والى ولوج المغارة التي تتدفق منها مياه نهر قاديشا القدسية حتى اتاحت لي الايام فرصة انتهزتها في ١٢ آب (اغسطس) ١٩٣٢ فكتبت بعدها هذه الكلمات

الارز من اعظم اشجار الفصيلة الصنوبرية لكنه ليس انفعها ولا اكبرها قدراً . فانواع الصنوبر اكثر انتشاراً منه واعم نفعاً وكذا الشوح والعرعر والزاب وغيرها . وقلمنا يزيد علو الارزة على ٤٠ متراً على حين ان الشجرة الجبارة (وهي تدعى سكوي في كليفورنيا) يبلغ قدها ١٣٠ متراً في بلادها . وهي من الفصيلة نفسها

وللأرزة الصغيرة ساق ملساء تضرب الى اللون الرمادي اما المعمرة فلها ساق سمراء محزوزة اللحاء جزاً غير عميق . ويكون لكل شجرة ساق واحدة في الغالب وعليها الفروع والاغصان لكنه قد يكون للأرزة ساقان او ثلاث سيقان احياناً تعلو صُعداً على مقربة من الارض وربما اندغم بعضها ببعض اندغاماً جزئياً او كلياً على طول الزمن . وقد شاهدنا كثيراً من اشجار الارز القديمة لكل منها جذعان او اكثر

وفروع الارز قوية غليظة تمتد امتداداً افقياً الى بعيد وتقصر على التتابع كلما قربت من قمة الشجرة وينشأ عليها اغصان كفية عظيمة تغطيها الاوراق في جزئها الاعلى فيكون للشجرة شكل مخروطي او شبيهه بالبيضي له في العين روعة وجمال . ويكون الورق اما متفرقاً على الغصن السنوي او مجتمعاً خصللاً على زنود اي غصينات طول كل منها سنتيمتر تقريباً . والشكل الثاني اعم . وعدد الاوراق على كل زند ٣٠-٥٠ ورقة . وهذه دائمة ابرية الشكل خضراء حائثة رأسها قاس يكاد يكون شائكاً ويبلغ طولها سنتيمتراً الى سنتيمتر ونصف في معظم الاوراق التي قسناها

والزهرة وحيدة الجنس وكلا الزهرتين الذكورية والانثوية على شجرة واحدة. والازهارار في اواخر الصيف. وتسمى الزهرة هريرة في علم النبات. فالهريرة الذكورية غليظة اسطوانية متراففة الفلوس اي العصفات وهي صغيرة لا يتجاوز طولها سنتيمترين او ثلاثة فيما شاهدناه منها وتقوم على غصينات فوق الورق. اما ثمرة الارز فهي من الثمار الصنوبرية (كوز) قست عدداً منها فبلغ متوسط طول الواحدة ٧ - ٩ سنتيمترات وقطرها ٤ - ٥ سنتيمترات. وهي تكاد تكون بيضوية او اهليلجية تقوم على غصنين فوق الورق وتنضج في سنتين ولا تتفتح الا في ثلاث سنين او اربع فتنتثر البزور وتبقى الثمرة على الاغصان. وقد شاهدت ثماراً في مختلف هذه الحالات. وبزرة الارز مخينة راتنجية ذات زوايا يعالوها جناح مستطيل. وهي تشبه بزة التنوب لكن غلاف بزة الارز (ويسمى الغدفة نباتياً) اكثر لمعاناً واشراقاً ويستخرج البزر من الثمرة التي لم تتفتح على الشجرة بنقعها في الماء البارد، يوماً او يوماً ونصفاً ثم توضع في الشمس فتفصل العصفات بعضها عن بعض فتؤخذ البزور بسهولة. والبزرة المزروعة تنتش فيخرج مع السويق ثماني وريقات فلقية ويضرب الجذير في الارض الى غور بعيد. ويكون نمو الارزة بطيئاً جداً في السنين الخمس الأولى من حياتها ثم تزداد الشجرة نشاطاً ورسوخاً مع الزمن. ولا تتحمل الارزة الصغيرة الظل ولا النقل من ارض الى ارض وكثيراً ما يتلفها النقل او يفقدها رأسها فتكف عن النمو الى فوق فيسوء مظهرها

وخشب الارز الخارجي تحت اللحاء ابيض اللون اما خشب القلب فاسمر وردي او اسمر الى صفرة. وخلاياه دقيقة متجانسة مرنة. ويحتوي الخشب على فجوات راتنجية متفرقة تجعل له رائحة خاصة زكية. ووزن الخشب النوعي ٨٠٦/٠ الى ٨٠٨/٠. ويختلف الخشب من حيث جودته بحسب المكان الذي عاشت شجرة الارز فيه فاذا كانت الشجرة نامية في ارض جبلية عالية بعيدة عن الاشجار السائرة يكون خشبها جيداً وجديراً بالشهرة التي نالت خشب الارز في سالف الزمان. اما اذا عاشت الشجرة في سهل ونمت بسرعة فان خشبها يكون رخواً اسفنجياً قليل الصلابة. وقد نُقل الارز الى فرنسا منذ قرنين والى انكلترا منذ قرنين ونصف تقريباً. وهو هنالك يحتمل هبوط الحرارة الى ٢٥ درجة تحت الصفر. ويرى الشجّارون وعلماء الحراج انه من اجل الاشجار واروعها في حدائق التزيين لكنهم يرون ان في بلادهم اشجاراً كثيرة اصلح منه في الحراج من حيث استعمال خشبها وقيداً او استعماله في الصناعة

وللأرز ذكر في تاريخ كل الشعوب القديمة التي سكنت بلاد الشام او غزتها. فسلیمان الملك اشغل عشرة آلاف عامل في قطع شجر الارز والشوح من حراج لبنان لبناء هيكل اورشليم. وكان البابليون والآشوريون يستعملون خشب الارز في بناء هياكلهم. واستعمله المصريون الاقدمون في صنع السفائن واثاث البيوت والجسور والتوايت. وعثر احد علماء

الآثار اثناء التفتيش عن مخلفات الاشوريين على خشب الارز الذي كان هؤلاء يستعملونه منذ ثلاثة آلاف سنة ونيف فاذا به لا يزال صلباً ومعطراً برائحة الراتينج المنعشة . وكان القدماء يعتقدون بأن الفساد لا يتطرق اليه ولذلك كانوا يصنعون منه اصناماً لآلهتهم كما كانوا يصفحون به جدران الهيأكل . واتسعت تجارة خشب الارز قديماً وعمت فوائده وصار الفراعنة وملوك العجم وبابل وآشور يتطلبون الخشب من حراج لبنان جزية على الناس ومن المعروف ان لكل نبات مهذاً اصلياً يعيش فيه وينتشر منه الى الاصقاع المجاورة لجبال لبنان وطن الارز اوهي من موطنه الاصلية ^(١) . ولا شك ان تربة هذه الجبال وهواءها يلائمانه كل الملائمة وانه كان قديماً اهم اشجار الحراج في ذلك الاقليم . ويتضح من آثار الأقدمين ان حراج لبنان كانت عظيمة الشأن في العصور الخالية وانها كانت تغطي معظم روايبه ووهادد وان اهم اشجارها الارز والشوح والعرعر والرزاب والسنديان والمول وغيرها . وكل هذه الأنواع مبدولة فيه اليوم الا الارز فان منه بقايا في بقاع قليلة وهي بشري والحدث (حدث الجبة) واهدن وسير وعين زحلثا ومعاصر الشوف والباروك حيث يسمى الأهل

أرز بشري

اعظم حراج الارز شأنًا واقدمها سنًا حرج بشري فهو الذي يطلقون عليه اسم « ارز لبنان » تعميماً وهو الذي صوروا احدى شجراته على علم لبنان الحاضر وهو ايضاً الحرج الذي زرنه وكتبنا فيه هذه المقالة . ويقع هذا الحرج في جبل المكمل (يلفظونه بيمين مفتوحتين بينهما كاف ساكنة) الواقع شرقي طرابلس بين جبل العاقورة جنوباً وجبال عكار شمالاً . وجبل المكمل هذا هو الذي فيه اعلى قمم لبنان كقمة قم الميزاب وقرنة السوداء وظهر القضيبي . ولم اصعد في الجبل فوق الارز الا قليلاً . ولم اصل الى هذه القمم ولذلك اضطررت في معرفة علوها فوق سطح البحر الى مراجعة ما لدي من المآخذ كخريطة لبنان التي رسمتها الحملة الفرنسية سنة ١٨٦٠ - ١٨٦١ وخريطة بلاد الشام التي صنعها ديوان المساحة في جيش الشرق الفرنسي سنة ١٩٢٨ وكتاب لبنان الذي افهه عدد من العلماء خلال الحرب الكبرى وطبع في بيروت سنة ١٣٣٤ رومية بهمة المتصرف اسماعيل حتي بك وغيرها فألفت علو ظهر القضيبي ٣٠٦٣ متراً وعلو قم الميزاب ٣٠٤٧ متراً وعلو قرنة السوداء (هكذا يلفظها الأهالي) ويحب كتابتها القرنة السوداء) ٣٠٨٨ متراً وهي اعلى قمة في بلاد الشام لان قمة صنين لا يزيد علوها على ٢٦٠٨ امتار وقمة جبل الشيخ ٢٨٦٠ متراً

(١) في الجزائر صنف من ارز لبنان يسمى ارز لبنان الاطلنطي (ومن النباتين علماء يجعلونه نوعاً مستقلاً) في حراج واسعة بولاية قسنطينة خاصة . وهو موجود ايضاً في جبال الريف من اعمال مراکش ويعرف بوراق اقصر من اوراق ارز لبنان وثمار اصغر . وفي جبال حملايا وجبال التبت شمالي الهند نوع يسمى ارز حملايا ربما بلغ ارتفاعه في بلاده ٦٠ — ٧٠ متراً . اوراقه اطول من اوراق ارز لبنان وثماره اكبر

وتقع حرجة ارز بشري في وسط الدائرة المتكونة من قم جبل المكمل تلك الدائرة التي تنفتح في الجهة الغربية حيث تتدفق مياه نهر قاديشا . وتعلو الحرجة ١٩٠٠ متر ونيّف عن سطح البحر وفيها ٤٠٠ ارزة تقريباً كبيرة وصغيرة^(١) . فاما كبرياتها ففيها جلال مسوّق الشجر العظام . ولقد قست ساق كبراهها فبلغ محيطها نحو ١٦ متراً وعمرها اكثر من ألفي سنة ويقول بعضهم انها تبلغ ٤٠٠٠ سنة من العمر لكنه لا يمكن معرفة سنّها على وجه الضبط ولا على وجه التقريب . وشاهدت اربع ارزات مسنة محيط ساقها بين ١٢ و ١٣ متراً وعلوها نحو ٣٠ متراً وسنّها اكثر من الف سنة في الغالب . اما باقي الاشجار فاقل ثخناً واقصر عمراً ومع هذا فهي هنالك منذ بضعة قرون إن لم تكن كلها فعظمها . ولا تخلو الحرجة من اشجار فتية ومما يسترعي النظر ان رحالة من الغربيين اسمه رولوف Raulovv ذكر في سنة ١٥٧٤ ان الاشجار الهرمة العظيمة الجذوع تبلغ ٢٦ شجرة عدداً . اما اليوم فهي لا تزيد على بضعة شجرات كما ذكرت والباقي عملت به يد المحتطين والجهال من سكان ذلك الجبل . وادرك المتصرف المعروف رستم باشا مكانة البقية الباقية من حرجة بشري فاحاط معظم اشجارها بسور من حجر وصرف عنها اذى الناس ثم عيّنت حكومة لبنان لها حارساً ودليلاً يطوف بالسياح وطالبي الفائدة . وعبدت الطريق بينها وبين بشري فصار من الصعب ان يقدم احد على قطع شجرة دون ان تدري الحكومة به فتعاقبه

والتطعيم الطبيعي امر مألوف في الحراج وفي اغصان الشجر المتجاورة . وهو ان يحتك غصن بغصن بفعل الهواء وضيق المكان فينحت لحاؤهما فتتماس المادتان المولدتان الواقعتان بين الخشب واللحاء فيلتصق الغصنان ويغلظا مع الزمن . وقد شاهدت في ارز بشري اشجاراً متجاورة حصل في سوقها تطعيم طبيعي واخرى حصل في فروعها . ورأيت ارزة احترق ساقها وهي لا تزال حية لانها تستمد الغذاء من فرع شجرة مجاورة أنشبت^(٢) الطبيعة في الشجرة المحروقة فوق ساقها . وهنالك شجرة يسمونها ارزة لامارتين وهو الشاعر الفرنسي المشهور نقش اسمه واسم ابنته جوليا على ساقها ونقش التاريخ ايضاً فكان سنة ١٨٣٢ اي منذ قرن تماماً . وعاق شباب بشري لوحة على الشجرة تذكراً لزيارة الشاعر الموماً اليه للارز

وهنالك ايضاً شجرة يسمونها ارزة الناسك وارزة الراهب وارزة الحبيس يزعمون ان ناسكاً كان يقيم في تجويف ساقها فيأكل من المن ويشرب من ماء في داخل الشجرة . ولعل هذا الماء الذي تلمسه يحصل من ذوب الثلج المتراكم في الساق او لعله من طلل الشجرة اي نسفها وهو اقرب الى الدهن

(١) قرأت في احد كتب الاشجار القديمة ان القبطان الانكليزي المسمى اوليفر Oliver عد منها ٣٨٤ ارزة مختلفة القد في سنة ١٨٧٨ . وحاولت عدّها فلما بلغت الرقم ٢٩٠ اخطأت العد فأجمعت لضيق الوقت
(٢) التطعيم والتركيّب والانشاب بمعنى واحد

ولفتت نظري تربة الرابية التي فيها الارز والتربة التي تحتها فهي لا تشبه في علم الجيولوجية راسبات الحقة الرابعة التي كوَّنها الانهار والسيول بل هي قفّ اي حجارة كبيرة وصغيرة معظمها كلسي خاص بعضها ببعض مما يدل على انه كان يوجد في الحقة الرابعة ركام جليدي مكان الارز Glacier وراجعت للتثبت من ذلك كتاب جيولوجية لبنان للعالم اليسوعي زوموفن احد اساتذة الجامعة اليسوعية في بيروت فاذا به يرجح هذا الرأي ترجيحاً لكنه يذكر ان معظم العلماء من الرواد على هذا الرأي مثل هوكر وفراس ولارته وطومسون وغيرهم اما جبل المكمل وكل الهضاب المحيطة بوادي قاديشا فهي جيولوجياً من الاراضي الطباشيرية التابعة للحقة الثنائية . وتكون الاراضي الطباشيرية على بضع طبقات لكل منها اسم وجميعها تتجلى في اعضاد الوادي العميق الذي حفره نهر قاديشا . وتراب هذه الطبقات كلسي الا تراباً رملياً يسمونه رمل نوبيا شاهدناه بين بشري واعدن والقرب من حدث الجبة . وهو مبذول في انحاء لبنان . ولا بد لمثلي ممن يأثسون بالنبات وحياته ان يتعرف الى الاعشاب الجبلية في حرجة الارز وحوها وهذه الاعشاب عديدة تنسب الى فصائل مختلفة في ابان الازهار على حين اننا في آب (اغسطس) . فما عرفته منها النباتات الآتية :

Inula viscosa	عرق الطيَّون	Berberis	بربريس
Campanula	انواع من الجُرَّيس	Isatis	إيستس
Anthriscus	انترسكس	Dianthus brevifolius	القرنفل القصير الورق
Cerastium	سراستيوم	Gypsophilla	جيسوفيللا
...	انواع من البنفسج بقرب اهدن الخ . . .	Arenaria cassia	زهرة الرمال الاقرعية
		Ononis	اللتين

مغارة قاديشا

هي المغارة التي تخرج منها مياه نهر قاديشا وهي في لحف جبل الارز فوق وادي قاديشا الشهير . ولقطة قاديشا هذه لقطة آرامية معناها المقدس توجد بهذا المعنى في كل اللغات السامية . ويظهر ان قداسة الوادي المذكور منبعثة من انه كان يقطن جماعة من النساك كهوفه ومغاوره . ويرى الانسان في تلك المغارة صورة جميلة لتأثير المياه الشديدة في الصخور الكلسية فيما قاديشا تحصل خاصة من ذوبان الثلج على قمم جبل المكمل وسفوحه لا من الامطار التي تهطل عليه . والدليل على ذلك ان الماء يشح في الشتاء واوائل الربيع لا في الصيف . ولقد شق الماء طريقاً في الصخور الكلسية على بعد مئات من الامتار فتكونت مغارة قاديشا . وسالت نقاط الماء في اماكن عدة من سقف المغارة وجوانبها فأفلت منها ماتحويه من الغاز الكاربونيك فرسبت مذوبات كاربونات الكلس فصل منها مجموعة بديعة من الشموع الرواسب التي يسمونها

في علم الجيولوجية استلاغميت واستلاغيت. وأثيرت المغارة بالكهرباء فصار لهذه الشموع منظر جميل ومهيب. ومن العجيب ان بعض الشموع الرواسب تشبه انساناً مشهورين في التاريخ فهذه فيكتوريا ملكة الانكليز وذلك السلطان عبد الحميد وذلك توت عنخ آمون بعينه وهلم جرا وعندما يخرج الماء من المغارة ينصب في الوادي على شكل شلال رائع المنظر الى عمق ثلاثمائة متر تقريباً. لكن شركة قاديشا الوطنية للتنوير الكهربائي ضببطت قسماً من ماء النهر واسالته في قناة حفرتها في لحف الجبل على طول ٩٥٠ متراً ثم هوت به في انبوب عظيم الى قعر الوادي حيث بنت معملًا لتوليد الكهرباء

الخلاصة

جمال الجبال في القمم العمودية او المسننة والمياه المتدفقة والمناجح البيضاء والوديان السحيقة والحراج الملتفة. وحظ لبنان من ذلك اقل من حظ جبال اوربا الشهيرة كجبال الالب وجبال البرانس. لكن لبنان يمتاز بسمائه الصافية طول الصيف وبقربه من سائر بلاد الشرق العربي وبلغة سكانه وهي العربية ويمتاز شمالي لبنان عن جهاته السائرة بالارز ومغارة قاديشا ووادي قاديشا الذي لم اروع منه في كل انحاء لبنان

وفي الارز فندق حديث فيه كل وسائل الراحة. ويبنون اليوم فندقاً كبيراً بقرب الارز على الرابية الواقعة فوق مغارة قاديشا في مكان مظل على الوادي وقراه. وربما تم بناؤه في السنة القادمة. وعبدت الطريق بين بشري والارز. وجرت مياه نبع شاغورة الى الارز وحواليه وأثيرت كل القرى المهمة بالكهرباء كأهدن وحصرن وبشري وغيرها. ومدت اسلاك الكهرباء الى الارز والى طرابلس حتى مقر شركة السمنت عند رأس الشقعة. ويمكن الذهاب من طرابلس الى الارز في طريقين معبدتين الاولى طريق الحدث وحصرن وبشري والارز. والثانية طريق زغرته واهدن وبشري والارز وتكاد تكون المسافة واحدة في الطريقين (٦٠ - ٦٣ كيلومتراً) وكلاهما جميل ينتقل فيه المرء من الساحل وموزة، فالكورة وزيتونها، فالجبل المتوسط الارتفاع وتينه وعنبه وصنوبره وأبهره وبطمه فالجبال العالية وسنديانها ودفرانها وتونبها وأرزها

ووسائل الراحة متوفرة في كل فنادق بشري وحصرن واهدن والارز. والقرى الثلاث الاولى تعلق اكثر من ١٤٠٠ متر عن سطح البحر. اما الارز فاكث من ١٩٠٠ متر كما ذكرت ولذلك يمكن الانسان ان يتصور مبلغ نقاء الهواء وبرودته في الصيف. فيزان الحرارة عند ما كنا هنالك في آب (اغسطس) لم يزد على ٢٥ درجة في القرمط. وكان يهبط ليلاً الى ١٤ درجة وهذه هي حرارة الربيع في دمشق وحرارة الشتاء في مصر في كثير من ايام هذين الفصلين

قاهر البعوض

سيرة السر رنلد رُس وَاِعماله
Sir Ronald Ross

— ١ —

في اساطير البشر قصص ابطال حاربوا جبابرة مردة، واحاديث فرسان نازلوا تنانين مفترسة فرفعهم الناس الى مستوى الآلهة . وقصص مكافحتهم لها حافلة باروع الروايات وابعدها اثرًا في نفس الانسان . وما زلنا حتى اليوم ، وقد انقضت عليها القرون ، وتبددت اشباح الجبابرة والمردة بفعل العلم والاستنباط، نقرأ هذه القصص صغاراً فنؤخذ بها ونجعل أبطالها الخياليين ابناء عالمنا الحقيقي ، ونطالعها كباراً — وقد تبددت اخيلة الصغار — فتملكنا نشوة الصور التي ابتدعها الذهن البشري وقد اخذ يتفتح عن ازاخير الفكر

على ان عصر الابطال لم ينقض . وفي قصص بعض العصرين منهم من الروعة والرواء ما يفوق كل اساطير القدماء . وهذه قصة رجلٍ فردٍ، من ابناء عصرنا، تغلب على عدوٍ صغير، ولكنه عدوٌ فتاك ، ولولاه لكان ذلك العدو ماضياً الآن يفتك بالوف الوف الناس كل سنة ذلك الرجل هو السر رونلد رُس . والعدو الذي قهره هو البعوضة الناقلة لطفيلى المالاريا ووجه الاختلاف بين رُس ، البطل العصري ، وابطال الاساطير الاقدمين ، ان اولئك عرفوا عدوهم وما يتصف به واين يوجد . فكانوا على بيّنة مما يقدمون عليه . اما هو فكان عليه ان يكشف اولاً في اية صورة من الصور تخفي قوة هذا العدو ، واين يستطيع لقاءها، واية الاسلحة تفيد في مكافحتها والتغلب عليها . فاستغرق بحته سنين من الدأب المضني ولكنه توج في اغسطس سنة ١٨٩٧ بتاج الظفر ، اذ كشف رُس طفيلي مالاريا العصافير ، وهو مرض شديد الشبه بمالاريا الناس ، في معدة انثى من صنفٍ من البعوض يدعى انوفيليس

جرّد رُس سلاحه ضد هذا العدو الذي لا يرى . اما قصة الحرب التي شنّها ، وحديث الايمان الذي لا يقهر ، والجهد المضني الذي لا يني ، فناروع القصص في تاريخ الشعب البريطاني . كان امامه سبيل واحد وهو المضي في تشريح البعوض تحت عين المجهر الى ان يفوز بالعثور على طفيلي المالاريا في احداها وقد شرّح اكثر من الف بعوضة على ما يقال . كان هذا العمل يقتضي قوة عشرات من الجبابرة وصبر كثيرين من امثال أيوب . فقد كان محتوماً على رُس ان يشتغل في جو استوائي شديد الحرارة والرطوبة في كلكتة من دون ان يستعمل «مروحة الخيش» لان هوائها ينثر قطع البعوض الدقيقة التي على مائدته . وكان محتوماً عليه كذلك ان يقضي نحو ساعتين في تشريح كل بعوضة وفحصها في حين ان اخواتها كنّ يهاجمنه من

غير مهادة . وكان الهنود — وهم على وشك ان يجنوا اعظم الفوائد من بحثه — ينظرون اليه شزراً ، ويظنونهُ ساحراً ، ويترددون في مدّ اصابعهم لوخزها واستخراج الدم منها بغية لخص كرياتة ، مع انه كان ينفخهم بثلاث ربيات لقاء كل وخزة

واخيراً في ٢١ اغسطس ١٨٩٧ لمح الجندي الباسل العدو الفتاك الذي خرج لذبحه . في ذلك اليوم ، ابصر رُس على جدران غرفته ببعوضة من نوع لم يمتحنه قبلاً ، فقبض عليها فرحاً ، وكانت نوعاً خاصاً من جنس الانوفيليس . ثم جاءهُ في ذلك اليوم نفسه ، احد جامعي البعوض بنحو ١٢ بعوضة من هذا النوع . فوضع البعوضات واحدة اثر واحدة على شريحة الميكروسكوب وشرّحها ، مكروناً مكروناً (المكرون هو جزء من الف جزء من الماسر) ولكن لم يعثر بجديد يسترعي النظر ، فاقبل على الاخيرة ، ومرارة الاخفاق في عينيه

وهنا تترك الكلام لرُس يقصُّ نهاية بحثه الاخاذة قال : —

كان التشريح تاماً . ففحصت الانسجة بعناية . بعدما صارت معروفة لدي . باحثاً في كل مكرون بنفس اللفة والعناية اللتين يبحث بهما في قصر خرب عن كنز مدفون . لا شيء — كلا ان هذه البعوضات الجديدة سوف تخبني . لا بد من خطأ في الظرية . ولكن نسيج المعدة لم يفحص بعد . رأيتُه ملقاً هناك فارغاً رخواً ، على شريحة زجاجية وهو امتداد فسيح ابيض من الخلايا كدار كبيرة مبلطة . كل خلية يجب ان تفحص بدقة . عمل نصف ساعة على الاقل . وكنت متعباً . فقلت وما الفائدة من البحث . واطن انني كنت قد فحّصت اكثر من الف بعوضة قبل ذلك ولكن ملاك القدر وضع لحسن الحظ يده على رأسي . فرأيت امامي دائرة صافية قطرها نحو ١٢ مكروناً وكانت جليلة جلاء غير عادي . والخلية اصغر من ان تكون خلية عادية في معدة بعوضة . فحدثت قليلاً . ها هي خلية اخرى . تشابه الاولى كل الشبه . وكان الجو حاراً معتماً . واذكر انني فتحت حذقة الميكروسكوب لادخال قدر كاف من النور اليه ثم غيرت ضبط العدسة . في كل من هذه الخلايا رأيت مجموعة من حبيبات صغيرة سوداء كالحرير

كانت هذه الحبيبات طفيليات ملارية . وبعد يوم رآها وقد كبر حجمها . ومن ثم ، تتبع طفيلي الماريا ، درجة درجة ، من معدة الانوفيليس ، الى ممصّه ، (وهو كالخرطوم) وبه يدخل الى مجرى الدم في الطيور اي في ما تلتسعه البعوضة من الطيور

كان هذا اكتشافاً مجيداً ، وخالداً ، لانه مهد السبيل لمنع الماريا ومعالجتها العلاج الناجع ولانه مكّن الاطباء والعلماء كذلك من مكافحة الامراض الاستوائية وغير الاستوائية بالجري على الخطة نفسها في البحث والمكافحة

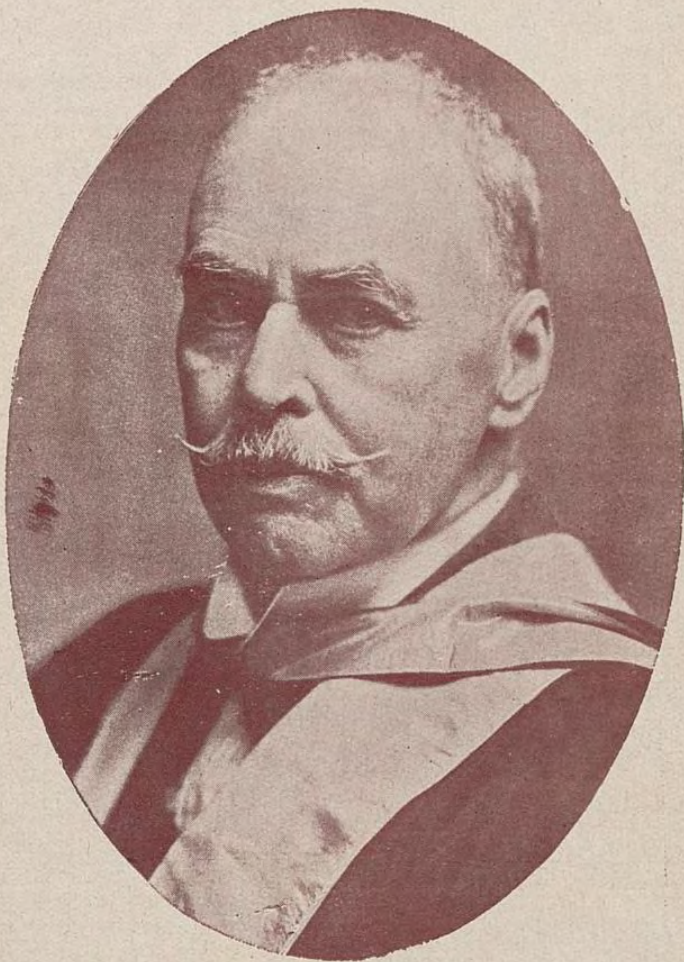
وقد وصفهُ شاعر العرش البريطاني جون مايسفيلد بانه اعظم عمل قام به الانسان في عصرنا

— ٢ —

ولد السر رونلد رُس في أُمسورا بالولايات الهندية الشمالية الغربية عند سفح جبال حماليا سنة ١٨٥٦ وهو اكبر ابناء الجنرال السر كامبل رُس . فلما كان في الثامنة من عمره بعث به والده الى انجلترا وعهدا به الى عمّه له قاطن جزيرة ويسط فتلقي مبادئ العلم في مدرسة سبرنغفيل في مدينة سوثمبتن وهي تناوح جزيرة ويسط على شاطئ انكلترا الجنوبي . ويؤخذ من مذكراته انه كان في حياته شديد الميل الى الهندسة والرياضيات والموسيقى . وقد ظل شديد الميل اليها حتى قال مرة انه

ظن ان بحثه في انتقال الملاريا ومكافحتها ليس الا فترة في عمله الطبي الذي لم يقع من نفسه وقعا عظيما
وفي سنة ١٨٧٥ دخل مستشفى سانت برتوليو في لندن لدرس الطب فلما انقضت عليه اربع
سنوات فاز بشهادة عضو في كلية الجراحين الملكية . ولكنه لم يكن في اثناء تلقي العلوم الطبية
تلميذا ممتازا . بل كان لا يميل قط الى الدروس السريرية مما جعله على التفكير بالتحويل الى درس
الفنون . ولكن البحث المجهري كان الموضوع الوحيد ، بين الدروس الطبية ، الذي فتن لبته
على ان والده السر كاميبل رُس . كان جنديا ممتازا ذا مقام رفيع في جيش الهند ، كما كان
جده من قبله ، فكان الطريق ممهدا امام رُس لانتظام في سلك القسم الطبي في جيش
الهند ، والمحافظة على تقاليد اسرته ومقامها فيه . فانتظم فيه سنة ١٨٨١ ملبياً دعوة ابيه
غير مدفوع بباعث نفسي خاص . وتنقل في الهند من ميسور الى بنغالور الى مدراس الى
كوتّا الى مولمين في برما الى جزيرة أندمان ، فكان يقوم بأعماله الطبية في كل منها خير قيام
ولكن لم يبد عليه في اثناء ذلك كله أي ميل خاص للبحث العلمي . فأهمل حتى ميله الشديد
السابق الى البحث المكروبي . وقضى وقت فراغه ينظم الشعر ويدرس مسائل الرياضة العالية .
وفي هذه الفترة تبينت له علاقة وطيدة بين الموسيقى والرياضة . فجعل يكتب الرسائل
الرياضية ويبعث بها الى المجلات الخاصة بها مع ما كان يناله من رفض نشرها . ونظم رواية
شعرية عنوانها « ابن الاوقيانوس » . وقد نشرت هذه الرواية وغيرها من الفصول النثرية
التي كتبها فائز النقاد ثناء جمّا على ما يبدو فيها من آثار الخيال الرائعة . واشتغاله بالرياضة
والادب الموسيقي ، هوّن عليه البقاء في الهند قبل الرجوع الى انكلترا في اجازته الاولى
وكان مجال العمل في ناحية الصحة العامة في الجيش الهندي متسعاً للعامل النشط ، فلما اقترب
موعد اجازته الاولى عزم على البقاء في الجيش وان يقضي اجازته في انكلترا في درس موضوع
الصحة العامة والحصول على شهادته (D. P. H.) التي كانت قد انشئت حديثاً في مدارس انكلترا
وفي سنة ١٨٩٠ عاد رُس الى الهند وقد تمكن من اصول علم البكتيريا فشغل منصب جراح
مستشفى بنغالور . ومع ان عنايته بالموضوعات الادبية والرياضية لم تنقطع بعد عودته
على مطالعة المؤلفات الطبية ، فأدرك اثر علم البكتيريا ومقامه في مكافحة الامراض الاستوائية .
فلما انقضت مدة عمله في بنغالور سنة ١٨٩٤ عاد الى انكلترا وعرض على الاستاذ كانتاك آراءه في اصل
الملاريا فقدمه هذا الاستاذ الى باترك مانسن Manson وهو امام الطب الاستوائي في ذلك العهد
كان مانسن يعرف كل ما يعرف عن طفيليات الملاريا^(١) في ذلك العهد ، وكان ذكؤه قد

(١) رأى لافران الفرنسي سنة ١٨٨٠ ، وهو في الجزائر حينئذ اجسامنا خيطية على جوانب خلايا الدم
الجرا في مريض مصاب بالملاريا ، وكانت تشبه الذنبيات وتتحرك داخل الخلايا وتحمل محل المادة الملوثة فيها .
فقام في نفسه ان هذه الاجسام من النوع الطفيلي وانما هي سبب الملاريا ، وبعت باكتشافه هذا الى الاكاديمية
العلمية والاكاديمية الطبية في باريس سنة ١٨٨٠ و١٨٨٢ كتاباً في ذلك رسالة موضوعها الملاريا مرض طفيلي
ووصف الاجسام التي وجدها في دم المصابين بها



السِرُّ رُونَالْد رُوسْ
Sir Ronald Ross

امام صفحة ٤١٣

مقتطف نوفمبر ١٩٣٢

هداه الى القول بأن للبعوض شأنًا في نقل الداء من انسان الى آخر . ولكن قوله هذا لم يكن حدسًا من دون سند علمي . ذلك ان مانسن كان قد بحث في الصين في مرض يسببه طفيلي يدعى « فيلارية بانكرفت » وهناك كشف عن ظاهرتين غريبتين في حياة هذا الطفيلي — وهما ظهوره في دم الانسان في الليل دون النهار وفقدانه غمده اذا اخذت قطرة من الدم وبردت فكاها تستعد لحياة اخرى . فسأل نفسه مامعنى كل هذا وهل له علاقة بأدوار حياة الطفيلي . وكان قد تحقق ان هذا المرض لا يمتد باللمس والمخالطة ، وان لا بدله من اسلوب دقيق يمكن الطفيلي من الخروج من جسم الانسان . فحكم من هذه المقدمات على ان البعوض هو هذه الوسيلة في الغالب . فاذا مصّ البعوضة دم الانسان ، امتص الطفيليات كذلك ، فتعيش في البعوضة مدى حياتها ، ثم اذا ماتت البعوض اتصلت الطفيليات بالماء ثم تنتقل الى جسم الانسان . كذلك قال مانسن واتبع قوله بالاكتاب على درس الملاريا في لندن فشهد بعض ظواهر في طفيلي الملاريا حسبها ادوارًا في حياته افضى مانسن الى رؤس بكل هذا ، وكان قد اصبح رؤس بكتير يولوجيًا بارعًا ، فاسترعى البحث كل عنايته ، وبوجه خاص لما ادرك ما ينطوي عليه كشفه لنقل طفيلي الملاريا من امكان مكافحة هذا الداء الويل . ففرض نحو سنتين يبحث على غير طائل . فشرّح أكثر من الف بعوضة ، باحثًا في كل نسيج من أنسجتها عن الطفيلي المنشود . ولم يكن يعلم حينئذ ولا كان مانسن يعلم ، ان أنواعًا خاصة من جنس بعوض الانوفيليس تحمل هذه الطفيليات دون غيرها . ولكنه عثر أخيرًا على نوع جديد من بعوض الانوفيليس ، قريباه وغذاه بدم مصاب بالملاريا وبعد اقتضاء ايام على ذلك شرّح نسيج المعدة فوجد فيه طفيلي الملاريا — وهو جسم دقيق ولكن عين الباحث البصيرة تبينت فيه الطفيلي الذي تبحث عنه ، لأنه كان يحتوي على حبيبات من المادة الملونة التي تمتاز بها خلايا الدم الحمر . فتخطى بذلك عقبتين في آن واحد ، فكانه اصاب عصفورين بحجر ، ذلك انه عرف في اي نسيج من انسجة جسم البعوض يعيش الطفيلي ، وثانيًا عرف نوع البعوض الخاص الذي ينقله بين مئات الانواع والاجناس من البعوض والظاهر انه يندر بين رجال الحكم في كل البلدان من يستطيع ان يقيم للبحث العلمي قيمة صحيحة ، فعين رؤس ، وهو في مستهل النصر الكامل في مقاطعة خالية من الملاريا . ولكن مانسن انتصر له ، فُنُقِل الى منصب لا يشغله فيه الا البحث العلمي . فتمكن في سنة ١٨٩٨ من نقل الملاريا من عصفور الى عصفور ولم يلبث أن تتبع تتبعًا علميًا دقيقًا ادوار حياة الطفيلي من ممصّ البعوض الى دم العصفور الى معدة البعوض فالى الممص من جديد . ثم جرى علماء ايطاليين على طريقته فأثبتوا في جسم الانسان ما كان قد اثبتته في اجسام العصافير . فلما عرض مانسن النتائج التي اسفرت عنها مباحث رؤس على القسم الخاص بالامراض الاستوائية في مؤتمر الجمعية البريطانية الطبية في ادنبره سنة ١٨٩٨ احدث أثرًا عظيمًا في نفوس الاعضاء فوقوا مهللين

- ٣ -

ولكن الانسان لا يخلو من ضدٍّ او شائٍ او حاسدٍ ولو كان في رأس الجبل . ففي السنوات الاخيرة من القرن الماضي وفي مطلع هذا القرن دار نزاع عنيف على السابق في اكتشاف ناقل الملاريا وتتبع ادوار حياته . وعقد النصر مؤقتاً حينئذٍ ، لأطباء ايطاليا ، الذين ادعوا انهم سبقوا رُس . ولكن الانصاف حمل كوخ ولاقران ولستر ومتشكوف واسر سنة ١٩٠١ على اعادة التاج الى رأس مستحقه . ولما التأم مجمع تقدم العلوم البريطاني اقترح اللورد لستر توجيه الشكر الى رُس باسم المجمع فقال في اقتراحه « ان اكتشاف بعوض الملاريا وتتبع ادوار طفيليه يعود الفخر فيهما الى رُس وحده وما امتاز به من براعة وحماسة ومثابرة » وفي سنة ١٩٠٢ وهب جائزة نوبل الطبية وكانت قيمتها حينئذٍ ٧٤٠٠ جنيه وكان رُس مثلاً في الاعتراف لكل عامل بنصيبه . فكتب سنة ١٨٩٨ ما يأتي : « هذه المشاهدات تثبت نظرية انتقال الملاريا بالبعوض التي ابدعها الدكتور مانسن . ولا بد لي في الختام من الاشارة الى مدى استفادتي بارشاده ومعاونته . فان نظريته الالمعية عينت لي الطريق فما كان علي الا السير فيه » بعد رجوعه من الهند سنة ١٨٩٩ عين مدرساً في مدرسة الطب الاستوائى بجامعة لفربول فظل فيها ثلاث سنوات وراتبه السنوي لا يزيد على ٢٥٠ جنيهاً في السنة ! ثم فتح عيادة للاستشارة الطبية في لندن . ولكن زيارته المتعاقبة الى سيراليون وجزائر موريشوس وجزيرة قبرص والقطر المصري — جاء الاسماعيليه بدعوة من شركة قناة السويس لدرس الملاريا فيها — حالت دون نجاحه كطبيب مستشار نجاحاً مالياً . فنهج رتبة سر سنة ١٩١١ وجعل اصدقائه يفكرون في تشييد معهد للبحث الطبي الاستوائى يجعل هو مديره . ولكن نشوب الحرب حال دون ذلك فعيّن عند نشوبها طبيباً مستشاراً في الامراض الاستوائية المرتبطة بالجيش الهندية في اوربا . ثم ارسل الى الاسكندرية للبحث في الدوسنطاريا الاستوائية التي فشت في الدردنيل سنة ١٩١٧ وركب الى رتبة كولونل سنة ١٩١٨ فلما وضعت الحرب اوزارها عاد الى ميدان العمل الحرّ واكب من جديد على مباحثه وكتاباته الادبية والرياضية ولكن اصدقائه لم يهتموا انشاء المعهد الخاص به فجمعوا له المال وبنوه على اكمة بُشني خارج لندن وافتتحه البرنس أف ويلز سنة ١٩٢٦ وفي السنة التالية رحل رُس الى بلدان الشرق فزار ملابار واسام وبرما ومدينة كلكتة حيث حضر حفلة اراحة الستار عن نصب بني فيها تخليداً لاكتشافه العظيم . وفي سنة ١٩٢٩ بدأ اصدقائه يجمعون له مبلغاً من المال قدره ١٥ الف جنيه ، على اثر عرضه اوراقه العلمية للبيع لما اشرف على الافلاس ، فابتاعت الايدي هوستن هذه الاوراق بالني جنيه واهدتها الى معهد رُس . وكانت وفاته في ١٦ سبتمبر الماضي في معهد رُس بعد مرض طويل

الحياة الاجتماعية في الحيرة

مقال مستل من كتاب « الحيرة : المدينة والمملكة العربية »

تأليف يوسف رزق الله غنيمه

وزير مالية العراق سابقاً

— ٢ —

كان لحانات الحيرة شهرتها الطائرة يقصدها اهل النصف واليهو من سكان المدن والبدو ولا بأس ان ننقل هنا بعض حوادثها للتفككة والفائدة

قال المغيرة بن شعبه : كنت في ركب من قومي في طريق لنا الى الحيرة فقالوا لي قد اشبهينا الحمرة وما معنا الا درهم زائف فقلت هاتوه وهاهوا بزقين فقالوا واما يكفيك لدرهم زائف زق واحد قلت اعطوني ما طلبت وخلاكم ذم ففعلوا وهم يزؤون من قولي فصبت في احد الزقين شيئاً من ماء ثم جئت الى خمار فقلت له كل لي ملء هذا الزق فلاه فأخرجت الدرهم الزائف فأعطيته إياه فقال ان ثمن هذا الزق عشرون درهماً جيداً وهذا درهم زائف فقلت انا رجل بدوي وظننت ان هذا يصلح كما ترى فان صلح والا فخذ شرابك فاكتمل مني ما كاله وبقي في زقي من الشراب بقدر ما كان فيه من الماء فافرغته في الزق الآخر وحملتها على ظهري وخرجت فصبت في الزق الاول ماءً ودخلت الى خمار آخر فقلت اني اريد ملء هذا الزق خمرًا فانظر الى ما معي منه فان كان عندك مثله فاعطني فنظر اليه وانما اردت ان لا يسترهب بي اذا رددت الخمر عليه فلما رآه قال عندي اجود منه قلت هات فخرج الي شراباً فاكتملته في الزق الذي فيه الماء ثم دفعت اليه الدرهم الزائف فقال لي مثل قول صاحبه فقلت خذ خمرك فاخذ ما كاله لي وهو يري اني خلطته بالشراب الذي اريته إياه وخرجت فجعلته مع الخمر الاول ثم لم ازل افعل ذلك بكل خمار في الحيرة حتى ملأت زقي الاول وبعض الآخر ثم رجعت الى اصحابي فوضعت الزقين بين ايديهم ورددت درهمهم فقالوا ويحك اي شيء صنعت فحدثهم فجعلوا يعجبون (١) ومن الشعراء الذين ذكروا خمرة الحيرة والسكر فيها عبدالله بن ايوب التيمي احد الخلفاء الوصافين في الدولة العباسية قال (٢)

هل الى سكرم بناحية الحيرة شنعاء يا قبيص سبيل
وابو التيجان في كفة القرعة والرأس فوقه اكليل

وعرار كأنه يبدق الشطر نج يفتن فيه قال وقيل
ومن نوادر الحمارين في الحيرة بعد الفتح ان الأقيشر شرب يوماً في بيت خمار في الحيرة
فجاء شرطي من شرط الأمير ليدخل عليه فغلق الباب دونه فناداه الشرطي اسقني نبذاً وانت
آمن فقال والله ما آمنك ولكن هذا ثقب في الباب فاجلس عنده وأنا اسقيك منه ثم وضع
له انبوباً من قصب في الثقب وصب فيه نبذاً من داخل والشرطي يشرب من خارج الباب
حتى سكر فقال الأقيشر :

سأل الشرطي ان نسقيه فسقناه بانبوب القصب
انما نشرب من اموالنا فسلوا الشرطي ماهذا الغضب^(١)

ولع الحيريون بالصيد والقنص وخرج اليه ملوكهم وامراؤهم واشرافهم وشبابهم. وتروى
الاخبار والاشعار الكثيرة في وصفه وحوادثه فاقصرنا على الالماع اليه في هذا المقام للايجاز
ولا بد لنا هنا من كلمة عن القيافة التي اشتهر العرب بها وهي معرفة الانسان والحيوان
من آثاره في الرمل او التراب^(٢) وقد مارسها الحيريون وها نحن نورد حكايتين عنها اولهما ان
امراًة مرثد بن سعد بن مالك شغفت بابن اخيه عمرو بن قنعة الشاعر المشهور وراودته يوماً
عن نفسه في غياب عمه فامتنع وارادت الايقاع به عند عمه فكفأت جفنة على اثر بن قنعة .
ولما رجع عمه اخبرته ان رجلاً من قومه قريب القرابة جاء يستامها نفسها ولما سأها عنه اجابته :
أما انا فلا اسميه ولكن قم فافتقد أثره تحت الجفنة فلما رأى الأثر عرفه^(٣)

والحكاية الثانية : ان المرقش الاصغر كان يهوى فاطمة بنت الملك المنذر صاحب الحيرة
وكان لفاطمة قصر يحرسه الحرس وينثرون التراب حول قبتها ويجرؤون عليه ثوباً حين تمشي
ولا يؤذن لاحد بالدخول عايتها الأجارية لها تعرف ببنت عجلان . فحمت الجارية ليلة ما المرقش
على ظهرها واخذته الى سيدتها فلما أصبح الصباح بعث الملك بالقامة فنظروا وعادوا اليه فقالوا
نظرنا اثر بنت عجلان وهي مثقلة .^(٤) والظاهر ان هذه الحكاية موضوعة ملفقة ولكن تدل
دلالة اكيدة على القيافة والعمل بها في الحيرة

اعتقد اهل الحيرة بالخرافات والرواقي شأن الامم القديمة ولا تزال بقايا تلك العقائد عند
اعرق الشعوب في المدنية الآن مما ورثوه من السلف وفي ذلك يقول عدي بن زيد^(٥)
او تكن وجهة فتلك سبيل الناس لا تمنع الختوف الرواقي
وقد تغلغلت هذه العقائد في الطب عندهم ومنها انهم كانوا يعتقدون ان دماء الملوك تشفي
من الخيل^(٦) والكلب^(٧) والمحبة^(٨) وقال المتلمس

(١) كذلك ١٠ : ٨٦ (٢) زيدان آداب اللغة العربية ١ : ١٨٩ (٣) الاغاني ١٦ : ١٥٨
(٤) كذلك ٥ : ١٨٤ (٥) شعراء النصرانية ٤٥٤ (٦) الاغاني ١٤ : ٧٢ (٧) الميداني مجمع
الامثال ١ : ١٥٨ في مثل « خطب يسير في خطب كبير » (٨) الاغاني ١٤ : ٧٢

من الدارمين الذين دماؤهم شفاء من الداء المحبة والحبلى
وقال المثقب العبدى (١) :

يا جريّ الدم مرّ طعمه يبرؤ الكلب اذا عضّ وهرّ
وعلى ذكر الطب نسرد على سبيل المثال بعض ما كانوا يطببون به . يعالجون بالكي من
كان يطعن من الغمّ أو يصعق بخبر أو حادث يفزع (٢) ولا يزال أهل العراق يأخذون بهذه
الوصفة حتى اليوم . وقد كان قسوس النصارى يتعاطون الطب في الحيرة قال أبو الفرج
الأصفهاني بينما المتوكل الليثي بالحيرة رمد رمداً شديداً فرّ به قس منهم فقال مالك ؟ قال
رمدت — قال أنا أعالجك قال فافعل فذرّه (٣) واستعمل اطباؤهم السعوط والدود
قال شاعرهم عدي بن زيد (٤) :

والاطباء بعدهم لحقوهم ضلّ عنهم سعوطهم والدود
وعالجوا الجرب في الابل بالطلاء بالقار ولا تزال هذه الوصفة عند عرب البادية حتى اليوم
قال النابغة الذبياني مخاطباً النعمان في قصيدة (٥)

فلا تتركني بالوعيد كأنني إلى الناس مَطْلِي به القار أجرب
ويجمل بنا أن نذكر هنا ان البيطرة كانت معروفة في الحيرة لمداداة الحيوانات قال الذبياني (٦)
شكّ الفريضة بالمدرى فأنفذها طعن المبيطر إذ يشفي من العضد
وكانوا يداونون العرّ وهي قروح تخرج في عنق الفصيل بكى بعير آخر صحيح فيبرأ
العليل بل قيل انهم كانوا يكوون الصحيح للمناعة لئلا يتعلق به المرض وليس ليفيق العليل
وفي ذلك يقول الذبياني (٧)

لكلفتنى دَنبَ امرئ وتركتهُ كذي العرّ يكوى غيره وهوراتع

ومن عاداتهم انهم كانوا يجعلون الحلي والخلخال في يد من تلدغه الأفعى ويسمون
المدوغ السليم تفاؤلاً . ويحركون تلك الحلي لئلا ينام فيدب السم فيه وقال بعض الأعراب
إذا لدغ الرجل علقنا فيه الحلي سبعة ايام لتنفذ عنه الحمة وإشارة إلى هذه العادة انشد النابغة الذبياني

يُسَهِّدُ من ليل التمام سليمها لحلي النساء في يديه قعاقع (٨)

ومن عادة أشرف الخيرين انهم يرسلون أطفالهم للرضاعة والتربية إلى بيوت معارفهم أو
من يعتمدون عليه من أخصائهم . وكانت هذه عادة العرب في غير الحيرة ايضاً ولا تزال قائمة

(١) شعراء النصرانية ٤٠٤ (٢) الميداني مجمع الامثال ١: ١٥٨ في مثل « قديضط العير والمكواة
في النار » (٣) ٤٠: ١١ (٤) شعراء النصرانية ٤٧٢ (٥) كذلك ٦٥٦ (٦) كذلك ٦٦١ (٧) كذلك
٦٩٣ (٨) كذلك ٦٩٠

حتى اليوم عند بعضهم . ولما ملك المنذر جعل ابنه النعمان في حجر عدي بن زيد^(١) ووضع المنذر بن ماء السماء ابناً له اسمه مالك عند زرارة^(٢) وترك الاسود بن المنذر ابنه شرحبيل عند سنان بن ابي حارثة المري لترضعه زوجته^(٣)

لنقف قليلاً عند اولاد الحيريين ونرى العابهم وملاهيهم . نراهم يلعبون بالدوامة وهو « المصراع » بلسان العراقيين اليوم تصحيف « المصراع » الفصحى قال المتلمس^(٤) وتظل في دوامة م المولود يظلمها محرق^(٥)

ومثلها لعبة الخذروف المنتشرة يومئذ عند العرب وفيها يقول امرؤ القيس في معلقته
دري نخذروف الوليد امرؤ تتابع كفيه بخيط موصل

والخذروف لعبة مستديرة يديرها الصبيان بخيط ادخل في ثقبه وقتل . ولعبوا بالكعب على ما نراه حتى اليوم عند اولاد العراقيين وغيرهم فقد جاء ان المرقش كان يهوى ابنة عمه اسماء فذهب الى أحد الملوك وفي غيابه زوجها عمه من رجل آخر فخره اخوته عند عودته انها ماتت ودفنوا عظام كبش في قبر وهموه انه قبرها فأخذ يزوره فبينما هو مضطجع ذات يوم وابنا اخيه يلعبان بكعبين لهما اذ اختصما في كعب فقال أحدهما هذا كعبي اعطانيه أي من الكبش الذي دفنوه وقالوا اذا جاء مرقش اخبرناه انه قبر اسماء . فاطلع المرقش على الخبر من قول الولد^(٦) . .

وفي الحيرة العاب لعبها غير الاولاد منهم . نذكر الطَّبْن وقيل هي السُّدر قال المتلمس من قصيدة يهجو الملك عمرو بن هند^(٧)

أعني الخوالة والعموم فهم كالطَّبْن ليس لبيته حوّل

ومن العابهم الجعري وهي لعبة للصبيان وهو أن يحمل الصبي بين اثنين على أيديهما ولا تزال هذه اللعبة حية بين اولاد العراقيين ويسموننها في بغداد « صندوق عال » والبوصاء وهي لعبة لهم يأخذون عوداً في رأسه نار فيديرونه على رؤوسهم . وهذه موجودة في العراق ولكن اسمها غير معروف اليوم . و « الخُطَّة » يخط الصبيان دائرة ويقف فيه صبي ويحيطون به ليأخذونه . وهي باقية في بلاد الرافدين بهذا الاسم والوصف وربما سميت في اللغة الفصحى الحاجورة ايضاً . والزحلوقة تزج الصبيان من فوق التل إلى أسفل . واللعبة مشهورة في العراق ويسمونها بعضهم الزحلوقة . أما الحوالس فلعبة لهم بالحصى وأنشد الشاعر :

(١) شعراء النصرانية ٤١٦ (٢) الاغانى ١٩ : ١٢٨ (٣) ابن الاثير ١ : ٢٣٣ (٤) شعراء النصرانية ٣٤٦ (٥) الدوامة لعبة صبيان العرب يرمون بها على الارض بخيط فتدوم اي تدور . يقول شاعرنا بهذا البيت لعمر بن هند ملك الحيرة : لك هذه الدنيا وهذه القصور وانت اذا أخذ من ابنك دوامة تحرق اي تلهب غضباً (٦) الاغانى ٥ : ١٨٠ (٧) شعراء النصرانية ٣٣٩ والمشرق

فأسألني حللي فبتُ كأنني أخو خرقٍ يُلهيه ضرب الحوالس
قلنا هذه اللعبة تسمى في الموصل « الحالوسة » وفي بغداد والشام « المنقلة » يلعب فيها اثنان
يأخذ كل منهما ٤٩ حصاة أو ودعة أو خرزة ويوزعها كلٌّ منهما على سبع حفرة محفورة في
خشب متقابلة ويأخذ كل في دوره محتويات إحدى الحفر من الحصى ويلقي حصاة في كل
حفرة من الأربع عشرة حفرة وهكذا يسير في توزيعه فإذا انتهى إلى حفرة فارغة وألقى فيها
حصاةً. يبدأ الآخر بتوزيع الحصى وإذا انتهى إلى حفرة صار فيها حصتان أو أربعة حصى
ربح هذه الحصى وما في الحفرة المتقابلة
ومن ألعاب الحيريين المخراق وهو منديل أو نحوه يُلوَّى فيضربُ به أو يُلفُ فيفزع
به وأنشد أبو علي :

أرقت له ذات العشاء كأنه مخاريقٌ يُدعى وسطهنَّ خريج
قلنا ولا تزال هذه اللعبة معروفة في بغداد يسميها صبيانهم باسم تركي « قره قامجي »
معناه السوط الاسود

ومن ألعابهم المِقلَّة والقُلَّة عودان يلعب بهما الصبيان فالعود الذي يضرب به هو
المِقلَّة والقُلَّة خفيفة الخشب الصغيرة التي تنصب ويقال لها أيضاً المقلء والقُل وأُنشد الشاعر
كأنَّ نزو فراخ الهام بينهم نزو القلات زهاها قال قالينا
وهذه اللعبة تعرف في العراق حتى اليوم ويسميها الصبيان والبغداديون « الشنطرة
والبلبل » عوضاً عن المقلء والقُلَّة (١)

كما أنهم لعبوا بالنرد والشطرنج اللتين أخذهما العرب من العجم (٢) وتعلموا لعبة
الصولجان من العجم أيضاً (٣)

وكان من عادة الحيريين إذا أراد الرجل منهم امرأً نذر أنه لا يشرب الخمر ولا يغسل أو لا
يأكل اللحم أو لا يعمل ذلك كله حتى يتم له الأمر (٤)

ولهم عادات في الموت والمناحة. فكانوا يكفنون موتاهم ويحنطونهم وتقوم نادبة تندبهم (٥)
وقال عدي بن زيد في النائحة : (٦) سأ كسب مجدداً أو تقوم نوائح

وكانت المرأة عندهم إذا ناحت قائمة على زوجها علم أنها لا تريد أن تتزوج بعده وهكذا
فعلت عائشة بنت طلحة على زوجها الأخير عمر بن عبيد الله بن معمر (٧)

ولا تثريب علينا أن مررنا بكم بطرق الحيرة وطفنا مجتمعاتها وسمعنا صور حِلَف القوم

(١) راجع المخصص لابن سيدة ١٣ : ١٦ — ١٩ والساق على الساق لفارس الشدياق ٨٧ للتوسع

(٢) الاغانى ٨ : ٩٥ (٣) شعراء النصرانية ٤٤١ (٤) الاغانى ١٠ : ٨٦ (٥) كذلك ١٩ : ٨٨

(٦) شعراء النصرانية : ٦٧ (٧) الاغانى ٢ : ١٣٣

بمقدساتهم ومعتقداتهم واقسامهم الدالة على نفسياتهم واديانهم فها اننا نسمع ملكهم المنذر يقسم لزيد بن عدي « حق سبد » وسبد صنم اهل الحيرة ^(١) وها اننا نسمع عبد المسيح المتلمس يحلف باللات والانصاب وهو يهجو عمرو بن المنذر فيقول ^(٢)

أُطْرَدْتُني حَذَرَ الهِجَاءِ وَلَا وَاللَّاتِ وَالْانْصَابِ لَا تَسْلُ

ونسمع المنذر يقسم ايضاً باللات والعزى ويقول بعدها لك عدي بن زيد لما اراد اهل الحيرة اخذ الف ناقة كانوا قد اعطوه اياها يوم ولوه عليهم « لا واللات والعزى » لا يؤخذ مما كان في يد زيد تفروق ^(٣) وقد جمع شاعر الحيرة عدي بن زيد في قسمه بين مكة والصليب في قصيدة نظمها في سجنه يوم القاه فيه النعمان : ^(٤)

سَعَى الْاَعْدَاءِ لَا يَأْلُونَ شَرًّا عَلَيْكَ وَرَبِّ مَكَّةَ وَالصَّلِيبِ

وحلف عمرو بن عبد الجن بالعزى والنسر وما يضحى عليهما من الضحايا وبقران المسيح على الهيكل فقال : ^(٥)

أما ودماء مائرات تخالها على قلة العزى او النسر عندما

وما قدس الرهبان في كل هيكل أبيل الابلين المسيح بن مريما

وجاء في حلف الاخلل القسم بمكة ومناسك الحج ^(٦)

اني حلفتُ رب الراقصات وما أضنى بمكة من حجب وأستار

وبالهدايا التي احرمت مزارعها في يوم نسك وتشريف وتنحار

وما بززم من سمط محلقة وما يثرب من عور وأبكار

واقسم الاعمى ذا كرا يوم ذي قارقائلاً ^(٧)

حلفتُ بالملح والرماد وبالـعزى وباللات تسلم الحلقة

ومما يسترعي الانتباه في هذه الاقسام ان بعض هؤلاء الشعراء حلفوا بالاصنام والاولثان ومكة في الجاهلية اخذاً بعاداتهم القومية ليس الا كما يقال باللاتينية حتى في عهدنا بحق هر كل « Mehercle » او بالايطالية بحق بخوس « Per Bacco » . ^(٨)

واقسمت هند بنت النعمان « بالصليب » لما رفضت المغيرة بن شعبة اذ جاءها خاطباً فقالت له « والصليب » لو علمت ان في خصلة من جمال او شباب رغبتك في لأجبتك ولكن اردت

(١) الاغانى ٢ : ٢٠ (٢) شعراء النصرانية ٣٣٩ (٣) شعراء النصرانية ٤٤٥

(٤) الاغانى ٢ : ٢٣ (٥) الطبري ٢ : ٣٤ ونسب الاب شيخو في كتابه النصرانية وآدابها ص

٤٠٤ البيت الاول للاخلل وذكر ص ١٩٠ ان البيت الثاني منسوب للاعشى وللاخلل ولابن عبد الجن

(٦) ديوان الاخلل ١١٩ (٧) الاغانى ٢٠ : ١٣٩ (٨) شيخو: النصرانية وآدابها ص ٤٠٤

ان تقول في المواسم ملكت مملكة النعمان ونكحت ابنته « فبحق معبودك » اهذا اردت .
قال اي والله قالت فلا سبيل اليه فقام المغيرة وانصرف ^(١)

واقسم عدي بن مرينا قبل عهد هند بالصليب والمعمودية قال للاسود بن المنذر قد غشك
عدي بن زيد « والصليب والمعمودية » ^(٢) ونسمع حنين ابن بلوع يقول ان صوت ابن سريج
ما صنع « والصليب والقربان » الا في منزلنا وفي سرداب لجدي ^(٣) وعلى ذكر الحلفان بالقربان
نقول ان العرب في الجاهلية سميت القربان الشبر واقسم به عدي بن زيد ^(٤)

إذا أتاني نبأ من مُنْعم لم أُخْسنه والذي اعطى الشبر
وحلف الأخطل هكذا « قدوس قدوس وحق الصليب » ^(٥) وحلف في محل آخر
« والمسيح » ^(٦) كما حلف قبله جد حنين الحيري « فوحي المسيح » ^(٧) وكان يحلف نصارى الحيرة
بالله قال عدي بن زيد ^(٨)

إنني « والله » فاقبل حليتي لأبيل ^(٩) كلما صلي جأراً
وحلف قصير بن سعد للزباء يوم قصدها وهو أجده قائلاً « ورب البشر » ما كان على
ظهر الارض أنصح لخدمة جديمة مني ^(١٠)

وكانوا يقسمون بكتاب الله فهذا زيد بن عدي النصراني يقول ^(١١)
ناشدتنا « بكتاب الله » حرمتنا ولم تَكُنْ بكتاب الله ترتفع

ومن عادة الحيريين للتوثيق من قسمهم انهم يحلفونه في البيعة وقد قام بهذا كل من عدي
ابن زيد وعدي بن مرينا واليك رواية الاغاني ^(١٢) . . . وقام عدي بن زيد الى البيعة خلف
ان لا يهجو عدي بن مرينا ابداً ولا يبغيه غائلة أبداً فلما فرغ عدي ابن زيد قام عدي بن
مرينا وحلف . . .

نقف عند هذا الحد في موضوعنا راجين أن تتوفق الى الاسهاب فيه عند طبعنا كتابنا
« الحيرة : المدينة والمملكة العربية »

بغداد

يوسف غنيمة

(١) الاغاني ٢ : ٣١ (٢) كذلك ٢ : ٢٢ (٣) كذلك ٢ : ١٢١ (٤) شعراء النصرانية
٤٥٢ (٥) الاغاني ٨ : ٨١ (٦) كذلك ٨٢ (٧) كذلك ٢ : ١٢٢ (٨) شعراء النصرانية
٤٥٣ (٩) الايل حبر النصارى وهو ايضاً السيد المسيح (١٠) الاغاني ١٤ : ٧٢ (١١) شعراء
النصرانية ٤٧٢ (١٢) ٢ : ١٢٢

ماثر الحضارة العربية

في العلم والعمران

في اقل من قرن واحد افتتح العرب كثيراً من البلدان حتى وصلوا الى اسوار الصين واصبحوا ذوي سيادة وسلطان ، وبعد ان استتب لهم الامر تحولت عنايتهم الى ناحية العلم فصرفوا اكثر همهم اليه وبقي اعتناؤهم به بارزاً رغم ما اعترى الخلافة العباسية من ضعف وانحلال . ولم تضعف النهضة العلمية رغم استقلال كثير من الامارات عن بغداد ، فعوضاً عن ان يكون لها مركز واحد صار لها مراكز عديدة في حواضر الامارات المستقلة . ولقد استطاع العرب في مدة وجيزة ان يترجموا كتب اليونان والفرس والهنود في مختلف العلوم ولم يكتفوا بالنقل فقط بل توسعوا في الابحاث العلمية و اضافوا اليها اضافات خطيرة تعتبر اساماً من أساس الحضارة الاوربية القائمة الآن . (وهنا اشار الكاتب المأماً الى آثارهم في اللغة والدين والشعر) كتب العرب كثيراً في التاريخ وبعضهم اجاد اجادة أثارت اعجاب المنصفين من علماء الغرب ، ولقد فاقت مؤلفاتهم فيه مؤلفات غيرهم من الامم ، واذا رجعنا الى كتاب كشف الظنون الذي يبحث في اسماء الكتب والفنون وجدنا فيه اكثر من (١٣٠٠) كتاب غير الشروح والاختصارات وما فقد منها في اثناء الانقلابات التي حدثت في العصر العباسي « ومن الكتب التاريخية ما هو مرتب احسن ترتيب باعتبار السنين كالطبري وابن الاثير وابي الفداء او باعتبار الامم او الدول كالمسعودي والفخري وابن خلدون او بحسب المدن او الملوك مما لا يحصى » (١) . وكان بعض المؤلفين بليغاً في كتاباته مجيداً في سبك عباراته دقيقاً في استنتاجه . ولقد ظهر في المسلمين مؤرخون اعترف لهم الغرب بعقريتهم ولا تزال المعاهد العلمية الاوربية وغيرها تستعين بكتبهم ، فابن خلدون ألف تاريخه المشهور ورتبه على الدول كما اسلفنا وافاض في اخبار المغرب والاندلس مما لم يسبقه اليه احد . ومن مميزات هذا التاريخ مقدمته التي يقول فيها احد علماء الافرنج « ان مقدمة ابن خلدون هي اساس فلسفة التاريخ وحجر الزاوية في هذا العلم » (٢) ويقول آخرون « انها مقدمة فلسفية لم ينسج احد على منوالها قبلها حتى علماء اليونان والرومان وغيرهم من الامم القديمة »

وللعرب فضل في علم الجغرافية وتقدمها فهم بعد ان نقلوا عن اليونان وغيرهم الكتب

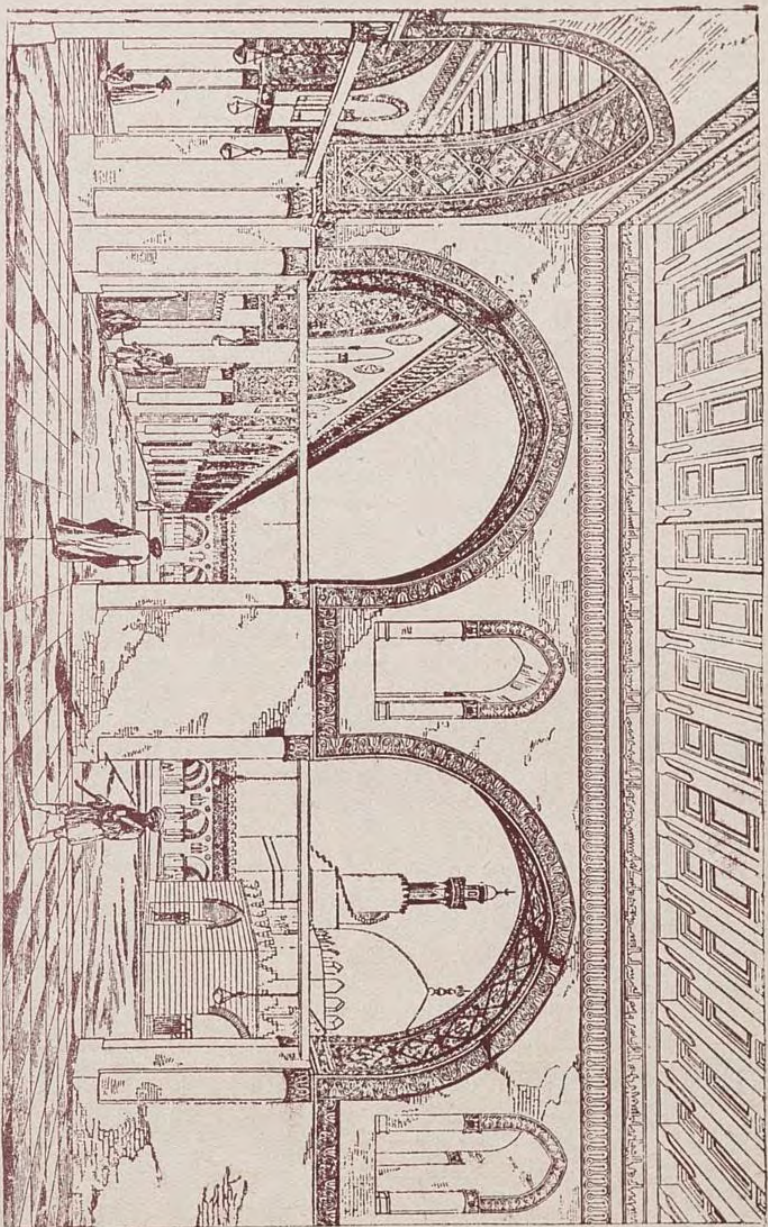
الجغرافية وتوسعوا في مباحثها زادوا عليها ما شاهدوه في أثناء خوضهم البحار وارتدادهم الاقطار. ولقد صححوا كثيراً من اغاليط بطليموس^(١) وامتازوا على الرومان بكونهم عرفوا الصين وتوغلوا فيها وفي افريقيا ايضاً فدخلوا الصحراء الى بلاد السودان. ويمتاز العرب على الأمم التي سبقتهم بكونهم استطاعوا ان يؤلفوا في الجغرافية ويرسموا الخرائط ويبدعوا في ذلك وحسبهم فخراً أنهم اول من عرف اصول الرسم على سطح الكرة واول من وجد بطريقة علمية طول درجة من خط نصف النهار. واشهر جغرافي العرب المسعودي والبيروني والادريسي وياقوت والمقرئزي والقزويني وابن بطوطة. اما الادريسي فهو انبغ الذين ظهوروا في القرن الثاني عشر للميلاد^(٢). وهو مؤلف كتاب (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) وقد ألفه لروجر ملك صقلية ورتبه على الاقاليم السبعة واورد فيه اوصاف البلاد والممالك تفصيلاً، وعمل لروجر خارطة على كرة مسطحة من الفضة^(٣) ورسم عليها الاقاليم والاقطار التي كانت معروفة في زمانه. ولقد استرعى الادريسي انتباه علماء الفرنجة اكثر من غيره لانه كان حلقة الاتصال بين جغرافية الاسلام وجغرافية الافرنج، ويقول كتاب تراث الاسلام «ان طلب الملك روجر ملك صقلية عمل كتاب جغرافيا ورسم خرائط من عالم مسلم مما يدل على ان تفوق المساميين العلمي كان معترفاً به في ذلك العهد»^(٤)

يقول بعض الكتّاب ان العرب لم يكونوا غير نقلة ماهرين ولم يعرفوا من العلوم الا جانبها النظري وهذا القول يردده بعض الذين يدعون العلم من الغربيين المتعصبين ويقلدوهم في ذلك بعض المتعلمين منا، وهو قول لا شك فيه خطأ وتحامل. فلقد ثبت حديثاً لدى الباحثين المنقبين المنصفين من علماء الغرب ان العرب كانوا مبدعين مخترعين اكثر منهم ناقلين في كثير من فروع المعرفة. ففي الطب بعد ان عكفوا على دراسة ما اخرج اليونان والسريان والكلدان اصلحوا بعضه وزادوا عليه ويعترف كتاب تراث الاسلام «ان العرب زادوا على الطب اليوناني كثيراً وزيادتهم مبنية على التجربة اي انها كانت عملية» وهذا يرد رأي القائلين بان علوم العرب كانت نظرية مبنية على الاسلوب الغيبي. وقد ظهر لهم فيه مؤلفات قيمة كالقانون لابن سينا وكتاب التصريف لمن عجز عن التأليف لابن القاسم خلف بن عباس الزهراوي الاندلسي ولقد استفاد الافرنج من هذا الكتاب في نهضتهم الحديثة فائدة كبرى. وبقيت بعض المؤلفات الطبية العربية تدرس في جامعات اوربا حتى القرن الثامن عشر للميلاد. والذين نبغوا في الطب عند العرب كثيرون وتصفح بسيط لكتب طبقات الاطباء وتراجم الحكماء وكشف الظنون وغيرها تثبت ان الذين زاولوا الطب والصيدلة كثيرون جداً. وقد كان هؤلاء نظام مخصوص يسرون عليه ورئيس يمتحنهم ويحيز المقتدر منهم وبلغ عدد الاطباء في زمن المقتدر

(١) زيدان — تاريخ التمدن الاسلامي ج ٣ ص ٩٧ (٢) كتاب تراث الاسلام (Legacy of Islam) ص ٨٩ (٣) دائرة المعارف البريطانية مادة (Map) (٤) كتاب تراث الاسلام ص ٨٩

بالله في بغداد « ثمانمائة رجل ونيفاً وستين رجلاً سوى من كان في خدمة السلطان » (١) ولم يقتصر النبوغ في الطب على الرجال فقط فلقد نبغ في النساء عدد غير قليل كاخت الحفيد بن زهر الاندلسي وابنتها اللتان كانتا عالمتين بصناعة الطب والمداواة ولهما خبرة جيدة بما يتعلق بمداواة النساء (٢). والفحص الطبي عند العرب لا يختلف كثيراً عما هو عليه الآن فقد كانوا يفحصون البول ويحسون النبض ، وانتقدوا كثيراً من آراء اطباء اليونان واصلحوها عدا ترتيبهم الكتب اليونانية وتعليقهم عليها . وهم (اي العرب) اول من استخدم المرقد — البنج — في الطب والكاويات في الجراحة على نحو استخدامها اليوم وهم اول من وجه الفكر الى شكل الاظافر في المسلولين ووضعوا علاج اليرقان والهواء الاصفر واستعملوا الافيون بمقادير كبيرة لمعالجة الجنون ووصفوا صب الماء البارد لقطع الزيف وعالجوا خلع الكتف بالطريقة المعروفة في الجراحة برد المقاومة الفجائي (٣) وكذلك هم اول من كتب في الجذام (٤) وفي الحصبة والجذري والعلق واشكاله وخصائص كل منها . وكانوا يعالجون المرضى ويدرسون الطب في امكنة مخصوصة تسمى بيارستانات وهذه تخرج الاطباء كما يجري الآن في مدارس الطب وكانت على غاية ما يكون من النظام والترتيب اذ كانت مجهزة بكل الادوات الضرورية وبالخدم ومقسمة الى غرف كل واحدة لمرض من الامراض المعروفة عندهم . وبحث العرب في الجراحة واول من اهتم بها الرازي ، ومن برع في عمل اليد واجراء العمليات الجراحية واستعان بالآلات والادوات هو ابو القاسم خلف بن عباس الزهراوي (٥) . واشتغلوا في الصيدلة واشتغلوا بالعقاقير من الهند وغيرها من البلدان ، وتحقق لدى الافرنج ان العرب هم واضعو اسس فن الصيدلة (٦) واستطاعوا ان يستنبطوا انواعاً جديدة من العقاقير يدلنا على ذلك اسمائها التي وضعها العرب والتي لا تزال على وضعها عند الغربيين . واكتشفوا في الكيمياء كثيراً من مركباتها وعرفوا عمليات التقطير والترشيح والتصفيد والتذويب والتبلور وتحضير الكحول واكتشفوا بعض الحوامض المعدنية والقلويات النباتية والمعدنية ، وكتبوا في ابطال الكيمياء القديمة . ويرجح لدى الباحثين ان العرب هم الذين ركبوا البارود ، ويقول ابن الاثير ان العرب استعملوا ادوية اذا طلي الخشب بها امتنع احتراقه . واشتهروا في صناعة الزجاج والتفنن فيها . ولا يفوتنا ان نذكر ان العرب برزوا في علم النبات واشتهر في هذا العلم ابن البيطار ورشيد الدين ابن الصوري الذي كان كثير التدقيق والبحث « فكان يستصحب معه مصوراً (عند بحثه عن الحشائش في منابها) ومعه الاصباغ والليق على اختلافها وتنوعها فكان يتوجه الى المواضع

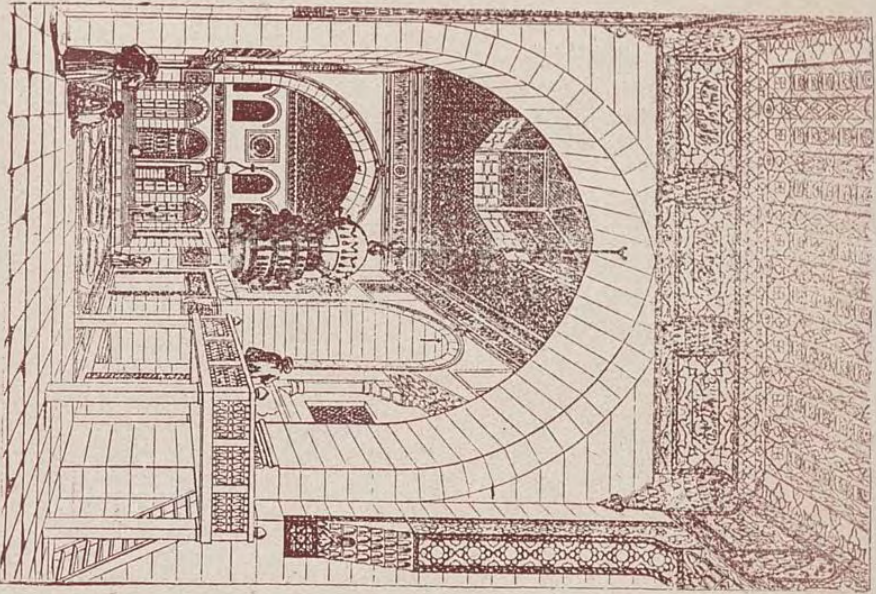
(١) ابن ابي اصيبعة — طبقات الاطباء — ج ١ ص ٢٢٢ (٢) ابن ابي اصيبعة — طبقات الاطباء — ج ٢ ص ٧٠ (٣) زيدان — تاريخ التمدن الاسلامي ج ٣ ص ١٨٠ (٤) ابن ابي اصيبعة — طبقات الاطباء — ج ١ ص ١٨٣ (٥) الدكتور احمد عيسى — آلات الطب والجراحة عند العرب ص ٤ — (٦) زيدان — تاريخ التمدن الاسلامي ج ٣ ص ١٨١



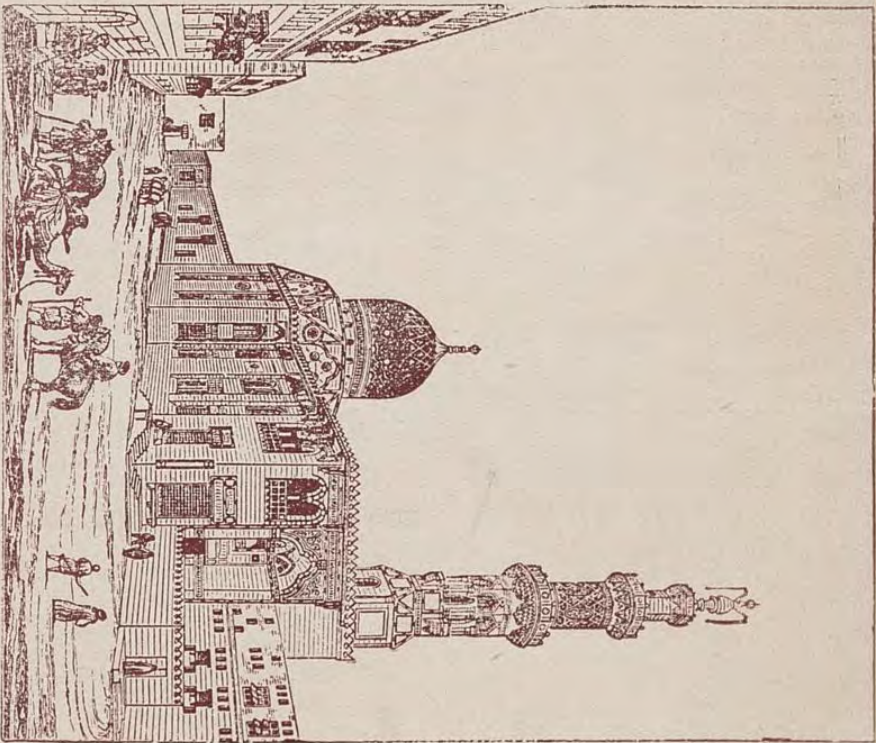
امام صفحة ٢٥٤

صحن جامع ابن طولون في القاهرة عن دائرة المعارف البريطانية

مقتطف نوفمبر ١٩٣٢



جامع قايتباي في القاهرة من الداخل
امام صفحة ٤٢٥



جامع قايتباي في القاهرة من الخارج
مقطف نوفمبر ١٩٣٢

التي بها النبات فيشاهده ويحققه ويريه لمصور فيعتبر لونه ومقدار ورقه واغصانه واصوله ويصور بحسبها ويجهد في محاكاتها، ثم انه سلك ايضاً في تصوير النبات مسلكاً مفيداً وذلك انه كان يري النبات للمصور في اَبان نباته وطراوته فيصوره ثم يريه اياه ايضاً وقت كماله وظهور بزره فيصوره تلو ذلك ثم يريه اياه ايضاً وقت ذواه ويسيه فيصوره فيكون الدواء الواحد يشاهده الناظر اليه في الكتاب وهو على انحاء ما يمكن ان يراه به في الارض فيكون تحقيقه له اتم ومعرفته له ابين « (١) ولا أظن ان علماء النبات في هذا العصر اكثر دقة في ابحاثهم العلمية من ابن الصوري

واشتغل العرب في علم الطبيعة (الفيزيكس) ولهم فيه ابحاث مبتكرة فبعد ان ترجوا كتب اليونان في هذا الفرع توسعوا فيه وزادوا عليه . ولقد استنبطوا طرقاً واخترعوا آلات تمكنوا بواسطتها من حساب الثقل النوعي واستعملوا موازين دقيقة حتى ان فرق الخطأ كان اقل في ٦٠٠٤ من الغرام . وبينوا أن الهواء يحدث ضغطاً من اسفل الى اعلى ، وبحشوا في الجاذبية وقالوا بها (٢) ولهم في الضوء نظريات وآراء لم يسبقهم احد اليها ، ولقد توسعوا فيها كثيراً وصححوا آراء اليونان في بعض المباحث عدا الاضافات التي لولاها لما كان بحث الضوء على ماهو عليه الآن . ويقال ان كتاباتهم هذه هي التي اوحى اختراع النظارات (٣) وكتبوا في العين وتشريحها (٤) واما في الموسيقى فقد زادوا وتراً خامساً زاده زرياب بالاندلس واستنبطوا الآلة المعروفة بالقانون والذي اخترعها الفارابي الفيلسوف وهو اول من ركبها هذا التركيب (٥) ولا تزال عليه الى الآن . ويقال ايضاً ان الفارابي اخترع آلة غربية الشكل في بابها مؤلفة من عيدان يركبها وتختلف الغامها باختلاف تركيبها ، يحكى انه كان مرة في مجلس سيف الدولة فسأله هل تحسن صنعة الغناء؟ فقال نعم « ثم اخرج من وسطه خريطة ففتحها واخرج منها عيداناً وركبها ثم لعب بها فضحك منها كل من كان في المجلس ثم فكها وركبها تركيباً آخر ثم ضرب عليها فبكى كل من كان في المجلس ثم فكها وغيّر تركيبها وضرب عليها ضرباً آخر فنام كل من كان في المجلس حتى البواب فركبهم نياماً وخرج (٦) . وفكروا في امكان الطيران وأول من فكر فيه عباس ابن فرناس ، جاء في نفح الطيب « واحتال في تطيير جثمانه وكسا نفسه الريش ومد له جناحين وطار في الجو مسافة بعيدة ولكنه لم يحسن الاحتيا ل في وقوعه فتأذى في مؤخره ولم يدر ان الطائر انما يقع على زمكه ولم يعمل له ذنباً (٧) »

ولنرجع الآن الى ما عمله العرب في الرياضيات والفلك فنقول بعد ان عكف العرب على

(١) ابن ابي اصيبعة — طبقات الاطباء — ج ٢ ص ٢١٩ (٢) الدكتور صروف — بسائط علم الفلك ص ٢٢ (٣) دائرة المعارف البريطانية مادة Light (٤) كاجورى — تاريخ الفيزيكس ص ٢٣ (٥) ابن خلكان وفيات الاعيان ج ٢ ص ٧٧ (٦) ابن خلكان — وفيات الاعيان ج ٢ ص ٧٧ (٧) المقرئ — نفح الطيب ج ٢ ص ٢٣١

دراسة ما كتبه اليونان والهنود في هذين الفرعين توسعوا فيهما وزادوا عليهما . ففي الحساب بحثوا في الأعداد وخواصها ، وهم أول من استعمل لفظة صفر لنفس المعنى الذي نستعمله نحن ، ويغلب الظن أنهم وضعوا علامة الكسر العشري ، وينسب إليهم اكتشاف ميزان الجمع باسقاط التسعات ^(١) ، وهم الذين نقلوا الأرقام الهندية ، قال الخوارزمي في إحدى مؤلفاته ان الأرقام وصلتنا عن طريق الهند ^(٢) ، وعندهم (اي عن العرب) اخذ الافرنج (الأرقام) . اما في الجبر فللعرب الفضل الاكبر في تقدمه اذ لم يكن معروفاً تماماً عند اليونان . ويمكننا ان نقول دون تردد ان الجبر هو من موضوعات العرب . قال كاجوري ان العقل ليدersh عند ما يرى ما عمله العرب في الجبر . وهم أول من اطلق لفظة جبر على العلم المذكور ، وعندهم اخذها الافرنج ، ولقد اكتشفوا كثيراً من نظرياته التي نعرفها الآن ووصفوا حلولاً جبرية وهندسية لمعادلات ابتدعوها مختلفة التركيب وحلوا المعادلات ذات الدرجة الثانية والثالثة وفي حل القسم الاخير اجادوا جداً ولهم فيه ابتكارات هي محل اعجاب علماء الغرب . قال كاجوري « ان حل المعادلات التكميلية بواسطة قطوع المخروط من أعظم الاعمال التي قام بها العرب » ^(٣) فيكونون بذلك قد سبقوا دكرات وبيكر ، وقد حلوا ايضاً بعض اوضاع للمعادلات ذات الدرجة الرابعة ^(٤) ، ونشر محمد بن موسى الخوارزمي بأمر من المأمون كتاباً في الجبر والمقابلة وهو أول كتاب عربي ظهر في هذا العلم واشتهر هذا الكتاب كثيراً وطار اسمه في الآفاق وله شأن تاريخي كبير اذ كل ما ألفه علماء الفرنجة في الجبر مبني على الكتاب المذكور الذي كان ايضاً اساساً لدراساتهم ومباحثهم الرياضية المختلفة . وأما في المثلثات فلقد تفننوا فيها كثيراً ولهم فيها باع طويلة جداً فهم أول من ادخل المماس في عداد النسب المثلثية ^(٥) واليهم يرجع الفضل في اكتشاف قانون تناسب الجيوب وحسبهم فخرهم اول من اكتشف قانوناً عاماً لحل المثلثات الكروية وأول من عمل الجداول لنظير المماس والقاطع ونظيره . وعلى العموم فالعرب لم يتركوا زيادة مستزيدة في علم المثلثات ويعترف بذلك علماء الافرنج واشتغل العرب في الفلك ولم يقفوا فيه عند النظريات بل خرجوا منها الى العمل - الرصد - ولقد اكتشفوا بعضاً من النظريات المهمة وابتنوا المراصد الكثيرة وأجروا فيها ارساداً جلييلة النفع . وظهر منهم عدد لا يستهان به من الفلكيين ومنهم من اعترف لهم العرب بالعبقريه والتفوق حتى ان لالاند العالم الفلكي الفرنسي الشهير عد البتاني من العشرين فلكياً المشهورين في العالم كله ^(٦) . وقالوا باستدارة الارض وبدورها على محورها ^(٧) وعملوا

(١) كتاب تراث الاسلام ص ٣٩٤ (٢) سميث كارنسكي - الأرقام الهندية العربية ص ٥ (٣) كاجوري تاريخ الرياضيات - ص ١٠٧ (٤) كاجوري - تاريخ الرياضيات - ص ١٠٧ (٥) دائرة المعارف البريطانية مادة مثلثات Trigonometry ونصير الدين الطوسي - شكل القطع ص ١٢٦ (٦) - انظر مقال مقتطف يناير سنة ١٩٣١ (٧) مجلة الكلية مجلد ١٤ ص ٢٧٠

الازياج العظيمة الفائدة وبينوا حركة نقطة الذنب للارض وأصلحوا قيمة الاعتدالين الصيفي والشتوي . وحسبوا قيمة ميل فلك البروج على فلك معدل النهار ومن الغريب ان حسابهم في قيمة هذا الميل دقيق جداً وقد اصابوا في رصدهم وحسابهم الى دقيقة واحدة ^(١) ونتائج حسابهم لبعده الشمس عن مركز الارض قريبة جداً مما وصل اليه العلماء الآن ^(٢) وقد اختلف علماء الغرب في اكتشاف بعض أنواع الخلل في حركة القمر الى تيخو براهي أو الى ابي الوفاء ^(٣) ولكن ظهر حديثاً ان اكتشاف هذا الخلل يرجع الى ابي الوفاء لا الى غيره ^(٤) وهم الذين اخترعوا الاسطرلاب وغيره من آلات الرصد ، واعتنوا كثيراً باتقان صنعها ^(٥) ، ووجدت في احدى الكتب الفلكية (بسائط علم الفلك) ان خمسين في المائة من اسماء النجوم الموجودة فيه من وضع العرب ومستعملة بلفظها العربي في اللغات الافرنجية ، وشدة ولوع العرب بهذا العلم جعل بعضهم «يصنع في بيته هيئة السماء وخيل للناظرين فيها النجوم والغيوم والبروق والرعود» ^(٦)

ولما اصبحت العرب في سعة من العيش وصار لهم سلطان يمتد الى أكثر اقطار المعمور بدأ دور الترف عندهم فخلقوا في سماء الخيال ونبغوا في الشعر وبرعوا في الموسيقى وشيدوا الأبنية التي تحاكي الجنان بحماها وبهاؤها والتي تبهر العقول بفخامتها وزخرفها والتي لها مميزات جعلت الفن الاسلامي في البناء يجمع بين التناسب والتناسق . ونظرة الى جوامع مصر القديمة والى جامع الاموي في دمشق والى قصور الأندلس ومعابدها تريك العظمة والاتقان والمناطة بأجلى معانيها . لا استطيع وصف الحمراء (كما يجب) ولكني قرأت عدة اوصاف لها وكل وصف يختلف عن الآخر ، وما الاختلاف على ما اعتقد الا نتيجة لما عليه القصر من عظمة الفن والجلال الهندسي . والحمراء اقسام اهمها ردهة الحكم ، حوش السبّاع ، حجرة بني سراج ، حوش الرياح ، ردهة السفراء ، وقد نقش جدران كل منها بنقوش هي غاية في الابداع في جلال الفن وروعة المنظر ، وقد اعترف الغربيون بعجائب الحمراء وكثيراً ما وصفوه وغالوا في ذلك متأثرين بالفخامة ودقة الصنعة . ولقد اتخذ الافرنج لكثير من ابنتهم العظيمة ومراسحهم الكبرى أسماء الحمراء أي الحمراء والالكزاري أي القصر ^(٧) وأصبحت كلمة الهمبرا عندهم تعني قصراً منيفاً بديعاً تكتنفه حدائق ذات أشجار باسقة منسقة أجل تنسيق . وعلى كل فقصر الحمراء آية بينة على ما وصل اليه العرب من جاه ورفاهية . ويضيق الوقت عن وصف القصر الكبير بأشبيلية والزهراء والزاهرة وغيرها من القصور والدور التي في الاندلس . ويقال انه كان «في قصر

(١) اسماعيل مظهر — تاريخ الفكر العربي ص ٤٥ — ٤٦ (٢) اسماعيل مظهر — تاريخ الفكر العربي ص ٤٦ (٣) فاندريك — كتاب علم الهيئة — ص ١٣٧ (٤) كاجوري — تاريخ الرياضيات ص ١٠٥ (٥) كتاب تراث الاسلام ص ٣٩٥ (٦) المقرئ — نفع الطيب — ج ٢ ص ٢٣١ (٧) مجلة الكلية مجلد ١٥ ص ٣٣٠

الزهراء كثير من الرخام الابيض والاخضر والوردي والمجزّع ومائة وعشرون تمثالاً من الذهب الأحمر تمثل العقبان والغزلان والتماسيح والشواهين وكلها مرصعة بالجواهر يجري الماء من افواهها^(١) هذه ابنتهم كانت ولا تزال مرتعاً خصباً لقرايح الشعراء وميداناً واسعاً لجولات الادباء فلقد أجادوا وصف هاتيك الديار التي تمتاز على غيرها بقناطرها وقيها السماء، ومآذنها ذوات القمامات الهيفاء، ومقرنصاتها التي جعلت لتزيين تيجان العمدان، وحبكها الهندسية المملوءة خلاياها بنقوش الازهار وأوراق النباتات، وباطاراتها التي كثيراً ما كانت ترصع بكرم الاحجار، وبالالوان المختلفة التي تزيد في جمال البناء وبمسائل المياه التي تعد من آيات فن المعجزات، وبالصور والنقوش الذهبية التي تظهر في قصورها فتزيدها بهاء فوق بهاء قيل في وصف بركة على حافتها اسود تقذف المياه من افواهها وعليها نقوش وطيور:

وضراغم سكنت عرين رياسة تركت خريز الماء فيه زئيرا
فكأنما غشي النضار جسومها واذاب من افواهها البلورا
اسد كأن سكونها متحرك في النفس لو وجدت هناك مثيرا
وتذكرت فتكاتها فكأنما اقعت على ادبارها لتثورا
الى ان يقول: وبديعة الثمرات تعبر نحوها عيناى بحر عجائب مسحورا
شجرية ذهبية نزعته الى سحر يؤثر في النهى تأثيرا
قد صوبحت اغصانها فكأنما قبضت بهن من القضاء طورا
وكأنما تأبى لوقع طيرها ان تستقل بنهضها وتطيرا
من كل واقعة ترى منقارها ماء كسلسال اللجين غيرا
خرس تعد من الفصاح فان شدت جعلت تغرد بالمياه صفيرا^(٢)

هذا عدا ما بني في الشام والعراق وغيرها من البلدان الاسلامية من الابنية الفخمة التي هي وليدة حضارة عالية يفتخر بعض الافرنج بالانتماء اليها. يقول احد المهندسين الاسبان « انه يفتخر بالانتماء الى العصر العربي في اسبانيا » ويقول ايضا في مكان آخر « اني ارى مسجد قرطبة هو انخر واعظم تحفة فنية في هذه البلاد (اسبانيا) ولست ادري هل له في العالم نظير » وهو الذي يقول « ان اعمال الري وتوزيع المياه التي قام بها العرب بالاندلس كانت تفوق حتى ما وصل اليه الفن في العصر الحديث »^(٣) واشتهر العرب بالفلسفة ونبغ فيهم عدد كبير منهم الكندي وابن سينا وابن الهيثم وابن رشد وغيرهم ولا تزال الاراء الفلسفية لبعضهم موضع دراسة العلماء واهتمامهم

هذا قطرة من بحر الحضارة العربية الخضم ولا يتسع المجال لاكثر مما تقدم ومع ان

(١) مجلة السكينة ١٥ ص ٣٣٠ (٢) للقرى — فتح الطيب — ج ١ ص ٢٣٠ (٣) الفتح عدد ٢٩٢



أثران من روائع الفن الاسلامي في الحمراء
الى يمين الناظر أثر من ردهة ابن سراج والثاني من حوش الاسود

الغربيين قد ضربوا بسهم وافر في البحث عن حضارة العرب فان نواحي عديدة منها لا تزال غامضة اذ لم يكن لها نصيب من البحث والتنقيب ، والذي اراده ان الغربيين كلما تقدموا في البحث عن مآثر العرب تجلّ لهم فضل العرب في السبق الى كشف كثير من الآراء والابحاث العلمية . يقول احد علماءهم : من الغريب ان بعض ابتكارات واختراعات حسنها من عملنا ثبت بعد قليل من البحث ان العرب سبقونا اليها . والغريب ان طائفة من مؤلفي الفرنجة انتحلت بعض الابحاث التي وضعها العرب لنفسها ، وآخرين لم يذكروا المصادر التي اعتمدوا عليها او نقلوا منها فكأنهم يدعونها لانفسهم . ومع كل هذا استطاع علماء العصر الحاضر المنصفون ان يذكروا شأن حضارة العرب اذا قيس بشأن حضارتهم التي ينعمون بها فاعترفوا بعلو كعبها وبما قدمته من خدمات جلّ للمدنية الحديثة . قال فلوريان « كان للعرب عصر مجيد عرفوا فيه بانكبابهم على الدرس وسعيهم في ترقية العلوم والفنون . ولا نبالغ اذا قلنا ان اوربا مدينة لهم بمخدمتهم العلمية — تلك الخدمة التي كانت العامل الاكبر في نهضة القرنين الثالث عشر والرابع عشر » ولا شك ان الحضارة العربية هي حلقة الاتصال بين اليونان والحضارة الحالية فهم الذين حفظوا علوم اليونان وغيرهم من الضياع وهم الذين نقلوها ونقلوا معها اضافاتهم الكثيرة الى اوربا عن طريق الاسبان . واعترف كاجورى وسمث بفضل العرب على الرياضيات والفلك . ويقول البارون دي فو « ان الميراث العلمي الذي تركه اليونان لم يحسن الرومان القيام به ، اما العرب فقد حفظوه واتقنوه فهم لم يكونوا حفظة وخزنة للعلوم فحسب ولكنهم توفروا على ترقيتها وتطبيقها باذلين الجهد في تحسينها وانماها حتى ساموها للعصور الحديثة » . وقال الدكتور سارطون في خطاب القا حديثاً في جامعة بيروت الاميركية « ان بعض الاوربيين يحاولون ان ينتقصوا من قدر العرب العلمي في القرون الوسطى وذلك بقولهم ان العرب لم يكونوا غير نقلة للعلوم اليونانية ولم يزدوا عليها شيئاً . . . هذا خطأ . . . واذا افترضنا ان العرب لم يكونوا غير نقلة للعلوم الاقدمين ، اليس في عملهم هذا خدمة كبيرة للعالم ؟ فلو لا نقلهم لما تقدمت العلوم تقدمها الحاضر ولكنا حتى الآن في قرون وسطى » والدكتور سارطون يعتقد ان الاخذ عن الغير يتلو الاكتشاف من حيث خطورة الشأن فلا اكتشافات اذا لم تؤخذ وتستعمل فلا فائدة منها ، والذي يعرف كيف يعلم ما اقتبسه عن الغير هو (في نظره) مخترع ثانٍ « ولذلك فان العرب كانوا اعظم معلمين في العالم في القرون الوسطى لا سيما في القرون الثلاث الثامن والحادي عشر والثاني عشر للميلاد

لم يكن نقل العرب للعلوم ميكانيكياً بل على الضد فيه روح وحياء ، ولم يقتصر على نقل علوم اليونان فحسب بل استطاعوا ان يأخذوا عن الهنود وفي كثير من الحالات جمعوا بين الثقافتين الهندية واليونانية »

قدري حافظ طوقان

نابلس — فلسطين

من الشعر الغربي

لنوماسي هاردي

بعد الموت

القبر اروح لي مقيلاً والردى خير وفيه أعودُ أصلحَ حالا
قرّ الذي اضناك طول لجأه والجهدُ والتعبُ المعاود زالا

برق الحياة لقد خبا بوميضه وأخذت في الوادي الرهيب مكاني
وأنا الوفيّ اذا قدمت وجدتي رهن انتظارك لا أملّ زماني

شقاء الآلام

يا كم دعوت الوحي واستلهمته شعراً خليقاً بالحبيب المجتبي !
أصف المحاجر والشفاه وسحرها والطبع والخلق الكريم الطيبا
فاذا اجنّني الشقاء نظمته معنى سماوياً ولنظماً مغربا
واذا طغا ألمي عزفتُ كأنه قيثارة رقت كأنفاس الربى

ولذلك كمهدأت سورة خاطري ونسيتُ ما اشتى القواد وعذبا
 حتى اذا ران الهدوء حسبتني بين المقابر موحشاً متهيبا
 فأصبح يا لهفأ على ايامه من ذا يعيد عذابها المستعذبا !

لهنرخ هينيه

دعاء الراعي

يا ايها الحمل الوديع انا الذي يحنو عليك انا الحبيب الراعي
 كم ليلةٍ والرعب يمشي في الدجى والهول منتشر على الاصقاع
 اغفيت في كنفني وفي ظل الكرى كالطفل في أمنٍ من الاوجاع
 يا رب قد وهت العصا واستأثرت غيرُ الليالي بالقويّ الباع
 يا رب ان تك قد اذنت بفرقة وحكت للراعي بوشك زماع
 فانظر الى الحمل الوديع ووقه شرّ النفوس وفتنة الاطماع
 نضر له الدنيا ومُدّ ربيعها وانشره مؤثلقاً بكل شعاع
 واجعل له الايام ظلاً وارفاً وخير انهارٍ وخصب مراعي
 الدكتور ابراهيم ناجي

وبعد تحطيم الذرة

اطلاق قوتها الكامنة — تحويل العناصر — حجر الفلاسفة الجديد

منذ ما اثبت السر جوزف طمس ان الذرة مركبة من دقائق ، اصبح تحطيم الذرة موضوعاً ينجذب لب العلماء وقراء الروايات الاخاذة على السواء . وقد اهتم العلماء بهذا الموضوع لانهم علموا ان في داخل الذرة تكن طاقة عظيمة . ولكن الباعث الاعظم على عنايتهم كان رغبتهم في الكشف عن اسرار البناء المادي . ففهم بناء الذرة يفضي الى فهم طبيعة الكهربائية وحركات الاجرام السماوية ، وقد يفضي اخيراً الى فهم لغز الاشعة الكونية

ولكن الناحية الاخاذة في موضوع تحطيم الذرة ، هي الناحية التي استرعت عناية الجمهور فقد قيل للجمهور انه اذا تحطمت الذرة لم يدر احد ما يسفر عن تحطيمها — وهو صحيح . فتسرع الناس في الحكم المبني على هذه الاقوال وظنوا ان قوى هائلة تنطلق منها في لحظة ، كما ينطلق الغاز من مادة متفجرة ، فينشأ عن انطلاقها انقلاب عالمي . ومكث مكاتبو الصحف على ابواب العلماء ينتظرون الانباء ، وكأنهم في فوهة بركان لا يدرون اي متى يشور . اما كتاب الروايات الباحثون عن استنباط غريب يعزونه الى ابطال رواياتهم فوجدوا في تحطيم الذرة مناخ آمالهم ، فذهب خيالهم في وصفه ووصف نتائجهم كل مذهب

لقد حطمت الذرة فتم للدكتور كوكروفت والدكتور وُلطن — وهما من علماء معهد كائندش بجامعة كمبرج الذي برأسه الورد رذرفورد — تحقيق ما حاول العلماء تحقيقه منذ ما اكتشف الالكترون وقسيمه البروتون . ومع ذلك ما زلنا حيث نحن ، لم يحدث انفجار مدّمر ، ولا انطلقت قوى عظيمة لا نستطيع السيطرة عليها . فذاعت انباء هذا الاكتشاف كالنار في الهشيم ، ولكنها لم تسحب في اثرها ذيلاً من التخريب والتدمير كما تنبأ المتنبئون والواقع ان تحطيم الذرة اثر علمي عظيم . فحقق هذان العالمان في معملهما ، بادوات بسيطة ، ما عجز عنه العلماء الالمان والاميريكيون بقوى كهربائية عالية الضغط مستمدة من شرر البرق . انهما استعملا قوة كهربائية ضغطها يبلغ ١٢٠ الف فولط مع ان الاميريكيين والالمان كانوا قد ذهبوا الى ان قوة كهربائية لا يقلُّ ضغطها عن عشرة ملايين فولط تعجز عن تحطيم الذرة واذا قلنا ان عمل كوكروفت وولطن عمل علمي مجرد لم ينتقص قولنا من شأنه ، مع ان الذرة

حطمت من قبل . ولا ننسى ان من بعض المباحث النظرية المجردة نشأت طائفة من اعظم المستنبطات واكبرها فائدة. فلما بدأ لورد راليه Rayleigh مباحثه التي افضت الى كشف الغازات النادرة في الهواء ، كان يرمي من ورأها الى ضبط اخطاء طفيفة وجدها في نتائج تجاربه السابقة فدلّ القياس على وجود مقادير ضئيلة جداً من الغاز في الهواء ثم ثبت انها غازات الارجون والهليوم والنيون والكربتون والكزينون . والغازات الثلاثة الاولى كثيرة الاستعمال في الصناعة الآن . فالهليوم مثلاً به البلونات لانه خفيف ولا يشتعل . والنيون يستعمل في صنع المصابيح التي تضيء بضوء احمر فتستعمل في الاعلانات المضيئة وغيرها . والارجون مثلاً به المصابيح الكهربائية

وما تم للغازات النادرة قد يتم للذرة وقد حُقق تحطيمها . فالعلماء يصورون لنا قدراً عظيماً من الطاقة كامناً فيها . والاستاذ اندريد العالم الطبيعي الكبير ، يقول ان الطاقة الذرية المنطلقة في اثناء صنع اوقية هليوم من غاز الايدروجين ، تجهزنا بقوة مليون حصان مدة سبع ساعات . ولكن القوة التي نحتاج اليها لكي نحطم ذرات الايدروجين توطئة لتحويلها اعظم من القوة التي تنطلق في التحويل

والى القارىء مثلاً آخر يوضع الماء في مرجل قاطرة فيحول بخاراً يدفع القاطرة . ولكن لا بد من استعمال قدر من الطاقة — حرارة الفحم — لتحويل الماء الى بخار. فالوقود الذي يدفع القاطرة ليس البخار بل الفحم . كذلك البحر مصدر طاقة عظيمة ولكن لا بد من تحويلها الى بخار — او طاقة ميكانيكية — قبل استعمالها

وهذا يصح على الذرة . فالذين يتنبأون بان طاقة عظيمة سوف تنطلق من الذرة اخطأوا في حسابهم انهم يستطيعون اطلاق هذه القوة عفواً — اي من دون استعمال قوة اخرى لاطلاقها . قد نكشف في المستقبل ان الذرة مصدر قوة محركة — كقوة البخار . ولكننا نحتاج الآن الى استعمال مقدار من الطاقة في تحطيم الذرة اكبر من مقدار الطاقة المنطلقة منها بعد تحطيمها . ولنذكر بعض ارقام توضح ما تقدم وتؤيده

تتحطم الذرة باطلاق دقائق سريعة عليها منبعثة من انبوب شبيه بانبوب اشعة اكس او انبوب الراديوم . ولكي تتحطم الذرة يجب ان تنطلق من الانبوب دقيقة تصيب نواة الذرة في الصميم ، اذ لا يكفي ان تمسحها مسحاً . ولكن نواة الذرة دقيقة جداً اذا قيست بحجم الذرة نفسها . والذرة صغيرة جداً لم يتمكن عالم من رؤيتها باقوى المجاهر . فاحتمال انطلاق دقيقة صغيرة واصابتها نواة الذرة في الصميم احتمال بعيد جداً

والواقع ان ملايين من الدقائق تنطلق من الانبوب على ملايين من الذرات . ونواميس الارحجية تقضي بان تصيب بعض الدقائق بعض الذرات . وقد قدّر اللورد رذرفورد — وتأيد تقديره بالصور — ان دقيقة من ٥٠٠٠٠ دقيقة تصيب نواة ذرة . وهذا يعنى اننا اذا اخذنا ربع جرام من النتروجين وارادنا ان نحطم ذراته بالطريقة المتقدمة وجب ان نستعمل انبوباً يحتوي على جرام من الراديوم ، بتوجيه الراديوم الى النتروجين مدة سنة . ولا يخفى ان ثمن جرام راديوم الآن يبلغ نحو ٢٥ ألف جنيه : واذا فتحطيم الذرة باستعمال الراديوم كبير النفقة . فاذا استعملت الوسائل الكهربائية كانت النفقة اقل وانما احتاج الباحث الى قدر كبير من الطاقة ومع ذلك لا يفوز الا بتحطيم ذرة او بضع ذرات على الاكثر . ومرة فرق بين تحطيم بضع ذرات وتحطيم كمية كبيرة منها !

* * *

لتحطيم الذرة وجهان جديران بالعناية . الاول امكان اطلاق الطاقة الكامنة فيها . والثانية تحقيق ما تصوّره الكيميائيون الاقدمون من تحويل العناصر ، كتحويل الرصاص الى ذهب مثلاً . وكان العلماء في مطلع العصر العلمي الحديث يهزأون من اقوال الكيميائيين القدماء وما تخيلوه عن « حجر الفلاسفة » . ولكننا نعلم الآن ان ما حاولوا تحقيقه ليس مستحيلاً ، وان « حجر الفلاسفة » الذي يحوّل بلمسه السحري خبث المعادن الى ذهب ، قد يكون الكهربائية .

بل يدعي بعضهم انه قد فاز بذلك ولكن المقادير التي تحولت اقل من ان ترى فالمباحث التي بدأت من نحو ست وثلاثين سنة ، لما كشف السر جوزف طمسن الالكترتون وتبعه رذرفورد باكتشاف البروتون وشديك باكتشاف النيوترون ، اسفرت هذه المباحث الجديدة عن ان المادة مبنية من دقائق صغيرة يظن انها شحنات كهربائية . فشحنة الالكترتون شحنة كهربائية سالبة . وشحنة البروتون شحنة كهربائية موجبة . والنيوترون لاشحنة كهربائية له . لان الكهرباء السالبة فيه تعدل الكهرباء الموجبة . ولذلك دعي نيوترون اي « المتعادل » . هذه الدقائق تجتمع ذرات والذرات هي لبنات هذا الكون العظيم . فاذا استطعنا ان نستفرد الدقائق التي تبني منها المادة ، افلا نستطيع ان نستعملها في بناء ما نريد منها ؟ هذا هو الحلم الذي قرب تحقيقه بتحطيم الذرة . اي ان العلماء يبغيون ان يجزئوا ذرات الرصاص مثلاً الى الدقائق المبنية منها ثم يعيدون بناءها في شكل آخر ليصنعوا منها عنصراً نادراً كالذهب مثلاً . فكأنهم يملكون احجاراً وطيناً فيستطيعون ان يبنوا بها قصراً او سجناً او زريبة كلاب ولكن المسألة لا تبلغ هذا المبلغ من السهولة ، للاسباب التي بيناها . والمحاولات القديمة لم تصب كثيراً من النجاح . واذا كان احد العلماء قد حوّل ذرة الى اخرى في المعمل —

وهو امر لم يثبت بعد — فالنجاح نجاح علمي مجرد ، والمقدار الذي صنع من العنصر ضئيل جداً لا يمكن تبيينه إلا بألة الحل الطيفي (السبكتروسكوب)

ولا ننس أن ذرات بعض العناصر تتحطم تحطماً مستمراً في حالتها الطبيعية . فاذا راقبت ميناء ساعتك المضيئة في غرفة مظلمة فأنت تشاهد ذرات تتحطم . فذرات العناصر المشعة في تحطم مستمر . تنطلق منها دقائق وتتحوّل الى ذرات عناصر أخرى . اي انها تنحل . ومن نكد العلم أنه لا يستطيع ان يغير هذا الانحلال اسراعاً ولا ابطاءً ، لا بالحرارة ولا بالبرد ولا بالضغط ولا بغيرها من الوسائل الطبيعية او الكيميائية على ما نعلم

فلما اكتشف الراديوم رأى العلماء رؤى ، فتصوروا انفسهم وقد اخذوا بناصية القوة عن طريق تحطيم الذرات . ذلك انهم وجدوا ان كتلة صغيرة من الراديوم ، تطلق في اثناء حياتها الطويلة طاقة تكفي لتسيير باخرة كبيرة بسرعة ٢٥ عقدة في الساعة . ولكنهم خذلوا لما وجدوا انهم لا يستطيعون ان يسرعوا انطلاق القوة من الراديوم . فما ينطلق من الكتلة الصغيرة في مليون سنة مثلاً لا يمكن ان يطلق في ساعة او يوم او شهر . ضعه في الهواء السائل او في اتون حام ، فلا تتغير سرعة انطلاق طاقته . ولو انهم استطاعوا ان يفعلوا ما تصوره لقلت عنايتنا بالفحم والزيوت ونفادها . ولكانت مقادير الراديوم القليلة في العالم كافية لتجهيز ما نحتاج اليه من القوة المحركة . ولكن لو ... هذه وقفت في سبيلهم سداً منيعاً على ان ثمة فرقاً كبير بين مراقبة الذرات تتحطم وتعيد بناءها من تلقاء ذاتها ، وبين تحطيمها واعادة بناءها بحسب ما نريد ؟ يقول الاستاذ لو العالم والمستنبط الانكليزي : —

ولا ريب في حلول يوم يتناول فيه العالم الالكترونات والبروتونات ويلعب بها كما يتناول الطفل الحجارة . قد لا يحل ذلك اليوم قبل جيل او اجيال ولكن لا ريب في انه آت . حينئذ يستطيع العالم ان يحذف من هنا بروتوناً او يلجم هناك نيوتروناً او يعيد هنالك ترتيب الالكترونات فيحصل على المادة التي يطلبها . وبعد ذلك لن يخامرنا خوف من تفاد اية مادة من مواد الصناعة لان في طاقة العالم حينئذ ان يحوّل الصخور الى ذهب والتراب الى رصاص ومن الخطأ البالغ ان نحسب اننا نعرف كل ما يمكن معرفته عن الذرة . فالعلم ببحث حي ، ولا تقيمن الوزن لعالم يدعي انه وقف على التعليل النهائي لأية ظاهرة من الظاهرات . وقد يسفر البحث عن ان كلا من الدقائق التي تتركب منها الذرة — الالكترونات والبروتونات والنيوترونات — بناءً معقد . وليس الزمن الذي كان فيه العلماء يحسبون الذرة اصغر دقائق المادة التي لا تتجزأ بعيد . فلو اتيج لدلتن ان يقرأ الآن كتاباً حديثاً في علم الطبيعة لدesh . وقد يشفق علينا حقدتنا اذ يقرأون عن محاولتنا الضعيفة لتحطيم الذرة ومعارفنا الناقصة عن بنائها !

مولد المأساة

BIRTH OF TRAGEDY

وردتنا في اوائل الصيف مقالتان في موضوع قلما يطرقه أدباؤنا وهو الادب الاغريقي
فقدمنا مقالة نشأة المسرح الاغريقي (مقتطف اكتوبر ١٩٣٢) على مقالة مولد المأساة لانها
أعم وفهم الثانية بعد مطالعة الاولى أقرب منالا

اشتهر فردريك نيتشه الفيلسوف الالماني المعروف بموضوعين ، قتلهاا بمحناً وتنقيها ، ها
الادب الاغريقي وفلسفة الاجتماع . استغرق تأليفه في القسم الاول سبع سنين من حياته وتمتاز
مؤلفاته في هذه المدة بصفتها الكلاسيكية الفلسفية الصبغة ومن اهم تلك المؤلفات واشهرها :
مولد المأساة : طبع هذا الكتاب سنة ١٨٧٢ واصاف اليه مقدمة خطيرة سنة ١٨٨٦ تغلغل به
في ابحاث الادب الاغريقي ، وبرز من زواياها خبايا الحقائق في التاريخ وفي الفن . فجلسى الاصول التي
منها نشأت المأساة ، والاطوار التي تعاقبت عليها

الالهان : ديونيسيوس وابثلون

هنالك كلمتان هما مفتاح مؤلفات نيتشه الاغريقية ، وكثيراً ما ترددتا في كتاباته ، وفيها
الكشف عن اصل المأساة وهما ديونيسيوس وابثلون الاول اله المرح وزق الشباب . والثاني
اله الفن والتعبد والترصن . والنسبة اليهما الديونيسية والابلونية . تمثل الاولى الهمة
الوثابة في عالم الطرب والمرح ، عالم الموسيقى والاغاني والرقص والخلاعة والحركات المعربة عما
انطوت عليه الاضالع من الانفعالات الغرامية والمجونية ، المتحكممة في النفس في شرح الصبا .
وتمثل الثانية جمال الجنس وقاوته ورصانة الطلعة والوقار . شرحهما فوجيه في كتاب خاص قال : —
هنالك جنس أحب الجمال والحياة دون ما سوى . واختص بحبه الحياة والقوة والتفوق
 والمرح . يدعى الاغراق في هذه الاشياء : النفس الديونيسية : لكن ذلك الجنس أحب
ايضاً الجمال والطهارة والاتزان والتقوى . ذلك ما ندعوه : النفس الابلونية

اقرنت هاتان الرغبتان في ادراك الاولمبيا . والاولمبيا مغنى الكائنات السامية المالكة القدرة
والجمال ، المعترزة بتأكيد خلودها — بارادة الحياة — والخلود كلمة فقدت قوتها لكثرة
التكرار . فهي تعني عدم الشيع من الحياة ، والرغبة في دوامها الى الابد . ولما كانت تلك
الكائنات مسرورة ايضاً بالجميل ، وهي تتأكد جمالها ، وتروم دوامه كان الاولمي ذلك الشخص
الذي في نفسه كلتا الصفتين ، الديونيسية والابلونية . فالنن الابلوني مثال النظام والتعمق
والارتكاز . والفن الديونيسي مثال الموسيقى المرتبكة ، مثال الانفعال . وقد عرفنا اتجاه كل

منهما ضد أخيه. على أنهما اقتربا اقتران الزوجين على ما فيهما من تضاد فوفقا في انتاج انجب المواليد. فبدأ بينهما جسراً هو فن المأساة. فالمعجزة الهيلينية زواجهما فولادتهما المأساة. وكيف ذلك؟ تشبهه الابلونية بحلم الجبال، والديونيسية بحال السكر. فنرى في ابلون مثلاً الهياً مجيداً. وصفه شوبنهاور وصفاً شعرياً تصويرياً قال: — رعبة مخيفة تملك على المرء شواعره فتغادره ذاهلاً جامداً كالصخر الاصم لاحتس ولا انس. فيحسب الذهن في اوضح ظاهراته حالة استثنائية بازاء ما حصل في نفسه من الغيبة الساحرة التي بلغت عمق اعماق وجوده. اضف الى ذلك رعبة الذهول الفني الناشئ عن الانفعال الحاصل في قرارة النفس. اذ يشعر الداهل بفقد وجوده الفردي المستقل فكأنه أصبح جزءاً من اللامتناهي. هذا هو موقف المرء امام ابلون

في غمرة هذا الاختبار الفريد تقع العين على الكائن الديونيسي الذي يمثل حالة السكر والنمول، الذي يستولي على العقل، اما بتأثير مجالي الربيع وظاهرات شواعر النفس للهيام، والثورة على الهدوء والجمود، او بتأثير المغيبات، كما روت لنا ذلك اشعار الاقدمين والمحدثين. فهذا وبذلك تبعث النفس امواجاً من الجبور والبهاء فتستيقظ عواطف الديونيسي في غيبة زول عندها الذات. بعد ما تبين القارئ المراد بالديونيسية والابلونية يتقدم نيتشه ليسط الكلام في الموضوع. قال: —

كان الفن الاغريقي والتدثن الاغريقي، على ما نعلم، ابلونياً واهلياً. والمأساة عندهم قرينة الديانة ووليدتها. ادخل اليهم الفينيقيون ديونيسوس آله الخمر. فضموا اليه باخس وغيره من الآلهة، مع ابلون آله الشمس واخته ديانا الالهة القمر. وكان خدامه (الكهان) يلبسون جلود الذبائح المقدمة له في الحفلات والاعياد. وهؤلاء هم الساتيريون — جمع ساتير — وساتير مخلوق خرافي عندهم نصفه انسان ونصفه تيس (ذكر في التوراة مع الاشارة الى ما كان يجري في تلك الحفلات الدينية من الرقص التمثيلي بجلود المعز. جاء في اشعيا ص ١٣ عدد ٢١: بل تربض هناك وحوش القفر، ويملاً البوم بيوتهم، وتسكن هناك بنات النعام، وترقص معز الوحش: فمعز الوحش ساتير الذي كان يمثل عباد باخس) اقول، كان الكاهن او صديقه يلبس جلد التيس مقنعاً كأنه يمثل «ساتير» ويرقص ويرنم منشداً اغاني باخس آله الخمر المعروف، ويونيسوس زميله ومثيله. ويقال ان آلهة المأساة اربعة هم ديونيسوس وباخس وابلون وديمترىوس. وان المأساة من اصل خمريات باخس. نشأ ذلك في نحو القرن السادس قبل المسيح. فيقف الشاعر على منصة عالية ليراه المحيطون به، ويقف معه الكاهن او الزعيم. فيشرع في تلاوة الاغاني، او الالتقاء، وزعيم المرنمين يتلقى منه ذلك في صورة محاورة تشتمل على اساطير الاولين والكائن في الوسط. والمرنمون يحيطون به في شكل نصف دائرة تجاه

المذبح . وقد اضاف (ثيبس) القناع الى هذه الهياة والمقصود منه اخفاء حقيقة الممثل عن العامة فكانوا يحسبون « ساتير » ومثله واحداً

بدأ هذا الطقس المقدس عندهم — على ما روى نيتشه — أورفيوس او بروميثيوس ، الذي سرق نار الآلهة من السماء ، وهبط بها الى الارض . فأضرم في صدور الاغريق تلك الجذوة التي اضرمت اوربا والعالم . وهي مثل نار (هورمزد) التي لا تطفأ . اقول : كان ذلك الفن الالهى الرصين يملاً فراغ النفس في العهد الدوري والابلوني والاتيكي . فيقود الشعب الى مظاهر الورع والتعبد ومراسم الخشوع والتأدب . ففاجأه في المشهد ديونيسيوس الموسيقى المرح . اراد نيتشه ان يقول انه طراً على المسرح الديني روح علمانية تخاطب نفوس الشبان بلا استئذان ، فتخلب الالباب وتستلب ائمن ما دخر في مخاىء الحياة . فراغ العنصر الابلوني ذلك وحسب اصحابه له أي حساب . هذا كان موقف الديونيسي والابلوني في مسرح باخس . وما عم ان اقترنا اقتران الذكر والانثى فولدا الفن السامي ، وخمريات باخس ، والمأساة . هذه هي ذرية آلهي الفن . فقد توج قرانهما بالامجاد بعد معارك طاحنة ختمت بميلاد انتيفون وكندرا . كان الوسط التاريخي والمسرحي مسقط رأس المأساة في حفلات باخس ، الذي ترى صورته في الآثار اليونانية طفلاً يلوذ بأمه او بالكرمة . وهو لا يريد ان يدرك من الحياة سوى معنى المرح والاستسلام البريء . وكان المرمون ينشدون الترانيم المنطوية على التسبيح والتعظيم والعامة يحسبون « ساتير » شخصاً حقيقياً . وذلك يعرب عن امياهم الفطرية للحرية والقصوف ، وللرغبة في الحياة بحسب الفطرة ، على اكثر مما عنده جان جاك روسو لما ارسل نداءه الذي هز به اوربا قائلاً : عودوا الى الطبيعة :

استمال ممثلو « ساتير » ألباب الاغريق الذين كانوا يحبون ان يروا الآله في شخص الممثل المقنع . في وسط تلك الهياة المسرحية بدأ فرينيكس المأساة . ومن ابطالها الاولين اسخيلس سنة ٥٢٥ ق . م . وصفوقليس سنة ٤٩٥ ق . م . ومن قبلهما ثيبس مستنبط القناع كان هسيودس الشاعر اشد الابلونيين تطرفاً . ودونه في ذلك هوميروس الساذج (وكلمة ساذج هذه من مخرجات الشاعر شلر الالماني الشهير . ومعناها الاصلي على الفطرة) وكان ممثل العنصرين الابلوني والديونيسي ، ارخيلاوس الشاعر الغنائي . ثم تلاءمت الابلونية والديونيسية ، فجمعتا بين الطقس الديني ورغبة الانسان الفطرية في المرح والسرور . وليس الامر خيلاً عند الديونيسي . لانه كشاعر يرى التطبيق في اول مراتب الشأن . وهو يري الى تجلية حقيقة الحياة بآلامها وتقاليدها . والشعر اليوناني القديم يري الى الحقيقة دون الخيال . فأنشأ الشاعر الديونيسي يجلي هذه الحقيقة وهي نقطة تحول في حياة المأساة . بها تخرج من طور الى طور . وقد حمى الوطيس بين اسخيلس وصفوقليس في اي التفسيرين اجدر بالاتباع

وآراء نيتشه ثقة في هذا الباب في اواخر القرن التاسع عشر . فأبان ان المأساة عنيت أولاً
بديونيسيوس الذي ظهر في المسرح (اي أكثر من عنايتها بابلون)
تمام الانتقال

اجتمعت العناصر الآتفة الذكر ، الابلونية ، والديونيسية ، وحفلات باخس ، والتمثيل
الديني ، ورغبات العامة الفطرية ، وبقيت حلقة واحدة بها تتم ولادة المأساة . تلك الحلقة هي :
تحويل التمثيل من الآسهي الى انساني : ومن ديني الى علماني : والذي قام بهذه الحلقة هو
يوريبيدس ، استاذ سقراط . هذا عرض أولاً على المسرح روايات تطوي على احوال الحياة
اليومية . فأخلت الآلهة المسرح للناس . والبشر نفعيون أولاً وآخرآ . فيؤثرون مصالح
الحياة اليومية على شئون الآلهة . فكان امراً طبيعياً التفاهم الى التمثيل المسرحي العلماني ،
شأن التاريخ في كل ادوار ، يبدأ في السماء وينتهي على الارض ، يبدأ في جنة عدن وينتهي
في الشوك والحسك خارجآ . يبدأ في مقبب الفلك بين الآلهة والالاهات وينتهي على
ضفاف الانهار وفي الانجذاب والاغوار . يبدأ في عالم الشعور والاحلام وينتهي في تقرير الواقعيات .
ذلك ما حدث للمسرح بزعامه يوريبيدس . على ان التطور في الدراما كما في غيرها من حلقات
سلسلة الارتقاء لم يتم الا تدريجآ . ومع ان المأساة لم تصر ابلونية لا يمكننا حسابها ديونيسية
صرفة . فهي طبيعة فنيّة

جاء سقراط اثينا فاذله اندفاع الناس وراء الحسيات بالحوافز الفطرية . وفي كلمة فطرة نلص
انجاه سقراط ولباب فلسفته . ففند سقراط تلميذ يوريبيدس الفن الفاشي باثينا ، كما فند الاخلاق
والميول السائدة . وحيث اتجهت السقراطية تبينت نقص الاخلاق وسيادة الاوهام . فرأت
من ذلك زيغ الاحوال وفسادها . ورسخ في نفس سقراط انه رسول الاصلاح العظيم .
فدخل المعمعان اعزل ، يدفع عن مصلحة الامة والفن لتحريرها من فساد الشهوة والبطر

قال نيتشه : يسودنا الترددُ بديهية في امر سقراط . فمن هو هذا الاعزل الذي يرمي الى
قلب الصبغة الاغريقية ومن ابطالها : هو ميرس وديونيسيوس واسخيلس وفيدياس وبيركليس
وبينا ويندار اسمي ابطال — الاغريق وابعدهم غوراً . افيستحق سقراط هذا اعجابنا ؟ ويل ويل لك
يا سقراط ! فقد حطمت الفن الجميل بلكمة واحدة ولا يزال العالم مكبلاً بالثقافة السقراطية التي
نقلها اليها الثقافة من الاسكندرية . وآثار سقراط بادية في كل ما تمتد اليه ايدينا . وان من تصوّر
ذلك يصرخ قائلاً : — ما اعظم ديونيسيوس في وسطك ايها الجنس الهيليني : فيردُّ عليه
شيخ توج الشيب هامته : — بل قل ايها الاجنبي ما اعظم ما تحمّل هذا الجنس من الآلام
حتى ابرز ذلك الجمال . ولكن اتبعني الى تمثيل المأساة ، وشاركني في التضحية في هيكلي

مهاتما غاندي

— ٤ —

— طلب العلم في لندن —

غاندي في السجن أو خارجه قوة تحاذر . في بلاد يكثر فيها الجوع ، إقام لصومه وزن كبيراً . فتتحرك طبقات الهندوس وتهتز الامبراطورية البريطانية وردد اصداؤه وانباءه صحف العالم في الشرق والغرب . ولا يخفى ان غندي نقل الى سجن بونا ، بعد استئنائه للعصيان المدني ، على أثر انتهاء مؤتمر الدائرة المستديرة في يناير الماضي . ينام فيه في الفضاء ويستيقظ في الساعة الرابعة كل صباح ليقوم بفروض الصلاة ، ثم يمشي نحو ساعتين في حظيرة لا يزيد طولها على مائة ذراع ثم يغزل القطن ثم يطالع

وماذا يطالع غندي في سجنه ؟ لقد قرأنا في احدي صحف الغرب انه قرأ في خلال العام الماضي التوراة والانجيل — طبعة الملك جيمس — والقرآن . ثم كتبنا مختارة لرسكن الانكليزي وتولستوي الروسي ونورو الاميريكي

ويقال ان حكومة الهند عينت نحو عشرين غرضاً لتنفق على طعامه وما يحتاج اليه في السجن ولكنه لا يكلفها اكثر من خمسة قروش لانه لا يتناول الا العنب ولبن الماعز وكنا قد نشرنا في مقتطف ابريل ومايو ويونيو ثلاثة فصول في طفولة غندي وحداثته تلخيصاً عن الكتاب الذي كتب فيه سيرته بالاشتراك مع المستر اندروز الانكليزي . وهذا فصل رابع يصف فيه حياته في انكلترا في اثناء طلب العلم فيها جدير بان يطالعه كل شاب يطلب العلم في انكلترا او غيرها

زار دكتور « مهتا » حجرتي وتفقد محتوياتها ، ثم هز رأسه علامة على عدم الرضا عنها ثم قال « هذا المكان لا يليق . اننا لا نهبط لندن للدرس ، بقدر ما نهبطها لممارسة الحياة والعادات الانجليزية ، ولهذا يجب عليك ان تعيش في اسرة . ولكن قبل ان تُقدم على هذا اظن انه يحسن بي أن اعهد بك لاحد اصدقائي لتدرس الحياة وتقرن عليها »

ولقد قبلت هذا الاقتراح بكل شكران ، وانتقلت تَوّاً الى سكن ذلك الصديق . وكان هذا الصديق مثال الرأفة والتيقظ ، فعاملني معاملة الأخ وأخذ يعلمني اصول السلوك الانجليزي . على ان غذائي اصبحت مسألة معضلة . وكنت لا استسيغ الخضر المسلوقة من غير قوابل . وتحيرت ربة البيت فيما يمكن أن تجهز لي من غذاء . وكنا نتناول عصيدة القرطم للافطار فكانت كافية ، ولكنني كنت اشعر بالجوع في وجبتي الظهر والمساء . وحاول صديقي الذي عهد بي اليه دكتور « مهتا » أن يغريني بأكل اللحم ، ولكنني كنت اذكر له عهدي الذي طاهدت عليه امي ، واطل صامتاً . اما وجبتا الظهر والمساء فقد

اعتدنا ان نتناول فيهما الاسفناخ والخبز والمربي . وكانت شهيتي غالباً ما تقوى ، ولكنني كنت اخجل من ان اطلب اكثر من قطعتين او ثلاث قطع من الخبز ، معتقداً انه ليس من حسن الذوق أو الادب في شيء ان افعل غير هذا . وكنا لا نتناول اللبن في غير الصباح . ولقد امتنع صديقي يوماً من هذه الحال فقال لي بصراحة : « لو أنك كنت اخي ، اذن لا مرتك بالاسراع في حزم امتعتك . ماهي قيمة عهد تعاهد عليه أما غير مثقفة جاهلة بمجري الاحوال هنا . ان عهدك هذا ليس عهداً على الاطلاق . انه لا يعتبر عهداً صحيحاً امام محكمة قضائية . وصبرك على الاخذ بمثل هذا الوعد ليس اكثر من خيال ووهم فارغ . وعكوفك عليه لا يعود عليك بأية فائدة هنا . انك اعترفت انك اكلت اللحم . وتذوقته . ففعلت هذا في وقت لم يكن اكل اللحم فيه ضرورياً ، وتمتنع عنه في وقت تدعوك الحاجة اليه . ولكنني ظلمت صلباً ولم تلن قناتي

وكثيراً ما كان يستمر هذا الصديق في سرد براهينه ، ولكن كان عندي قوة سالبة استقرت في نفسي اواجهه بها كلما لج في الكلام والتدليل على صحة رأيه . وكان كلما امعن في محاوراته ، امعن في عنادي . وكنت اصلي لله كل يوم ليحميني ، فخاني . ولم يكن عندي اية فكرة بديسة في الله . بل كان مجرد إيمان انثر اثره . اما هذا الايمان فقد غرسه في نفسي مربتي عثرت خلال تجوالي في المدينة على مطعم للنباتيين في شارع فرنجدون . وكان لمجرد وقوع نظري عليه هزة فرح في نفسي كنتك الهزات التي يشعر بها الأطفال لدى عثورهم على شيء تعلق به قلوبهم الطاهرة . ورأيت قبل ان ادخل المطعم ومن وراء الزجاج ، كتباً عرضت للبيع ومن بينها كتاب « صولت » الذي عنوانه « الدعوة للحياة النباتية » فاشتريته بشلن واحد ودلفت توءاً الى حجرة الطعام . وهناك تناولت اول وجبة ارضتني منذ هبطت ارض انجلترا ، وشعرت بان الله ساعدني وأخذ بيدي

قرأت كتاب « صولت » من ألفه الى يائه ، فأثر في كل تأثير ولما قرأته ، أصبحت نباتياً بالاختيار ، واني لا بارك ذلك اليوم الذي عاهدت فيه أمي على ذلك العهد . ولقد كنت امتنع من قبل عن اكل اللحم احتراماً للصدق وللعهد الذي قطعته لامي ، ولكنني كنت أرغب من كل قلبي في ان يصبح كل هندي من اكلة اللحوم . وكنت اتطلع الى حلول الوقت الذي اكون فيه واحداً منهم أعالج الأمر بحرية وجهر وادعو غيري اليه . ولكن اختياري الآن مال بي الى ناحية الحياة النباتية والتبشير بها اضحى كل همي

وظهر لي ان الملابس التي قدمت بها من « بومباي » لا توافق ذوق المجتمع الانجليزي فبدلتها بملابس أوصيت عليها في مخازن الجيش والبحرية . واشترت قبعة حريرية كلفتني تسعة عشر شلناً . ولم اكنتمف بهذا فانفقت عشرة جنيهات على بذلة للسهرة اوصيت عليها في

محل « بيوند ستريت » وكتبت لآخي ليرسل اليّ سلسلة ذهبية . ورأيت أنه ليس من حسن الذوق ان البس رباط رقبة مربوط ، فتعلمت كيف اربط رباط الرقبة بعد مرانة عليه . ولم اعتد في الهند النظر في المرأة ، بل كانت المرأة من ادوات الترف لا انظر فيها الا في اليوم الذي يزورنا فيه حلاق الاسرة . اما في لندن فكنت اقضي كل يوم عشرة دقائق امام مرآة كبيرة ، انظر فيها كيف أعدل رباط رقبي وامشط شعري على طريقة مألوفة ولم يكن شعري ناعماً فكانت تقوم في صبيحة كل يوم معركة مع المشط والفرشاة حتى يستقيم وتسفر المعركة عن توليفه بطريقة منتظمة . وكنت في كل فترة اخلع فيها القبعة او اضعها فوق رأسي ، تمر يدي على شعري بطريقة اوتوماتيكية لاصح شعري واحفظ نظامه

وكل هذا أيضاً لم يكن كافياً . فبدأت اوجه انتباهي الى تفاصيل اخرى . فرضت اني اذا عكفت عليها استطعت ان اخرج من نفسي سيداً كريماً (جنتمان) على الطراز الانجليزي . وقيل لي انه من الضروري ان اتلقى دروساً في الرقص واللغة الفرنسية وفن الالتقاء . فصممت على ان ادرس الرقص في معهد ، ودفعت ثلاثة جنيهات اجراً على دورة لتعلم الرقص مداها ثلاثة أسابيع . وكنت احتاج الى ستة أسابيع لاعرف كيف ارقص ولكني وجدت اني عاجز عن أن اقوم بحركات متزنة مؤتلفة ، لاني لم اكن استطيع ان اتبع توقيع البيانة ، فيستحيل عليّ أن أوفق بين حركة اقصامي وتقسيم التوقيع . ولكن ماذا أفعل ؟ تروى اسطورة ان ناسكاً احتفظ بهرة في منسكه ليقاوم الفئران ، ثم ببقرة لتغذي الهرة بلبنها ، ثم برجل ليخدم البقرة ، وهكذا . ولا ريبه في ان مطامعي اخذت تتكاثر ويتبع بعضها بعضاً ، مثل الناسك . ففكرت في أن اتعلم العزف على الكمان حتى أعود اذني على أنغام الموسيقى الغربية وتوقعاتها . فاشتريت كماناً بثلاثة جنيهات واضفت الى الجنيهات الثلاثة مبلغاً من المال اجراً لمعلمة ، واخذت ابحت عن معلم ثالث ليعلمني فن الالتقاء ، ودفعت لهُ جنيهًا لأبدأ عليه درسي وامرني بان اشترى كتاب « بل — Bell — في فن الالتقاء ، فاشتريته غير وان

غير ان كتاب « بل » هذا كان اول شيء قرع « الناقوس »^(١) في أذني فصحت من هذه الغفوة النفسية . قلت في نفسي « انك سوف لا تقضي عمرك في انجلترا ، فما الفائدة في تعلم فن الالتقاء ؟ » والآن « هل من الممكن أن أصبح بتعلم الرقص جنتماناً ؟ » والكمان عجزت عن تعلمها حتى في الهند . وما دمت في طور التلمذة ، فيجب عليّ أن اعكف على دروسي فاذا أهلت بي اخلاقي لان تخرج مني جنتماناً فهذا خير من كل ما عداه . وعلى هذا اوجبت على نفسي أن اترك كل هذه الاشياء

اكتنفتني هذه الافكار ومثيلاتها ، وكتبتها في خطاب ارسلت به الى معلم فن الالتقاء

(١) بين كلمة « بل » وهو اسم مؤلف الكتاب وكلمة ناقوس جناس ، لان الناقوس في الانجليزية اسمه « بل »

راجياً أن يعفيني من أتمام دروسي . ثم أرسلت بخطاب آخر الى معلم الرقص ، وذهبت بنفسي الى معاملة الكمان ، لاعتذر اليها ولاقول لها بأنها تستطيع ان تتصرف في الآلة الموسيقية باي ثمن يمكن الحصول عليه . كانت مخلصه ودودة ، فاخذت اظهر لها كيف أني تبيّنت اخيراً اني انما اتبع املاً خاطئاً ، فشجعتني على ان اتابع ما صممت عليه من تغيير خطتي تغييراً كلياً . ولقد استمرّ ولعي بهذه الاشياء ثلاثة اشهر . اما المحافظة على هندامي فقد استمرّ سنين عديدة ولكنني رجعت على كل حال تلميذاً ، بعد أن تخلّيت عن افتتاني هذا

وليس من حق احد ان يظن أن تجاريبي في تعلم الرقص وامثاله من الاشياء كان طوراً من اطوار الانغماس في الملذات قطعته في حياتي . فاني حتى في اثناء ولعي بهذه الاشياء ، كنت مالكاً لكل قوى نفسي ، ولم يتحرر طور افتتاني بهذه الخيالات من تأمل عميق كنت اقع صريعه الفينة بعد الفينة . وكنت اقيّد حسابي فلا اهل ذكر المليم والدائق الذي أصرّفه . وبدأت أناقش نفسي في نفقتي ، فاستبان لي أنه من الضروري ان اقتصد . وعلى هذا صممت على ان أخترل نفقات حياتي الى النصف . فقد استبان لي من مناقشة الحساب أن ابواباً كثيرة تذهب أجوراً . ووجدت من جهة اخرى ان معيشتي في وسط اسرة يستدعي ان ادفع حسابي كل اسبوع . فأقلعت عن عادة التجب الى افراد الاسرة بدعوتهم الى الطعام ، كما رفضت ان اقبل دعواتهم اذا انصرفوا الى الزهة او اللهو . وكل هذا كان يستدعي زيادة في النفقات . فاذا كانت رفيقتك في الزهة سيدة وجب عليك ان تقوم بكل النفقات . وظهر لي ايضاً ان الاكل خارج المنزل كان اسرافاً ، لان كل الوجبات التي لا اتناولها في المنزل لا تنقص من الحساب الاسبوعي شيئاً . ولماذا لا اوفر على نفسي كل هذه الابواب ؟

صممت على ان أوجر حجراً مستقلة ، بدل ان اعيش مع اسرة ، وبذلك اتمكن من الاختلاف من مكان الى آخر على مقتضى طبيعة اعمالي التي اقوم بها ، فاكسب تجربة وعلماً . فانتقيت الغرف التي اجرتها بحيث كانت لا تبعد عن محل عملي اكثر من نصف ساعة مشياً على القدم ، وكذلك اخذت اقتصد في الاجور التي أنفقها . وكنت قبل ذلك لا انتقل من مكان الى آخر الاً راكباً ، قائلاً اني استطيع ان اقتصد من الوقت ما اقضيه في الزهة ماشياً . اما الترتيب الجديد فكان زهة واقتصاداً ، إذ استطعت ان اقتصد اجور الانتقال وان اقطع كل يوم ثمانية او عشرة اميال سعيّاً على قدمي . ولقد أفادتني عادة المشي فوائدها جلياً ، خففتني من الامراض طيلة مقامي في المجلّرا ، واكسبتني قوة في البدن وشدة في الاصلاح

حدث بعد هذا بقليل ان قرأت كتباً في الحياة البسيطة ، سارعت بعدها الى ترك حجراتي واستأجرت بدلاً منها حجرة واحدة مهيأة بمدفاة ، ومضيت اجهد افطاري بنفسي وفي حجرتي ، ولم يكن يشغلني هذا اكثر من عشرين دقيقة ، اذ لم يكن لي من حظ في وجبة الصباح اكثر

من عصيدة القرطم وماء ساخن للكاكو. وبهذا استطعت ان اعيش بشلن وثلاثة بنسات كل يوم. وكان هذا الوقت وقت اكباب على الدرس وافتتان به. ولقد وفرت علي هذه الحياة البسيطة كثيراً من وقتي، فاجتزت الامتحان. على ان هذا الاقتصاد لم يجعل حياتي جافة كما يخيل الى البعض. بل على الضد من هذا، فان التغيير الذي ادخلته على نمط حياتي اكسبني ألفة شملت حياتي النفسية والجسمية. بيد أن الطريقة التي اتبعها كانت تلامي موارد اسرتي، فضلاً عن أنها كانت اقرب للاستقامة، فعمّ نفسي بذلك فرح لا يوصف

منذ اربعين سنة خلون لم يكن في لندن من الطلاب الهنود سوى عدد ضئيل. وكانت العادة ان يعيش هؤلاء عيش العزوبة ولو كانوا متزوجين. ذلك لانه يشترط في طلاب المدارس والجامعات ان يكونوا غير متزوجين، لانهم يعتقدون هنالك ان حياة الطلب والدرس لا تتفق مع الزواج. وكانت لنا هذه العادة في الهند خلال الازمان القديمة، ولكننا استبدلناها في العصور الحديثة بتزاوج الاطفال، وهي عادة غير معروفة في انجلترا. وكثيراً ما كانت تعلو حمرة الخجل وجوه شباب الهند عندما يضطرون الى الاعتراف بانهم متزوجون. ولقد اخذتني عدوى هذه العادة فقيدت اسمي أعزبا، على الرغم من اني كنت متزوجاً وني ابن. ولكنني لم أكن سعيداً بان اشعر اني خادعت ورائيت. ولكن خجلي وصمتي وتكتمتي، كل هذه الاشياء حملتني عن ان أدلف الى اعماق اشد غوراً

كنت مرة في صحبة امرة من « فنتور » امضي اجازتي. والعادة في مثل هذه الاسر ان تصحب الفتاة بنت صاحبة البيت ضيوف اهلها للزهوة والتريض. فاصطحبتني الفتاة يوماً الى تلال جميلة هادئة تحيط ببلدة « فنتور » ولست ممن يتشدون في المشي، ولكن رفيقتي كانت اسرع مني خطأ، فخرتني وراءها واخذت تثرثر طيلة الوقت. وكنت اجيب على ثرثرتها المرة بعد المرة بكلمة « نعم » او « لا »، وفي بعض الاحيان بكلمة « نعم. ما اجل هذا او ذاك ». وكانت كأنها طير يطير، وظللت أفكر متى نعود الى المنزل بعد ان ضربنا في المسير وبلغنا قمة تل. ولكننا لم نكد نعتلي القمة حتى اخذت افكر كيف نهبط مرة اخرى. وعلى الرغم من حذائها العالي الكعب، فان هذه السيدة التي كادت تتجاوز من العمر الخامسة بعد العشرين، هبطت من فوق التل كأنها سهم زل عن كبد القوس. اما انا فكنت في حيرة الخجل أجاهد لاهبط ذلك المرتقى الوعر. ووقفت هي تبسم وتشجعني وتعرض علي ان تأتي لنجديتي. وبكل ما يمكن ان يتصور ذهني من الصعوبة اخذت اعالج الامر فأأساند مرة وأزحف على ركبتي اخرى حتى استطعت ان اهبط الى سفح التل، فصاحت بجلء فيها « برافو ». ولكن ضحكاتها اوقعتني في خجل مرير لا استطيع وصفه

غير اني لم استطع ان افلت من غير إضرار. لان الله اراد ان يخلصني من سرطان الكذب والبهتان

ذهبت مرة الى « بريستون » ، وقابلت هناك أرملة عجوزاً معتدلة الثروة . حدث هذا خلال السنة الاولى من اقامتي في انجلترا . وكان جدول الطعام في الفندق مكتوباً بالفرنسية التي لا اعرف منها الا القليل . وجلست الى المائدة التي جلست اليها هذه الارملة . وقد لحظت اني غريب واني مرتبك ، فسارعت الى مساعدتي . بادرتني قائلة : « يظهر انك غريب وانك مرتبك . لماذا لم تطلب شيئاً ما ؟ فشكرتها وابنت لها عن الصعوبة التي تعترضني لاني لا استطيع ان اميز بين الوان الطعام وأنها يتفق وخطة النباتيين لاني لا اعرف الفرنسية الاً جداً فقالت : « اسمح لي ان اساعدك . سأوضح لك الالوان وارشدك الى ما تأكل » . وكانت هذه بادرة علاقة استحالت الى صداقة استمرت طوال مقامي في انجلترا وزمناً طويلاً بعدها . واعطتني عنوانها في لندن ودعتني الى الغداء في بيتها كل يوم احد ، فكانت تحتفي بي وتقدمني الى فتيات وتحملني على الاشتباك معهن في الحديث . وكان من بينهن على الاخص سيدة فتية كانت تقيم معها ، وغالب ما كانت تتركنا معاً في وحدة شاملة شعرت اولاً بان الامر شاق متعب . فكنت لا استطيع ان ابدأ حديثاً ، ولا اقدر على ان اشترك في فكاهته . ولكن هذه السيدة الفتية قادتني الى الطريق ورسمت لي الخطة . وبدأت اتعلم . ومع مرور الزمن بدأت اشوق الى يوم الاحد من كل اسبوع ، واخذت أميل الى التحدث الى صديقتي الشابة

واخذت الارملة العجوز تمد اطراف شباكها يوماً بعد يوم . كانت تظهر الاهتمام بمقابلاتنا . وليس من البعيد انها كانت تحتط من حولنا خطة تحاول تنفيذها . فتولتني حيرة مزعجة . كيف اقوى على ان اخبر ربة البيت باني متزوج ؟ غير اني تمنيت لو اني اخبرتها . اذن لرات ان من الصعب عقد خطبة بيننا . ولكن الوقت لم يكن قد فات بعد . ورأيت ان اعلان الحق كفيل بان يوفر عليّ تعساً اكبر من التعس الذي اشعر به . وبهذه الفكرة كتبت لربة البيت خطاباً جاء فيه :

« لقد شملني عطفك منذ ان تقابلنا في بريستون لأول مرة ، حتى انك عنيت بي كما تعني الام بابنها ، وفكرت في ان اتزوج ، واخذت تقديميني لفتيات لأعقد معهن يوماً او اصر الالفة والصداقة . ولاني لا ارغب في ان تهادى الامور الى أبعد مما وصلت الان ، اصارحك باني لم اكن خليقاً بعطفك هذا . كان من الواجب عليّ ان اعرفك منذ بدأت زيارتي لمنزلك اني متزوج . فقد عرفت ان طلبة العلم من الهنود يخفون في انجلترا امر زواجهم ، فتابعهم في هذا . واني لآسف لاني اضطررت لان اخفي عنك الحقيقة طوال هذه المدة . ولكني الآن مغتبط لان الله قد أمدني بشجاعة حملتني على ان اقول الحق وان اصارحك به . فهل لك ان تغفري لي ؟ واني لا أؤكد لك باني لم اتجاوز حد الآداب مع السيدة التي تفضلت بان قدمتي

لها . فاني اعرف الحدود التي يجب ان اقف عندها . اما انت ، فلانك كنت جاهلة امر زواجي ، فقد رغبت في ان تتم خطبتنا . ومن اجل اني رغبت في ان لا تتجاوز الامور حدها الذي بلغت اليه ، رأيت واجباً عليّ ان اطلعك على الحقيقة

« اما اذا وصلك هذا وكان شعورك باني كنت غير خليق بان اوجد تحت سقفك وفي ضيافتك ، فاني اؤكد لك بان ذلك يسوؤني كل الاساءة . ان لك في عنقي ديناً لا يوفيه عرفان الجميل والشكران جزاء ما اظهرت نحوي من العطف والحنو . فاذا رأيت بعد هذا ان لا تطرحيني واني جدير بكرمك الذي سوف لا آلو جهداً في أن اجعله من نصيبي ، فلا شك في اني اكون سعيداً ، واعتبر ان هذه خاطرة اخرى من خاطرات حنوك وعطفك »

كتبت هذا الخطاب مرات لانقحة مرة بعد اخرى . ولكن على كل حال حمل عن كاهلي عبئاً كنت اشعر بثقل وطأته . وفي عودة البريد وصلني الرد فكان فيه ما يلي :

« وصلني خطابك الذي عبر عن اخلاصك . ولقد اغتبط به كلانا ، كما اضمحكنا كثيراً . فان الحقيقة التي اخفيها عنا وتعتقد أنك أجرت في اخفائها يمكن العفو عنها . ولكنك احسنت في انك اوقفتنا على حقيقة حالك . وان دعوتي لك ما تزال جارية كما كانت ، وانا لفي انتظارك يوم الاحد المقبل ونتشوق الى سماع رواية زواجك وانت طفل لعلنا نسرّ ونضحك بعض الشيء ونسري عن انفسنا على حسابك . ولست في حاجة لان اؤكد لك ان صداقتي لم تمس من جراء هذا الحادث »

بهذا طهرت نفسي من سرطان الكذب والبهتان . وما ونيت منذ ذلك الحين ان اتكلم عن زواجي كلما سنحت فرصة للكلام فيه

قبل ان تنتهي سنتي الثانية في انجلترا ، بدأت علاقتي باخوين من الآخذين بمبدأ الشيوصوفية — theosophism — وكان كلاهما غير متزوج : وتكلمنا معي عن اسفار « الغيتا » — The Gita — وكانا في ذلك الوقت مكبين على قراءة ترجمة سير « أدوين ارنولد » لكتابنا المسمى « الاغنية السماوية » ودعياي لان اقرأ الاصل معهما . فشعرت بالخلج لاني لم اكن قد قرأت « الاغنية السماوية » لا في اللغة السنسكريتية ولا في اللغة الجوجراتية . فاضطرت لان اصارحهما باني لم اقرأ « الغيتا » ، ولكني اقرأ معهما بسرور ، وان معرفتي بالسنسكريتية ان كانت « فجأة » ناقصة ، فقد املت ان افهم الاصل بحيث استطيع ان اعرف اين عجزت الترجمة عن التعبير عن المعنى . وبهذا بدأت اقرأ « الغيتا » معهما . ولقد اثر في جانب من الفصل الثاني تأثيراً لا ينسى ، وعلى الاخص المقطوعة الآتية :

« اذا عكف الانسان على حاجات البدن ، فهناك يبدأ الميل اليها ، ومن الميل تتولد الرغبة ومن الرغبة تتولد نيران الشهوة المفترسة . والشهوة تولد الطيش والتهور . وبذلك تخون الانسان

الذاكرة ، فيقضي على الاغراض النبيلة ، ويتقوض بناء العقل ، فيفنى الغرض والعقل والانسان »
ولقد ظهري ان الكتاب لا يقدر بثمن . وهذه الفكرة التي كونتها في اسفار « الغيتا »
ما تزال حتى اليوم تنمو وتتطور في نفسي ، حتى اني لاعتبرها اليوم اسمى كتاب يعرفنا الحق .
ولقد امدني هذا الكتاب باكثر المساعدات في اشد ساعات محنتي حلكة وقرأت بعد ذلك كل
الترجمات الانجليزية التي ظهرت لهذه الاسفار ، فرأيت ان ترجمة سير أدوين ارنولد احكمها
وأصفها . فقد حافظ على الاصل ، مع انه صقلها فكانت بعيدة عن روح الترجمة . وعلى الرغم
من اني قرأت « الغيتا » مع هذين الصديقين ، فاني لن ادعي اني درستها اذ ذاك . ولكن بعد
بضع سنوات من ذلك التاريخ بدأت اصحب « الغيتا » اذ جعلته كتابي اليومي

ارشداني بعد ذلك الى كتاب آخر بقلم سير « ادوين ارنولد » عنوانه « نور آسيا » .
وكنت لا اعرف ان للسّر « ارنولد » كتاباً آخر غير « الاغنية السماوية » . فقرأت ذلك
الكتاب بلذة واكباب لم اجدتها حتى في قراءة الغيتا . وما فتحت الكتاب حتى اختلبيني
فلم استطع ان القيّه من يدي . وصحبتهما بعد ذلك الى محفل « بلافاثسكي » وقدّمني الى
مدام « بلافاثسكي » ومسر « بزانت » . وكانت مسر بزانت قد انتمت الى الجمعية الثيوصوفية
حديثاً ، فتتبعت بكل عناية حديث اعتناقها لهذا المذهب . ونصح لي الصديقان ان انتمي
للجمعية ، ولكنني رفضت بأدب قائلاً « إن معرفتي بحقائق ديني غير تامة ، ولهذا لا أريد
ان اتصل باي جماعة دينية » . واذكر اني قرأت بارشادها كتاب مدام « بلافاثسكي » « مفتاح
الثيوصوفية » . ولقد كان من اثر قراءتي لهذا الكتاب ما حملني على ان اقرأ كتباً اخرى
عن الهندوكية ، خرجت منها بفكرة كاملة في تحامل المبشرين على الدين الهندوكي ، اذ يزعمون
انه مدخول بالخرافات والأساطير

في ذلك الوقت قابلت نصرانياً مستقيم الفكر في « مانشستر » في فندق خاص بالنباتيين .
فتكلمنا في الدين النصراني . واطلعت على ما ثبت في ذهني من اعمال المبشرين في راجكوت .
فتألم مما سمع وقال « انا من النباتيين ولا اشرب الخمر . وكثير من النصاري يأكلون اللحم
ويعاقرون بنت الحان . ولكن كلا الأمرين غير مسموح به في الاناجيل . ارجوك ان تقرأ
« الكتاب المقدس » . فقبلت نصحه واعطاني نسخة . ويخيل اليّ ، بقدر ما تسمح بذلك
ذاكرتي ، انه كان يبيع الكتب المقدسة ، واني اشتريت منه نسخة تحتوي على خرائط وفهارس
للكتابات وغير ذلك من وسائل المساعدة على مطالعة الكتاب . واخذت اطالعها ، ولكنني
عجزت عن ان اتم قراءة العهد القديم . قرأت سفر التكوين . اما الفصول التي تتلوه فقد
بعثت بالنعاس الى جفوني فتناقلت واخذني الالقاء . غير اني حملت نفسي على متابعة
القراءة لاستطيع ان اقول اني قرأت الكتاب ، فتصحفت الاسفار الاخرى بصعوبة ، وباقل

ما يمكن ان تتصور من اللذة او القدرة على الفهم . وكرهت ان اقرأ سفر العدد
اما العهد الجديد فقد اثر في نفسي تأثيراً مخالفاً كل المخالفة لهذا ، وعلى الأخص « موعظة
الجبل » فانها وجدت طريقاً مباشراً الى قلبي . ولقد اخذت اوازن بينها وبين الغيتا ، وتخلقت
بقول عيسى « لا تقاوموا الشر بل من لطمك على خدك الأيمن خول له الآخر ايضاً . ومن
اراد ان يخاصمك ويأخذ ثوبك فارك له الرداء » . وكان تأثيره في نفسي بالغاً لا يقاوم . وزين
لي عقلي الصغير أن أوجد بين الغيتا ونور آسيا وموعظة الجبل

وكان من اثر مطالعاتي هذه ان ولعت بقراءة سير اصحاب الاديان الاخرى . وأرشدني صديقي
الى كتاب كارليل « الابطال وعبادة البطولة » وقرأت الفصل الذي عقده في « البطل في
صورة نبي » وعرفت منه عن نبي الاسلام العظمة البالغة والشجاعة النادرة وعيشة التقشف والصلاة
وما عدا هذه المطالعات التي دارت حول الدين ، لم أقرأ شيئاً ، لان ميعاد الامتحان كان
قد قرب وبذلت كل جهدي في الاكباب على الدرس . ولكن اتجه فكري الى ضرورة ان
أقرأ عن الدين اكثر مما قرأت في كتب الدين وان ألم بكل الاديان العظمى
وكيف استطيع ان اعرف شيئاً عن الاتحاد وانكار وجود الله بجانب هذا ؟ ان كل هندي
يعرف اسم « برادلو » — Bradlaugh — والحاده . فقرأت في الاتحاد كتاباً نسيت اسمه ،
لأنه لم يترك اي أثر في نفسي ، وكنت اذ ذاك قد اقتحمت مفازة الاتحاد . وكانت مسر « برانت »
في ذلك الحين قد انتقلت من الاتحاد الى الالهية ، فقوى هذا الحادث عندي الزهد في الاتحاد ،
بعد ان قرأت كتابها « كيف اصبحت ثيو صوفية » ؟

في ذلك الحين مات « برادلو » ودفن في مدفن « بروكوود » . ولقد شهدت الجنازة ،
كما شهدها كل هندي مقيم في لندن . وكان فيها قليل من رجال الدين ليقوموا بآخر واجباتهم
نحو الرّاحل . وعند عودتنا اضطررنا ان ننتظر في محطة السكة الحديدية مقدم القطار ،
فتقدم احد زعماء الاتحاد من احد رجال الدين وسأله : « أعتقد يا سيدي في وجود الله ؟ »
فاجابه الرجل « أفعل » مغضياً من صوته . فاجابه الملحد وعلى فيه ابتسامة الواثق من
نفسه . « أتسلم ايضاً ان محيط كرة الارض ٢٤٦٠٠٠ ميل ؟ اتوسل اليك ان تعرفني ما هو
حجم إلهك وأين هو ؟ »

« نعم . لو اننا عرفناه حقاً ، إذن لعرفنا ان مشواه في قلبينا معاً »
— « لا تهزأ بي كما تهزأ بطفل » — قال الملحد هذه الكلمات وفي عينيه نظرة المنتصر
الناافر . ولكن رجل الدين احتفظ ازاء هذه النظرة بصمت مهيب

وكان لهذا الحديث أثر في نفسي زادني بغضاً في الالحاد وزهداً فيه هبط انجلترا في ذلك الوقت هندي معروف هو « نارايان همشاندرا » وكنت سمعت عنه ككاتب. وكنا اول ما تلاقينا في منزل مس « ماننج » وهي من اعضاء الجمعية الهندية الوطنية. واعتدت أن ألزم الصمت التام كلما زرت بيتها فلا اتكلم الا اذا كلمت. فقدمتني الى « همشاندرا » ولم يكن يعرف الانجليزية. بل كان هندامه عجيباً. بنطلون غليظ صفيق. ومعطف كثير الثنايا متسخ رمادي اللون، مقصوص على الطريقة « الباريسية »، ثم انه كان بلازيق وبلا رباط للرقبة. وعلى رأسه قلنسوة من صوف يتدلى منها زركير، وعلى صدره ترسل لحية كثنة طويلة. كان ضئيلاً قصيراً. وشابت وجهه المستدير ندوب الجدري، واستوى في وسط ذلك الوجه انف ليس بالدقيق ولا بالغليظ. ومثل هذا الشخص الغريب بلبسه هذا، كان مرشحاً لان يزحم جماعات لندن المعروفة بانافتها

كنا نتقابل كل يوم. واتضح لي ان هنالك توافقاً كثيراً بين ما يحول في رأسي من افكار وما نعتزم من العمل. وكلانا كان نباتياً. وغالب ما كنا نتعاطى طعام الظهر معاً. وكنت في ذلك الوقت اعيش بسبعة عشر شلناً في الاسبوع واطهي طعامي بنفسي. وكنت اختلف الى حجره آونة بعد أخرى، كما كان يختلف هو الى حجرتي. وكنت اطهي على الطريقة الانكليزية، ولم يكن يلتذ الا بالطهي على الطريقة الهندية. كنت اصنع شوربا الجزر وكان يرثي لدوقي. وعثر مرة على قليل من العدس فطبخه وحضر به الى سكني. فأكلت منه بشوق وشغف ومنذ ذلك اليوم كنا نتبادل ما نطهي. كنت اذهب اليه بالواني النادرة، وكان يحضر الي بالوانه

كان اسم الكردينال « ماننج » على كل لسان. وكان اعتصاب عمال احواض السفن قد قضى عليه باسرع ما تصور انسان بفضل مساعي « جون برنز » والكردينال « ماننج ». وحدثت « نارايان همشاندرا » عن شكر « ذرائيلي » ومدحه بساطة الكردينال : فقال « اذن فلا بد لي من ان ارى ذلك الحكيم »

« انه رجل عظيم القدر، فكيف تتوقع ان تقابله ؟ »
« ولماذا . اني اعرف كيف يكون ذلك . سأجعلك تكتب له نيابة غني فتقول له اني مؤلف واني اريد ان اهنئه شخصياً بعمله الانساني، واني صاحبك معي كترجم لاني لا اعرف الانجليزية »
فكتبت خطاباً بهذا المعنى. وبعد يومين او ثلاثة وصلتنا بطاقة من الكردينال ماننج محدداً لنا موعداً. فذهبنا اليه معاً. اما انا فارتديت بزة الزيارات. وبقي « نارايان همشاندرا » كما هو بمعطفه المعروف وبنطلونه الذي وصفت. وحاولت ان اهزأ به، ولكنه ضحك مني قائلاً :
« انتم معشر المتمدنين جبناء. ان العظماء لا يعنون بمظاهر الاشخاص. انما ينظرون في القلوب »

ودخلنا قصر الكردينال . وما إن اخذنا مجلسنا حتى دخل علينا « چنتلمان » نحيف طويل القامة وسلم علينا يداً بيد . . وهنا بدأ « نارايان همشاندرا » مقولته :
 « لا اريد ان اضيع عليك وقتك . فقد سمعت عنك كثيراً وشعرت واجباً عليّ ان احضر اليك لاشكرك على ما فعلت من خير للمضربين . ومن عادي ان ازور حكماء الدين . ولهذا اضطرت ان ازعجك بزيارتي » وكان يتكلم باللغة الجوجراتية ، وانا اترجم الى الانكليزية فرد عليه الكردينال قائلاً : « اني لمسرور بزيارتك . وآمل ان تكون اقامتك في لندن مواتية وان تتمكن من الاتصال بالقوم هنا . وليباركك الله » ولما اتم هذه الكلمات وقف وودعنا

زارني « نارايان همشاندرا » مرة في قميص ودوقيه ^(١) كما نلبس في الهند . ولم تذكر دبة البيت تفتح الباب اذ قرعته حتى ارتدت اليّ مفزوعة : — « رجل به مس يريد ان يراك » — فسارعت الى الباب وكنت دهشتي عند ما رأيت همشاندرا على هذه الصورة وفي هذا الزي . فأخذت . غير ان وجهه لم ينم على شيء ، اللهم الا على تلك الابتسامة الهادئة التي عودناها منه

« ولكن الم يهزأ بك الاطفال في الطريق ؟ »

« نعم فعلوا . فلما اهملتهم سكتوا »

وذهب نارايان همشاندرا الى باريس بعد ان اقام في لندن بضعة اشهر . وبدأ يتعلم الفرنسية وحاول ان يترجم منها كتباً . وكنت اعرف من الفرنسية قدرًا مكثني من مراجعة ترجمته ، فأعطينها لاطالعتها . وسرعان ما استبان لي انها لم تكن ترجمة بل مادة جديدة وأخيراً صمم على ان يزور اميركا . وبكل صعوبة استطاع ان يحصل على تذكرة سفر في الدرجة الرابعة . ولما كان في اميركا حوكم لانه قليل الاحتشام في ملبسه ، لانه خرج يوماً في قميص ودوقيه . واذكر انه بُرئى من هذه التهمة

كان من السهل عليّ ان ازاول مهنة المحاماة في انكلترا . ولكن المرانة كانت غير ميسورة المثال . كنت قد درست القانون كمادة اساسية ، ولكنني لم ادرس كيف اتابع الاجراء القانوني . درست مبادئ القانون ، غير اني لم ادرس كيف اطبقها في مزاولة مهنتي

كانت الشكوك تمزق احشائي تمزيقاً خلال درس القانون . فأطلعت بعض اصدقائي على ما ارى من هوم . واقترح احدثهم ان الجأ الى « دباباي نايجري » في طلب العون والنصيحة . وكنت اشعر بأنه ليس من حقّي في شيء ان ازعج مثل هذا الرجل العظيم واشغله بنفسه ،

(١) عبارة عن قطعة طويلة من قماش القطن ، تطوى حول الوسط وتغطي الجزء الاسفل من الجسم

على الرغم من اني كنت احمل اليه كتاب توصية من الهند . وما فاتني يوماً أن احضر خطاباً اجمع القاءه ، بل كنت اذهب الى المكان واصفى اليه من ركن في الحجرة كنت آوي اليه ، ثم انصرف بعد ان اشبع سمعي وبصري . ومن اجل ان يكون اكثر احتكاكاً بالطلبة اسس جمعية . واعتدت ان احضر اجتماعاته وكنت اسر كل السرور بما ارى من اشفاقه على الطلبة ومن احترامهم له . وعلى مدى الزمان استجعت شجاعتى وقدمت له كتاب التوصية . فابتدري بقوله « يمكنك ان تحضر اليّ لتتلقى نصائحي في اي وقت تشاء » ولكني لم احاول ان اتفجع قط من وعده هذا بشيء

ولقد نسيت الآن ان كان صديقي هذا بعينه هو الذي قدمني الى مستر « فردريك بنكت » — Mr-Frederick Pincutt — كان من حزب المحافظين ، ولكن عطفه على الطلبة الهنود كان صافياً ومن غير شائبة . ولقد سأله كثير من الطلبة النصيح والمساعدة ، وسألته بدوري ان احطي بموعده ، فلم يبخل به . ولن انس ما اعيش هذه المحاورة . فلقد رحّب بي كصديق وهرأ بتشاؤمي قائلاً : « كن على يقين من انه ليس بشيء غير عادي ان يصبح الانسان محامياً ذمراًة وحصافة . فالامانة والعمل كافيان لان يجعلاه يعيش . وليست كل القضايا مرتبكة الاجزاء كما تتوهم . ولكن عرفني ما هي معلوماتك العامة ومطالعائك »

فلما اطلعت على مقدار معرفتي ، وهي ضئيلة ، رأيت انه امتعض . ولكن امتعاضه لم يستقم اكثر من دقيقة وسرعان ما اشرق وجهه بابتسامة مرضية وقال :

« لقد فهمت السر في اضطرابك . ان معلوماتك العامة ضعيفة . انك قليل الخبرة بالديا . والدليل انك لم تقرأ حتى تاريخ بلادك . ان المحامي يجب ان يدرس الطبيعة البشرية ، وواجب على كل هندي ان يُلمّ بتاريخ الهند . وليس لهذا من علاقة بمزاولة مهنة المحاماة . ولكن ينبغي لك ان تعرف هذا . وانصح لي انك لم تقرأ شيئاً مما كتب « كاي » او « ملهسون » عن تاريخ العصيان في الهند . الجأ الى هذا في الحال ثم اقرأ كتاباً او كتابين في الطبيعة البشرية » شعرت بانني مدين باكبر دين لذلك الصديق الذي أمدني بهذه المساعدة القيمة . على ان نصيحة « بنكت » ان كانت لم تقدي فائدة مباشرة ، فاني استعضت بصداقته عما خيل اليّ ان انا من فائدة بنصحه . وان وجهه الغرّ البسوم ما يزال حياً في مخيلتي ، وما زلت اعتقد ان الكفاية العليا ليست ضرورية لكي يكون الانسان محامياً ناجحاً في الحياة . فالامانة والاكباب على العمل يكفيان . ومذ كان لي في الحياة نصيب من هاتين الصفتين شعرت بانني حققت قوله فلما اجتزت الاختبار النهائي في القانون ، انقضت مدة اقامتي في انجلترا

اسماعيل مظهر

الجرمة والعبقريّة

إذا درسنا المجرمين والعبقرين والنابعين من رجال العلم والتأليف والفن ، الذي تمتلئ باسمائهم سجلات الخلود العالمية ، من الناحيتين العقلية والجسمانية ، وجدنا ان العبقري لا يختلف كثيراً عن المجرم الذي يلتقي في غياهب السجن ويحبس عن المجتمع درءاً لشروره وآثامه . فهل هناك علاقة بين الجريمة والعبقريّة ؟ وهل العبقري يميل لأقتراف الجرائم واجتراف المساوي أكثر من غيره ؟

لنأت أولاً على تعريف الجريمة ، وماذا نريد بها

اختلف علماء الاجرام (Criminologist) في تعريف الجريمة ، فقال بعضهم : « انها عمل مخالف لانظمة المجتمع » وعرفها آخرون بقولهم : « ان يعيش الانسان حياة مخالفاً نظام السلوك والآداب المعترف به من بقية افراد المجتمع » وقال غيرهم : « ان الجريمة اي عمل سواء أ كان اهماً أو ارتكاباً يجازي به القانون لفائدة المجتمع » او قول بعضهم : « شذوذ عن احكام الشريعة والآداب » . فنرى ان ثمة اختلاف ظاهر في التعاريف المذكورة ، وليس بالامر اليسير تعريف الجريمة تعريفاً دقيقاً . وإذا فما كان يعتبر جريمة في السابق لا يعتبر كذلك الآن ، وعلى الضد من ذلك فقد نحسب عملاً ما جريمة الآن ولكنه لم يكن في نظر الاقدمين كذلك . فان الشعوب كان يعتبر محترفها مجرمًا ولكنها الآن ليست كذلك . والرقيق الذي كان في الماضي عملاً يرتزق منه اناس كثيرون اصبح الآن يعد جريمة اجتماعية لا تغتفر ويطارد صاحبها . وقد يُعدُّ نوع من الاعمال جرماً عند امة ولكن عند غيرها قد يحسب عملاً شريفاً يقول لومبروزو (Lombroso) : « ان المجرم نوع خاص ، يقف وسطاً بين العتو والوحشية » .

اما « ونزلاف » العالم النفسي فيقول في كتابه « الانسان العقلي »^(١) ما يلي : « ان المجرم يمثل نوعاً آخر من النمو المتوقف (اي العاقل) . وليس المجرم شخصاً بسيطاً ، ومجرماً عَرَضِيّاً ، وانما هو انسان لا يفرّق بين واجباته وحقوق الآخرين . وتنقصه حاسة الاخلاق واما قوة ادراكه فضعيفة بوجه عام ، وهو قليل الشعور بحاسة الالم بوجه خاص ، ولذا كان قاسياً عديم الشفقة . ومن صفات المجرم ايضاً الكسل ، وهو معجب بنفسه ، لا يندم على ما يقترف من آثام واجرام ، شديد الولع بالمنبهات ، والقمار ، والفسق ، والدعارة ، مهمل للديانة ،

بسبب البيئة والوراثة ، واعراض كثيرة تتوالى على الانسان في مختلف ادوار حياته . وللأمراض أيضاً أثر قوي في العبقرية ، وخصوصاً ما كان منها مزمناً كالسل وغيره . وكثيراً ما قيل ان العبقرية تنشأ من الأمراض . ولقد قضى كثير من العبقريين ، كالشاعر الانكليزي كيتس والروائي الروسي تشيخوف والكاتب الانكليزي ستفنسون ضحية هذا الداء الويل (السل) وقد جاء في محاضرة للدكتور بيرسون ^(١) Dr. A. Vere Pearson الطبيب في مستشفى

مندسلي مايلي : —

« كثيراً ما نسب العلماء البواعث المثيرة للعبقرية الى مرض السل . ولكنني احسب ان هؤلاء قد افراطوا جداً فيما نسبوه اليه . ومما لا ريب فيه انه يحدث هيجان واضطراب في بعض اعراض مرض السل الرئوي ، وثمة شعور بقصر الحياة ، ولكن هذا الشعور لا يسلم به العقل الواعي . ان الشعور بقصر الحياة والهيجان المضطرب الناشئين عن هذا المرض المزمن ، وخصوصاً في ادواره الشديدة ، قد يكونان كباعث قوي ومنبه للانتاج والابتكار ، ولا سيما عند المؤلفين ، الذين يتمكنون من دون كبير عناء جسماني ، من اظهار آثارهم ونبوغهم »

يتلخص معنا من هذا ان المرض ليس شرطاً من شروط العبقرية ، وانما هو عارض طارئ لا يلبث ان يزول ، اما العبقرية فاذا وجدت ، فهي موجودة اصلاً ، ولكن المرض قد يزيدها تأججاً واضطراباً

هذا وبعد ان اتينا على تعريف الجريمة والعبقرية فلنبحث الآن في العلاقة بينهما ، وهل يكون المجرم عبقرياً ، والعبقري مجرمًا ؟ اننا نرى العبقري غريباً في افكاره وأطوار حياته ، متصفاً بصفات شاذة ، اكثر مما يتصف بها المجانين والمجرمون . وثمة تقارب ظاهر بين المجرم والمجنون والعبقري ، والصفات والعادات التي يتصف بها هؤلاء الثلاثة ، لا نقول انها واحدة ، ولكنها قريبة مشتركة ، ويمكننا ان نعد هؤلاء ثواراً على الهيئة الاجتماعية وهم ابعد ما يكونون عنها وعن الانسان العادي . فالعبقري تتمثل فيه الروح الاجرامية النائرة بمظاهرها المختلفة ، ويتأجج في نفسه البغض نحو المجتمع الذي لا ينفك يثيره ويهيجهُ وهو في خصام دائم معه ، تتنازع صدره الاطماع والمنافع ، وتثيره الانظمة والقوانين فيكاد يحطمها ، ويسعى جهده لتبديلها وتغيير معالمها . فأوجه الشبه بين العبقري والمجرم انهما مشتركان في صفات عدة ، كالانفعال الشديد الهدام ، والثورة المضطربة والبغض المتأجج ، والحق الدائم ، والخيال الوثاب ، وغير ذلك . اما الشواهد الدالة على تقارب ذهني المجرم والعبقري فكثيرة في التاريخ

(١) راجع عدد آب (اغسطس) سنة ١٩٣٢ من مجلة "Journal of State Magazine"

يقول هنري رودس في كتابه « المجرم والعقوبة »^(١) ما يأتي : —
 « إنَّ العقوبة أكبر اعداء المجتمع . والمجتمع يعمل لهدم العقوبة وهلاكه أولاً ثم يتخذ آراءه الاجرامية ويتبعها . فالعقوبة يضر المجتمع ويهدمه احياناً كثيرة . وقد جعل نابوليون من اوربا مذبحةً ومجزرةً . اما لنين فقد ترك روسيا جائعةً دامية . وقد قيل ان قولتير يحمل تبعاً الثورة الفرنسية وهو مسببها ، فقد قوَّض بقلمه الحاد ، دعائم النظام في فرنسا ، ومهد بذلك السبيل للثورة . ولكن من الخطأ ان نعتبر العقوبة مضرّة ، او نافعة ، فقد تكون هذه او تلك . . . »

فالعقوبة نتيجة حالة غير طبيعية في العقل البشري ، وهي بشورائها ضد المجتمع تدور في دائرة ، وكثيراً ما ترى لها مخرجاً في الرجل المجرم . ومن امثلة الطبيعة الثائرة « اوغست ستينبرغ » الكاتب القصصي السويدي . فقد تجمعت فيه صفات كثيرة ومواهب عديدة ، فكان مؤلفاً مسرحياً وكاتباً روائياً ، وعالمًا نباتياً ، وكيميائياً ، ومن العجيب انه تعلم اللغة الصينية وهو لم يزر قط بلاد الصين ! وقد كان يحتقر ما تواضع عليه المجتمع من مقاييس السلوك والآداب ، ويكره ما ائتمف عليه الناس من قواعد الاخلاق وأنظمتها . وقد اُتهم بالتجديف ، وكتبه مشحونة بالآراء الثورية ضد المجتمع ، حتى انه في بدء حياته ظهرت فيه بوادر عديدة للأجرام . وكان ريشيليو غير شريف في الاساليب والطرق التي سلكها لجمع المال . وبدأت حياته بالتزوير ولما اعطيت له ورقة عماده الكنائسية بواسطة وثائق مزورة ، وضع فيها اسمه في سجل العماد بدلاً من اسم اخيه . ويقول رودس المذكور آنفاً : « ان جرائم ريشيليو سبب قوي في ظهور عقوبته ، وان ريشيليو المجرم هو الذي كان عظيماً . واما بقية مواهبه فكانت عادية ، بل حقيرة »

اما (ادجر ألن بو) الشاعر الاميركي فكان (عقوبياً — مجرمًا) بمعنى الكلمة ، فكان دائم النزاع والنفور من المجتمع ، وقصصه اجرامية حافلة بمجواث المجرمين ووقائعهم . ويصف (بو) المجرم وصفاً لا يصف به غير المجرم . واما اسكار وايلد فحما كتمته وسجنه تظهره للملا مجرمًا كبقية المجرمين ، لا يختلف عنهم في شيء . ولعلَّ من قرأ كتابه « من الاعماق » De Profundis الذي ترجم للغة العربية ، يعرف ماذا قاسى وكيف عاش وايلد في السجن مع زملائه العاديين ! فبين العقوبة والجريمة اذاً ، اتصال وثيق ، ولكن ليس شرطاً ان يكون العقوبة مجرمًا او ان يكون المجرم عقوبياً .. وانما هي فلتات الطبيعة وشذوذها ، تجعل من الانسان تارةً عقوبياً يخلق في سماء الخلود ، واخرى مجرمًا يعيش وراء القضبان في ظلام السجون ! ...
 حلب : سورية
 فؤاد عيّناني



شيخوخة جوته

١٨٠٥ - ١٨٣٢

للكنور على مظهر



لحق الاسى والجزع بجوته عندما فقد نده في الشعر والادب وزعامتهما ولعني بذلك شاعر المفكر الذي قضى وهو في ربيع الحياة وتخليداً لذكره وقياماً بالواجب نحو صديقه الراحل نظم له قصيدة سماها (النشيد الختامي للاجراس) وعاش جوته بعد شلر سبعة وعشرين سنة كان فيها مثال الجد والنشاط في جميع ابواب العلوم والآداب فكنت تراه احياناً يدرس البصريات ونظريات الالوان وعلم تركيب عظام الهيكل الفقري وعلم طبقات الارض وعلم الافلاك والكواكب والتغيرات التي تطرأ على النبات وغير ذلك من الامور النافعة المفيدة . اما الشعر فكان حظه من قرضه في اثناها اقل مما سبق

وكان اول مؤلفاته الممتعة روايته القصصية التي اسماها Die Wahlverwandschaften (القربى المختارة) التي اظهرها للناس سنة ١٨٠٩ . وقد اراد ان يبين في تلك الرواية ان سعادة الحياة تتبدد بمجرد انفصام عرى الآداب الفاضلة . وقد خطر له هذا الخاطر عند ما فكر في مسألة الزواج الذي قال عنه انه هو مبدأ الحضارة وذروتها وانه اقدس عقد يعقد لا انفصام له اذ ان عروته وثقى . وان الزواج يكون مقروناً بالسعادة ويكون زواجاً حقيقياً اذا ما امتزج فيه الحب الطبيعي غير المتكلف باحترام الآداب ومراعاتها . ولندكر ملاحظاً لتلك القصة : عاش ادوارد وشارلوتي عيشة زوجية سعيدة ناعمي البال كما كان يظهر عليهما وبقيت لهما تلك السعادة وذلك الهناء حتى ان دعت الزوج هويمان واوتيلي في ضيعة لها بالريف وبمجرد ما حدث ذلك الاتصال بدأت (المعركة) وكانت شارلوتي امرأة حازمة خيرة امكنها ان تتفادى بكل ما اوتيت من قوة ما كان القلب به يتحدث والنفس اليه تميل وان تقوم بواجبها كزوجة طيبة بارة وكذلك كان هويمان فقد كان رجلاً صليداً يعرف ان يضبط نفسه وان يراعي قانون الآداب الفاضلة وان يتغلب على حبه فيكبح جماحه . اما اوتيلي فكانت طفلة بطبيعتها لا تقدر ان تحكم عواطفها وميولها ولا ان تقاومها وكان ادوارد زير نساء من غواياته يمشي ويحيا وكان ارضاء ملذاته اكثر الاشياء التي تهمة وتشغله في هذا الوجود بل قل انه كان يعتبر غايته من هذا العالم ووجوده فيه انما كان للافساد لا للإصلاح لهذا كان يعيش ولهذا وجد ولم يكن له من عمل آخر غير البحث والتنقيب عن الغواية والملذات فلم يتمكن هو ولا تمكنت هي من ضبط عواطفهما وتبعاً غواية الشيطان وضلالته فعكر صفو تلك الحياة التي كانت من

قبل وكفرا بحتفهما عن انماهما وانها كهما لحرمة الآداب
ولما انتهى جوته من كتابة تلك القصة الروائية اراد ان يكتب قصته هو وان يصور
للناس حياته وان يخطط لهم تاريخها بنفسه فأخرج للناس كتاباً نفيساً عنوانه (من حياتي -
شعرو حقيقة) وقد اظهر من هذا المؤلف سنة ١٨١١ الجزء الاول ثم ضم اليه جزءين آخرين
بعدئذ فأتى فيهما على وصف حياته كما كان القدماء يكتبون وكيف كان يعيش وجاء بذكر
هنواته ومساعيه ومحاولاته وكيف تكوّنت عنده الشاعرية وقد اجاد في وصف ذلك ايما اجادة
ولكن مما يؤسف له انه وصف حياته الى السادسة والعشرين من عمره والى ان اقام في فيمار فقط
وتجد شيئاً من التتمة في اوصاف رحلته في ايطاليا ورحلته الثالثة الى بلاد سويسرا ووصفه
لحمة في فرنسا وحصار ماينز وفي كراسات اليومية والسنوية

ولما ان كانت حروب الاستقلال والحرية المعروفة عند الالمان ودع جوته تلك الحياة النائرة
العاصفة وولّى وجهه شطر الشرق فبدأ يدرس اللغة العربية والفارسية واخذ يترجم عن هذه
اللغات بعض اشعارها احياناً او ينظم من عنده ويلبس قريضه ثياباً شرقية وقد جمع تلك
الاشعار بعدئذ في سفر اسماء : ديوان الشرق والغرب (Der westöstliche Diwan) وظهرت
تلك المجموعة الشعرية سنة ١٨١٩ اما زوليخا (Suleika) التي يذكرها في ديوانه هذا فهي
السيدة ماريانه فون فيليمير Mariane v. Willmer واصلها من فرنكفورت (ولدت سنة ١٧٨٤
وتوفيت سنة ١٨٦٠). ويؤخذ مما ذكره عنها في بعض قصائده ما كانت عليه تلك السيدة من
سجيا فاضلة ونبل وشرف. وقد بدأ جوته صحبتها لها سنة ١٨١٥. ومع ان الشاعر لم يشترك في
حركات الالمان الوطنية حينئذ ولكنه حيى تحرير المانيا من نير الفرنسيين بروايته التمثيلية
(نقطة پيميندس Des Epimenides Erwachen) التي مثلت في برلين يوم ٣٠ مارس سنة ١٨١٥
وكانت رغبة الشاعر الشيخ او شيخ الشعراء ان يتم مؤلفين كان قد بدأ بهما واشتغل
بهما طويلاً فظهر في سنة ١٨٢١ (سني تجوال فلهم مايستر) وهو عبارة عن سلسلة من
القصص عالج فيها تربية الانسان الخلقية الدينية وفيها آراء في التربية واجتماع الطبقات الوسطى
وحياة رجال الادارة والسياسة وغيرها من القصص والنوادر

ولما بلغ الثانية والثمانين من عمره (١٨٣١) اتم جوته رواية (فاوست) التي اشتغل في
اعدادها ستين عاماً. وكان اول ما بدأ كتابته فيها لما عاد من ليبترج الى منزل والديه في
فرنكفورت وكان يشغل نفسه بدراسة الكيمياء اثناء نقاهته ثم عثر على كتاب شعبي قديم
للدكتور فاوست فأثرت الافكار التي وجدها فيه تأثيراً كبيراً وما زالت تلك الامور وغيرها
تملك عليه نفسه ومشاعره حتى بدأ في كتابتها سنة ١٧٧٤

ثم اخذ جوته يزيد في روايته كل حين وصار يزيد في مجموعها ويضيف الى مناظرها مناظر

جديدة ويبدل ويغير فتراه يكتب بعض المناظر في اثناء سياحته الاولى في بلاد سويسرا وكذلك لما كان في ايطاليا واشتغل قليلاً بها لما كان في روما سنة ١٧٨٨ وما زال يكتب فيها كلما خطرت له اشياء جديدة حتى تم الجزء الاول وظهر سنة ١٨٠٨ اما الجزء الثاني فقد ابتدأ في كتابته وهو في سن الشيخوخة مع انه اشتغل بجزء صغير من قبل ذلك وترى جوته سنة ١٨٠٠ وهو يتبادل الرأي مع نده ورصيفه شلر لوضع خطة للجزء الثاني من (فاوست) وقد قرأ اوله على شلر في سبتمبر سنة ١٨٠٠ ولبت سنين لا يعمل فيه ثم عاد يعمل فيه حتى ظهر سنة ١٨٣٢ عقب وفاة الشاعر الكبير . وترى من هذا ان هذا العمل الكبير شغل حياة الشاعر كلها تقريباً او بمعنى آخر انه شغل نفسه طيلة حياته الشعرية بهذا الاثر النفيس الذي تجدد فيه عناصر من كل درجات النشوء المختلفة التي مر بها جوته كما انه يمكنك دراسة حياة الشاعر العقلية برمها في طيات الخرافة القديمة . وبينما تراه يصف فيها اموراً حدثت له اثناء حياته الطويلة اذ تراه يجعل من الاشياء الجامدة او الامور الشخصية اموراً واشياء عامة للانسانية ولذا فانك لست بمستعرض صورة من صور عصره ولكن صورة من صور الدنيا والانسانية بأسرها . وترى فيها مناظر شتى منها ما هو محبوب ولطيف ورقيق واخرى كلها الشياطين والفضاعة والبشاعة ويريك صوراً شتى من اعمال البشر واوصاف الناس وافكارهم

وأول ما عني به ما يثور في النفس من حروب عنيفة كالخرب التي تنشب بين العقيدة والعلم وبين طبيعة الملاذ البشرية وطبيعة العقل والحكمة . وقد افتتح جوته الاقصوصة بذلك المطاع على طريقة اهالي القرون الوسطى وما كانوا يتخيلونه من اسرار ومعجزات . فتراه يرجع الى كتاب ايوب في ذلك اذ يظهر الشيطان امام الله فيسأله الله عن ايوب فيجيبه الشيطان انه يراهن الله على ان ايوب قد عصاه لما حل به من فاقة وبؤس . كذلك فعل جوته اذ يظهر الشيطان امام الله فيسأله عن (فاوست) وهل يعرفه فيسأل ميفيستوفوليس الشيطان الله الرحمن الرحيم عما يرغب ان يراهن به اذا ما جعله يضل السبيل وهنا سار جوته على منوال ما جاء بالتوراة اذ سمح الله للشيطان بأن يسعى لضلال ايوب . كذلك قال الله للشيطان ان يسعى لتضليل فاوست فقال الشيطان ما من شيء عسير عليه وانه سوف يضلّه سواء السبيل

وبعدئذ ترى فوست وهو رجل يعمل في غرفته منكباً على عمله يبحث وينقب ويدرس ولكنه لم يكن يقنع في نفسه بما ناله من دراسة وعلم كما كان يأمل حتى السحر الذي عني به ووقف له وقته ونفسه لم يصل الى اصل الوجود ومنشأه وكاد يأسه من ذلك يبلغ به الى الانتحار بأن يشرب ما كان بكأس السموم ليريح نفسه من قيود الجسم التي تعوقه من التغلغل في باطن الطبيعة وتحول بينه وبين حقيقة الاشياء . وبينما هو يرفع الكأس السامة ليشرّب منها اذ باجراس البيعة تقرر واغنية عيد الفصح تملأ الفضاء . فأعادت تلك الانعام ذكرى طفولته العذبة وذكرى

إمامه الأولى التي قضاها وهو طفل صغير فرجع عن عزمه ثم كاد يتغلب عليه اليأس من جديد
واخذ يزجر واصبح في قبضة الشيطان

وسار فاوست مع تلميذه وامين سره (Famulus) المدعو فاجنر يروّحان عن النفس واذا
بالشيطان الشرير قد اتخذ هيئة كلب يبصبص بذنبه وينظر الى فاوست نظرة كلها ملق فعطف
عليه واخذه معه الى منزله وهناك عرف الحقيقة فآخذ يقرأ عليه آيات سحره وتعاويذه
و (تعازيمه) فلم يؤثر كل ذلك فيه ثم انقلب الحيوان واصبح في هيئة تلميذ على اهبة السفر
ولما سأله فوست عن حاله اجاب بانه (الروح الذي ينفي - اي يجيب بالنفي - دائماً) وقال له
انه سوف يعلم حقيقته بعدئذ حين يسعى لمزج الحسن والجمل والحقيقة والطهارة بالقاذورات
ظاهره حسن وكله لباقة ومهارة ونبل وداخله حب الذات واللؤم والسفالة. ثم انه وعد فاوست
بالسعادة وراحة الضمير في هذا العالم اذا ما اسلم اليه نفسه ويظل العهد قائماً بينهما حتى يحصل
فاوست على طمأنينته وراحة ضميره. وتم الاتفاق بينهما فاراد ميفستوفوليس ان يقود فاوست
ويطلعهُ على ما بهذه الدنيا الواسعة الارعاء من مباحج وعظمة ومسرات. ثم اخذ الشيطان
فاوست وطاف به على عالم الملذات الحية من اماكن لهو ومتاع واكل وشراب مما لند وطاب ولم
يؤثر كل ذلك في الدكتور وعندها اطلعه الشيطان على امرأة مسحورة فرأى بها اجمل صور
رأها في حياته لامرأة وناولها شراباً ساحراً حرك فيه حب الملاذ والشهوات. وسار في المدينة فرأى
(جريتشن Gréchen) احدى النساء الجميلات وهي التي عنى جوته بوصفها فتحركت اطماعه
وغلبت عليه شهواته وطلب من الشيطان المساعدة والعون ومال الرجل الى البنت لما رأى فيها من
طهارة وعفاف واحبها حباً جما. وقارب فاوست ان يحقق آماله وان يظفر بالبنت زوجاً له
وهذا ما كان اليه يصبو الا ان الشيطان قد تغلب ونجح في تأثيره فقد اظهر له صورة مشوهة من
نفس جريتشن. ولشدة تعلقها بفاوست ضلت عن طريقها الى العفاف بحسن نيتها وعندها بدأ
الشيطان يحد ويحدث بها في هاوية الشقاء والبؤس وماتت امها لانها شربت شراباً مسموماً
كان فاوست قد نصح البنت بتعاطيه ثم مات اخوها فالنتين من يد فاوست وكان يحرس منزلها
ليلاً واخذ يلعن اخته. وجعل الشيطان يضل فاوست ويجعله يسفك الدماء لكيلا يقلت من
يده ويظل تابعاً له. وما زال ذلك الشيطان اللعين يمس الاثنين فيتخبطان ويقعان في حباله
ومكائده. وترى الآسة قد حملت وقتلت طفلها واستولى عليها الجنون وزجت في اعماق السجون
فدبل عودها وهزل جسمها ووقفت بين يدي العدالة لتكفر بالموت عن سيئاتها. وعندها
اشتد غضب فاوست على الشيطان اذ انه اخفى عنه كل ذلك واراد التلصص منه والخلاص
ولات حين مناص فقد استولى عليه اليأس وجعله يتمسك به لكي يساعد على تخليص جريتشن
من السجن والقيود. وتمكن فاوست من اقتحام السجن ليخلص محبوبته المسكينة ولكنها

راجعت ولم تأمن على نفسها . وقدمت للمحكمة الجنائية العليا فرأى رئيس القضاة ان يعفو عنها بعد ان توسلت هي اليه وظل فاوست في رعاية الشيطان ورهين ارشاداته . والى هنا ينتهي القسم الاول من فوست وفيه ترى ان فاوست قد طاف بكل ناحية من نواحي العلم والعرقان ولكنه لم يشف غليله وانه ذاق كل انواع المذات والمسرات ولكنه لم يرض ضميره وظل اكثر التصاقاً بالشيطان من ذي قبل . وفي القسم الاول من تلك المأساة ترى العقدة تعقد وفي القسم الثاني منها ترى حلها فاذما جئنا الى القسم الثاني رأينا فاوست في رعاية الشيطان في بلاط احد القياصرة الذين ساء ملكهم وفسد نظام امورهم قد تحكمت بملكه القوة وعم الظلم والجبروت وارتفع العدل ونذر في السوق العثور عليه واكل الناس الاموال بينهم بالباطل وكثرت الرشوة واصبحت الخرائن اخوى من جيب الموظف آخر الشهر وازدادت ديون الدولة . وعندئذ تقدم الشيطان في زمن العسر والحاجة وافهم الناس انه رجل الدنيا وواحداه وانهُ يعرف امثل الطرق للخروج بالدولة من هذا المأزق الحرج وذلك باختراعه للعملة الورقية (بنك نوت) واخذ فاوست يضارب في المسائل المالية فاحبب البلاط والناس ومالوا اليه ثم انعكست معه الآية وساء عمله هذا فعدل عنه الى سواه واخذ يبحث عن اعلى مثال للجمال حتى عرف هيلينا Helene اخيراً وتجد هذا في قصة فاوست القديمة قبل جوته ولكن الشاعر الكبير قد جعلها وفق طلبته وحاجته وجعل فاوست يبنى بهلينا Helena ويرزق منها بولد اسماء Euphorion (اوفوريون) وحي فاوست حياة شعربة وتنقل بين فنون الشعر ونواحيه وجاء الى شاطئ البحر وسكنه واصلح من شأن الارض حوله وجعلها خصبة مثمرة معمورة بالسكان وارسل الاساطيل التجارية الى البلاد الاخرى وجملة القول انه اوجد لنفسه عملاً كبير النفع كثير الخير للآخرين جعله يشعر بالراحة والطمانينة في شيخوخته تلك الطمانينة التي طالما جد وراءها ثم يموت فاوست وقد رضي الله عنه في خاتمة اذنا نظرنا الى قسمي فوست من حيث قيمتهما الشعرية رأينا القسم الاول يفضل الثاني ويتفوق عليه . فترى الشاعر يصف لك في الاول الحياة صافية اشخاصها يتكلمون ويعملون بينما تراه في الثاني يكثر من الاستعارات والتشابه والاشارات وفي الاول ترى (جريتشن) انسانية يجري الدم في عروقها ذات تقى وفهم طفلة طاهرة لطيفة المعشر ظريفة الحركات بينما تراه يعني بهلينا في القسم الثاني الشعر القديم الذي كان للاغريق والرومان من قبل . وكان جوته يعلم انه قد اخفى اشياء كثيرة في القسم الثاني وجعلها مبهمه مستورة حتى ان الايضاحات والتفسيرات العديدة والشروح المختلفة لا تجمعها واضحة مفهومة للكثيرين ولما انتهى جوته من كتابة (فاوست) شعر كأن عبثاً ثقيلاً قد رفع عن عاتقه وكان يقول انه اتم عمله وواجهه كشاعر . ومات جوته في فيمار في الثاني والعشرين من شهر مارس سنة ١٨٣٢ بعد ان مرض اياماً قليلة ودفن في مدفن الامراء في تلك المدينة الشعرية الخالدة اللطيفة

الحياة والكهربائية

هل هما من معدن واحد

قال أحد الكتّاب ان علم الطبيعة أخذ يضمُّ تحت جناحيه سائر العلوم . ومما لا ريب فيه ان طائفة كبيرة من العلوم المختصة بناحية معينة من البحث اخذت تستمدُّ من علم الطبيعة ما يمكنها من درس الظواهر الخاصة بها ، فأصبحت وكأنها أقسام من علم الطبيعة . فعلم الكيمياء حيث يتناول الاركان يدعى الآن « علم الكيمياء الطبيعية » ومن اشق الأمور على الباحث تعيين الحد الفاصل بين الطبيعة والكيمياء الطبيعية . وثمة علم الفلك الطبيعي (Astrophysics) وعلم الجولوجية الطبيعية (Geophysics) . وقد أخذ أصحاب علم المحيطات (الاوقيانوغرافيا) يرون في علم الطبيعة وسائل لحلِّ مسائل كانوا يحسبونها حيوية من قبل . أما علماء الاحياء في بحثهم عن بناء المادة الحية فيسألون نفوسهم ، ألا يستطيعون ان يرجعوا بنواميسها إلى نواميس حركة الالكترونات والبروتونات والايونات

إن إمتداد علم الطبيعة إلى الكيمياء والجولوجية والفلك أمر معقول . وأما تعديه على علوم الأحياء فغير معقول لأول وهلة . إذ يصعب علينا أن نتصور الخلية الحية ، التي تطوي على دماغ كدماغ نيوتن ، أو يد كيد رفائيل ، وكأنها آلة مركبة من ذرّات . ولكن منذ ما ركب الكيميائي الالماني وهلمر مادة « اليوريا » ضعف القول بوجود قوة حيوية تدخل على المادة فتجعلها حية . وفوز العلماء المحدثين بصنع خلايا تتصرف من بعض الوجوه كتصرف الخلايا الحية ، يقوي الامل الذي بنى عليه أحد العلماء القول بأن صنع المادة الحية في المعمل قد لا يتأخر . فعلماء الاحياء يشدّون مطاياهم الآن إلى غاية عظيمة — هي فهم الأفعال الحية ماسرّ الحياة ؟ ... ولكن أجب أولاً لماذا تنقسم الخلية إلى خليتين ، فلعلّك تجد في الجواب عن السؤال الاصغر جواب السؤال الاكبر

خذ خلية ملقحة من خلايا القنفذ البحري (الرتسا أو التوتياء) ودعها تنقسم إلى خليتين ثم خذ كلا من الخليتين وضعها في إناء على حدة ترها وقد تمت إلى قنفذ بحري كامل الاعضاء . أو دع الخليتين تنقسمان إلى أربع خلايا أو إلى ثماني خلايا ثم خذ كلا من هذه الخلايا وضعها في إناء على حدة ثم قنفذاً بحرياً كاملاً . فلماذا تنمو كل خلية ، إذا فصلت عن غيرها ، قنفذاً بحرياً كاملاً ، ولكنها لا تفعل ذلك إذا بقيت واحدة من طائفة من الخلايا ؟ وما الطريقة التي تعلم بها الخلية المفصولة ان عملية تخليد الحياة تقع على عاتقها فتتبع قنفذاً بحرياً كاملاً ؟

أو اقطع الغصن الرأسي من شجرة الشوح. فلا تلبث حتى ترى أحد أغصانها الجانبية وقد انتصب وحل محل الغصن الرأسي المقطوع. فجماة الخلايا التي تتألف منها الشجرة، تتصرف كأنها تعرف أن غصنها الرأسي قد قطع. فلماذا تتصرف هذا التصرف؟ وكيف تعرف أن غصنها الرأسي قد قطع؟ فليس للشجرة ولا لبيضة القنفذ البحري اعصاب: فإهي وسيلتهما إلى فعل ما تفعلان أن تعاون الخلايا والتنسيق بين أفعالها مسألة حيوية قديمة حافلة بالأسرار. وطالما استرعت عناية الباحثين وليس ما يلي إلا خلاصة لبعض النتائج الحديثة في هذا الميدان

كان الدكتور لند E. J. Lund استاذ علوم الأحياء في جامعة تكساس، يشتغل في معمل علم الحيوان بجامعة جونز هبكنز سنة ١٩١٤ وكان يجري تجاربه على حيوان مجهري (مكرسكوبي) يطفو في الماء يدعى البرساريا Bursaria. ولهذا الحيوان أهداب شعرية يحركها فيحدث في الماء تيارات تتجه إلى ناحية فيه وهي طريقة تستعملها الحيوانات المفردة الخلية لالتقاط دقائق الغذاء من الماء. ومن غريب ما رآه أن هذا الحيوان، يكون في بعض الأحيان، فأ في مؤخر جسمه أي في الطرف المقابل للطرف الذي فيه فهو العادي. ثم يغير حركة نصف الأهداب التي تغطي جسمه فيحدث في ناحية تيارات مائية تتجه إلى فيه الواحد، وفي الناحية الأخرى تيارات مضادة تتجه إلى فيه الثاني. ثم لا يلبث أن ينشطر الحيوان الواحد إلى اثنين، لكل منهما فم، وينفصل أحدهما عن الآخر، ويعيش كل منهما عيشة مستقلة. ولكنه شاهد في بعض الأحوال أن أحد الشطرين، يضم رويداً رويداً قبل الانفصال ثم يزول، كأن النصف الآخر قد قوي عليه وابتلعه. فلما حاول الدكتور لند أن يعلل هذا التحول في تصرف الحيوان - كتحوّل الذنب إلى فم، وابتلاع النصف الواحد للنصف الآخر - تذكر ما يفعله حيوان آخر، وحيد الخلية إذ يوجهه إليه تيار كهربائي

ذلك الحيوان يدعى البراميسيوم - وهو أبسط تركيباً من البرساريا - ومؤلف من خلية بيضية مستطيلة تغطيها أهداب تتحرك لتحث في الماء تيارات تتجه إلى فم الخلية لتجهزها بدقائق الغذاء. وكان بعض الباحثين - قبل لند - قد بينوا أنه إذا ووجه تيار كهربائي دقيق إلى البراميسيوم أثر في حركة أهدابه تأثيراً مختلف باختلاف اتجاه التيار. فإذا كان التيار متجهاً من رأس البراميسيوم إلى ذنبه، تغير اتجاه حركة الأهداب في النصف المؤخر فتحدث تيارات مائية متجهة إلى ناحية الذنب كأن الذنب فأ تجب تغذيته، ولكن إذا عكس اتجاه التيار بعد ذلك عكست حركة الأهداب في نصفي الخلية

فبعدما أجرى الدكتور لند مباحث وتجارب كثيرة من هذا القبيل، ثبت له أن التيار الكهربائي في الخلايا في أثناء نموها. فعرف أنه يستطيع أن يوقف النمو أو يعيقه أو يغير اتجاهه باستعمال التيار الكهربائي. بل تمكن في خلايا بعض الحشائش البحرية من أن يعين اتجاه

المو كما يشاء فوجد انه اذا ترك الخلايا الملقحة من دون ان يتعرض لها تيار كهربائي، نمت منها أعشاب نموًا مشوشًا في نواحٍ مختلفة، فهذه الى اليمين وتلك الى اليسار وأخرى بين الاتجاهين. ولكن اذا وضعت الخلايا الملقحة في مسير تيار كهربائي انتظم اتجاه نموها. وتحول الجانب الموجه الى القطب الموجب إلى جذر دائماً. ولما وجد ان للتيار هذا الاثر الواضح في نمو الخلايا، سأل نفسه، أليس للكهربائية اي أثر في نموها السوي. ألا تولد هذه الاحياء كهربائية في اثناء نموها؟ واذا كانت تولد كهربائية في اثناء النمو، فهل يشابه تأثير هذه الكهرباء في نموها تأثير التيار الكهربائي الموجه اليها من الخارج؟ أليس لهذه القوة الكهربائية أثر في نماء الاحياء وتنوع خلاياها واعضاءها من رأس وذنب وجذر وغصن

عرف من قبل ان للعضلات والاعصاب صفات كهربائية، لان فعلها يصحبه اطلاق قوة كهربائية. كذلك عرف ان السنط الحساس والاسماك الكهربائية تطلق قوة كهربائية اذا لمست، ولكن اطلاقها للكهربائية متقطع كأنه اطلاق القوة الكهربائية من جرة ليدن. اي ليس ما ينطلق منها تياراً كهربائياً مستمراً. وظاهرها الكهربائية الحيوانية مسلّم بها منذ ما اثبت غلفني العالم الكهربائي ذلك في الضفدع في اوائل القرن الماضي

ولكن الباحث الالماني «بف» كشف في سنة ١٨٥٤ ظاهرة كهربائية اخرى في الاحياء تختلف عن الظاهرة السابقة الذكر. ذلك انه اثبت وجود تيار كهربائي مستمر من رأس الجذر الى اجزاء النبات العليا. ثم اعاد العالمان مئزر هيلنجنغ وماثيوز — كل على حدة — تجارب «بف» فأيسدا النتائج التي وصل اليها. فلما بدأ لسنيد مباحثه بدأها بدراسة التيارات الكهربائية المستمرة في النباتات والحيوانات، ففضى في جامعة منسوتا والمعمل البيولوجي في بيوجت سوند وجامعة تكساس اثنتي عشرة سنة يوالي التجربة والبحث وصل في نهايتها الى النتائج الآتية

- ١ — في النباتات والحيوانات تيارات كهربائية مستمرة مما يبين ان الكهرباء ملازمة للحياة
- ٢ — تتولد هذه التيارات في الخلايا الحية في كل كائن فكأن كل خلية بطرية كهربائية صغيرة
- ٣ — تختلف الخلايا في مقدرتها على توليد الكهرباء، فهي على اعظمها في الخلايا الناشئة ثم تضعف في الخلايا الهرمة ثم يزول بتاتاً في الخلايا الميتة
- ٤ — قوة التيارات التي تولدها الخلايا توازي قوة التيارات الكهربائية المستعملة في التجارب المذكورة آنفاً

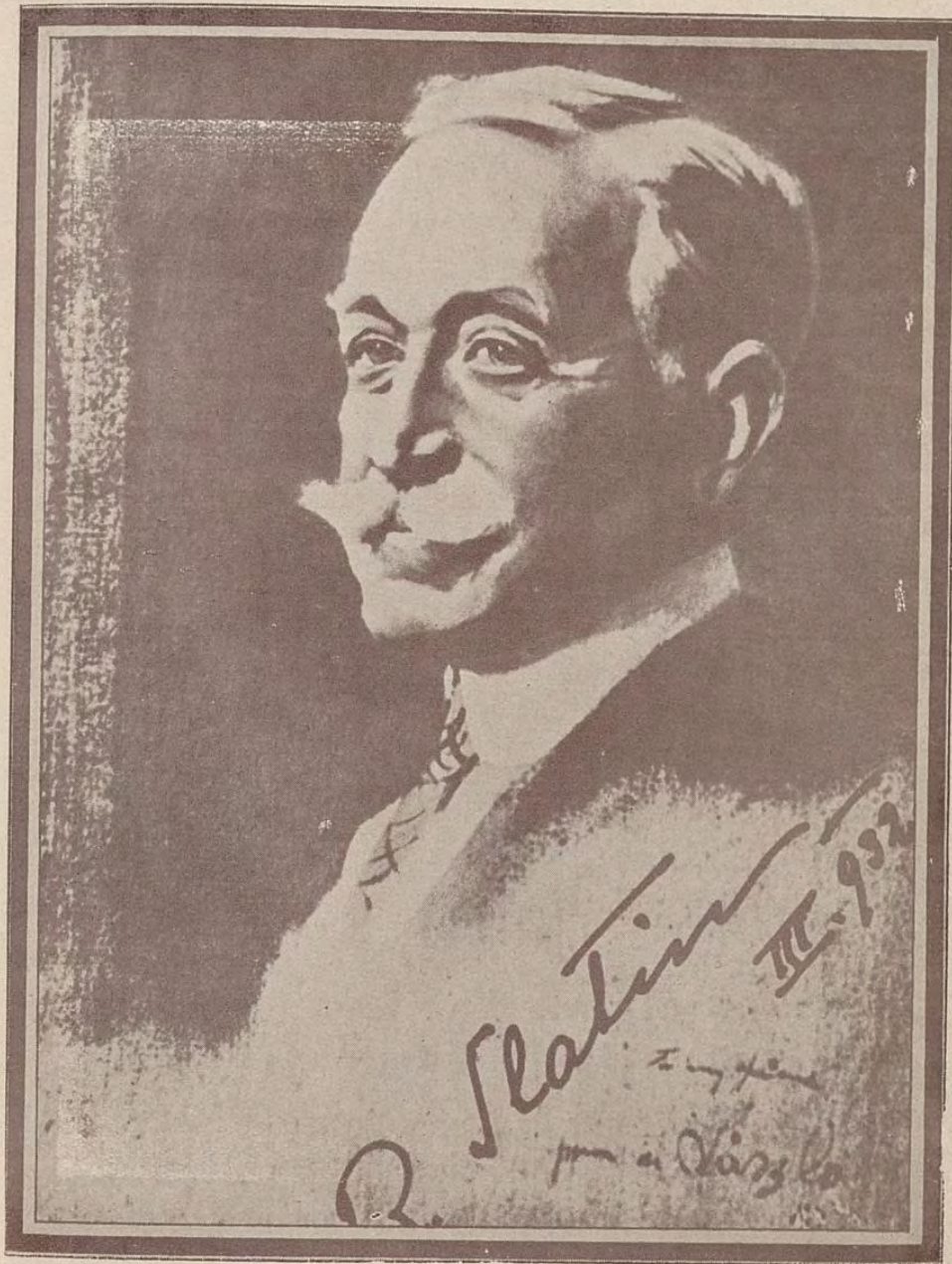
٥ — ان هذه المقدرة على توليد الكهرباء توليداً مستمراً صفة عامة من صفات المادة الحية فهل يأتي التحول على الحياة والنماء وفقاً للتحول في ما تولده الخلية من الكهرباء؟ هل التقدم في السن والموت نتيجة لضعف هذه القوة او ظاهرة تصاحبها، فكأن الخلية لدى موتها بطرية كهربائية قد فرغت؟ هذه مسائل تبدو للذهن لدى الاطلاع على نتائج هذا البحث الطريف

البارون سلاتين باشا

بقلم من عرفه وصحبه في أعماله واسفاره

لما قامت ثورة المهدي في السودان واستفحل أمرها ثارت قبائل الغرب في جهات دارفور حيث كان سلاتين باشا مديراً عاماً فكان له معها مواقع حامية ذكرها في كتابه وقد بلغت على ما أذكر ٢٧ موقعة كان الفوز له في أكثرها وذلك بحسن تدريبه العسكري وقوة ابتكاره لأنه تلقى العلوم العسكرية في فيينا وكان ضابطاً في جيشها العامل . لكن انتصارات المهدي على جنود الحكومة في كردوفان وجهات أخرى من السودان لا سيما على حملة الجنرال هكس باشا وحصار الخرطوم كان من شأنها أن تؤثر تأثيراً سيئاً جداً في أفكار جنوده الذين كانوا يتحينون الفرص لترك حصونهم والانضمام إلى المهدي بأسلحتهم وذخائرهم وكانوا ينسبون انخذالهم في بعض المواقع — مع أنهم كانوا يكبدون الأعداء خسائر فادحة تزيد عن خسائرهم كثيراً — إلى كون قائدهم مسيحياً . فرأى سلاتين باشا أن السهم الوحيد الذي بقي في كنانته للاحتفاظ باخلاص جيشه إلى أن يتسنى للحكومة القضاء على حركة المهدي هو أن يعتنق الدين الإسلامي بحضور القاضي والمفتي وضباط الجيش ثم استعرض الجنود وأعلن لهم إسلامه فهتفوا له طويلاً ووعدوا أن يخلصوا للحكومة وله في القول والفعل . فكان لذلك بعض الأثر . ولما لم يبق لديه إلا عدد قليل من الجنود قد برّح بها الجوع وفتكت الحميات ونفذت ذخائرها اضطر إلى أن يسلم إلى قائد جيش المهدي خالد زجل وكان وكيلاً للمديرية تحت رئاسة سلاتين باشا . وكان سلاتين يعرف أن وكيل مديريته من أقارب المهدي وأنه على اتصال به فلم ير للتخلص منه ومن دسائسه سوى انفاذه إلى المهدي لكي يراقب الأمور ويخبره بما يجري لكنه عند وصوله إلى معسكر المهدي انضم إليه قلباً وقالباً وصار من أشد أعوانه وأكبر أنصاره فجعله أميراً وانفذه مع جيش كبير إلى دارفور للاستيلاء عليها . وقد ذكر لي سلاتين باشا أن أمر أيام حياته كان يوم اضطراره أن يسلم ويخضع إلى من كان أحد موظفيه ولكنه أرم معه اتفاقاً حفظ به حياة رجاله وحرمة نسائهم وبناتهم

وقد صحب سلاتين باشا جيش المهدي في أثناء حصار الخرطوم وفي تلك الآونة أوجسوا منه خيفة أن يهرب وينضم إلى جيش غردون باشا لأنه راسل غردون بذلك فعلاً ولم يتلق منه رداً



البارون سلاتين باشا

فألقوا القبض عليه بامر الخليفة واثقلوه بالاغلال والقيود ووضعوا في رجله « مكية » ثقيلة جعلته لا يستطيع النهوض او السير على قدميه وأظنه اخذ هذه المكية بعد فتح الخرطوم الى بيته في فينا لكي يريها لاصدقائه ومعارفه ويحافظ على ذكر ملازمتها اياه في سجنه !! ولما سقطت الخرطوم في ايدي الدراويش وقتل بطلها العظيم غردون باشا اتوا الى سلاطين باشا في سجنه برأس ذلك البطل وقالوا له انظر اليس هذا رأس خالك الكافر الذي كنت تحاول الفرار للانضمام اليه . فنظر سلاطين باشا إلى ذلك الرأس هليعاً وكاد ان يغمي عليه لكنه تمالك روعه واطهر تجلداً لا يستطيعه الا من كان له من قوة الارادة وضبط النفس مائة وقال لهم « ان صاحب تلك الرأس لم يكن الا جندياً باسلاً مات شريفاً في سبيل القيام بواجبه » وبقي سلاطين باشا سجيناً في السائر (اسم سجن الدراويش) يقاسي من العذاب وشظف العيش ما ترتد له الفرائص الى ان أخرجه الخليفة والحقه بخدمته « ملازماً للفروة » وكان يقف في بابه ليلَ نهار ويقوم بالصلوات الخمس من دون انقطاع حتى لا يتسنى له فرصة للفرار بعد موت المهدي تسلم الخليفة عبد الله التعايشي زمام الحكم المطلق فشدد الرقابة على سلاطين باشا وكان يعز امام عربان التعايشة وقبائل الغرب البقارة ان الحاكم الذي كان يسيطر عليهم اصبح اسيراً في قبضة يده

وقد روى لي سلاطين باشا ان الخليفة لما كان يستعرض جيوشه التي كانت تملأ السهل والجبل كان يقف تحت رايته الزرقاء فتمر امامه الجنود (جيوش المهديّة) هاتفين مهللين مكبرين ثم يأخذ بعض الفرسان الممتازين بالانقضاض على الراية التي كان الخليفة تحتها ويهز السيف او الرمح فوق رأسه ويتكئ اي يتفاخر . وكان سلاطين باشا في بادىء الامر يحري وراء الخليفة حافي القدمين متحملاً حرارة الارض المحرقة في ايام الصيف حتى ان قدميه تشققا وصارتا تكف الجمل ولكنه كان يتجلد واضعاً نصب عينيه الفرار والحرية . واخيراً صرح له الخليفة ان يمتطي جواداً ويسير في ركابه وفي احد الايام إذ كان الفرسان يقومون بالعابهم الحربية ويظهر كل منهم ما يستطيعه من ضروب الفروسية التفت الخليفة الى سلاطين باشا وسأله (منادياً له باسم عبد القادر) لماذا لا يبدي امام اخوانه انصار الدين ما يمتاز به من المهارة في ركوب الخيل ويفاخر باعماله مثلهم فقال له جباً وكرامة يا خليفة المهدي . ثم كرّ بجواده ولعب على ظهره العباباً دهش لها الخليفة وفرسانه ثم انقضّ على راية الخليفة وهز سيفه فوق رأسه وقال « انا المصيبة المعقدة بسببية (شعرة الفرس) اذا انقطعت السببية حلت المصيبة » . فابتسم الخليفة واثنى على مهارته واخلاصه في نصرته المهديّة وسأله قائلاً من اين تعلمت يا عبد القادر هذه الاقوال الحماسية فاجاب انه تعلمها من العرب الذين عاش اليهم زمناً طويلاً . فقال الخليفة بارك الله فيك وفي مروءتك . ولما تمكّن سلاطين باشا من الفرار قال الخليفة لرجال مجلسه الخاص

ان السببية قد قطعت كما قال ذلك (الكويفر سلاتين) وقد صدق في ذلك لان فرار سلاتين باشا من السودان كان له الشأن الاول في تقرير امر الحملة لاسترجاع السودان من ايدي الدراويش وكان الخليفة شديد الحرص على سلاتين باشا والاحتفاظ به وكان يقيم عليه الارصاد ويبث الجواسيس لتتسبب اخباره ومعرفة كل حركة وسكنة من اعماله وكثيراً ما كانت الاخبار التي كان يتلقاها الخليفة محشوة بالا كاذب والترهات فكان عند سماعها يستدعي سلاتين باشا اليه ويسأله أن يخبره بالحقيقة ولا يكتم عنه شيئاً فكان سلاتين باشا يتظاهر بثقل السمع حتى يكون له متسع من الوقت للتفكير بما يجيب مستفيداً من الدقائق القليلة التي تلزم لاعادة سرد تلك التهمة . وبقيت تلك العادة متسلطة عليه إلى ما بعد فراره فلما قابل الملكة فكتوريا كان يستعيد القبول إذا تكلمت فسألتها هل في سمعه وقر فقص عليها كيف ان هذه العادة تمكنت منه مدة أسره وكانت وسيلة مكنته من تسويغ اعماله لدى الخليفة في مواقف كثيرة كان الموت أو السجن أقرب اليه من حبس الوريد فأعجبت جلالته بسعة حيلته وشدة دهائه وبعد نظره

وقد حدثني رحمه الله أنه كان في مدة أسره يطلب كل سنة من الخليفة أجازة ثلاثة أيام يقضيها في بيته لتناول دواء خاص تعود تناوله مدة حياته حفظاً لصحته . فكان الخليفة يأذن له بذلك انما كان يحيطه بالجواسيس والارصاد خوف فراره . ولكنه في السنوات الاخيرة خفف كثيراً من شدة هذه المراقبة وفي السنة التي تمكن فيها سلاتين باشا من الهرب من أم درمان بناءً على الاجراءات التي أعدت له بوساطة مدير المخابرات العسكرية (الميرالي ونجت بك وقتئذ) ومؤازرة قنصل جنرال حكومة النمسا والمرحومين ملحم بك شكور ونعوم بك شقير والقس يوسف اوهرولدر (الذي تمكن قبله من الفرار من أم درمان مع راهبتين) طلب سلاتين باشا هذه الاجازة السنوية من الخليفة فسمح له بها كالعادة وهذا مكنته من اكتساب الوقت الكافي لاجتياز ما يزيد عن ١٣٠ ميلاً مع أدلائه في ٢٤ ساعة فوصل إلى جبل الجلف بالقرب من بربر وهنا اضطر أن يبقى مختبئاً في مغاور الجبل إلى أن اعدوا له مطايا أخرى عبر بها نهر النيل وسار في عتمور أبو حمد إلى أن وصل إلى المراث وكان فيها نقطة للحكومة من عربان العباداة الموالين للحكومة ومنها ذهب إلى اصوان حيث قابله هنتر بك (هنتر باشا) ومتشل بك وغيرهم من الضباط الانكليز في الجيش المصري

وأذكر انني كنت حينئذ رئيساً لفرع مكتب المخابرات العسكرية في سواكن وقبل وصول سلاتين باشا إلى الديار المصرية بنحو ١٨ يوماً جاءني تاجر من أهل بربر كنت أساعده في أعماله واستخدمه في التحري عن شؤون السودان والسؤال عن أمور كانت تعهد إلي بها ادارة المخابرات في مصر . وقد جاء خاصة ليعلمني بفرار سلاتين باشا من أم درمان

فطيرت هذه البشري في الحال على جناح البرق الى مخبرات مصر فلم ألبث حتى وردني الرد بالاستفهام هل الخبر مما يستحق أن يركن اليه وعن الطريق التي سلكها سلاطين حتى إذا كان قد اتخذ طريق بربر الى سوا كن ترسل الحكومة قوة راكبة من الهجانة للاستيلاء على نقطة كوكريب التي كان يتولى الدفاع عنها كتيبة من الهدندوه تسهيلاً لفراره . فأجبت باسم المحافظ ان النبأ حقيقي لان الرجل الذي جاء به من اعوان المخبرات وانه قد شاهد الهجانة الذين أرسلهم الخليفة في أثره وانه قد اجتاز مسافة تقرب من ٣٠٠ ميل في ثلاثة أيام ليتصل بأسرع ما يمكن . وان الطريق الذي سلكه سلاطين لا بد ان يكون نفس الطريق الذي سلكه القس يوسف اوهروالدر والراهبتان من قبله وهو عتمور أبو حمد لان الطريق بين بربر وسوا كن مأهولة بقبائل الهدندوه لا سيما وان عثمان دجنه وأعوانه يرابطون في جميع الجهات وان سلاطين باشا أحرص من أن يستهدف لمثل هذه الأخطار

وعند وصول سلاطين باشا إلى اصوان ورد تلغراف من مدير المخبرات العسكرية بمصر إلى حاكم سوا كن لويد باشا ينفذ اليه هذه البشري ويثني على إدارة المخبرات في سوا كن التي سبق خبرها الهارب

وقد ذكر لي سلاطين باشا في أحاديثه انه عندما كان مديراً عامّاً لدارفور وكان إذ ذاك فتى في بدء عهد الشباب أن أحد معاونيه (وكان متقدماً في السن اشيب الناصية) كان كلما رأى رئيسه رأياً أو أمرأ في شأن من الشؤون أن يعارضه بحجة انه أكبر منه سنّاً وأنه أعرف منه بأمور الحياة . فقال له سلاطين باشا يوماً وهل تظن يا هذا ان التقدم في السن يعد حجة لعلو كعب الانسان في الشؤون الادارية والسياسية وهذا الطاهي في بيتي أكبر مني ومنك سنّاً . فوجم الرجل وعلم ان رئيسه الشاب ليس ممن يسهل التسلط على ارادتهم وقد عرفت سلاطين باشا في مواقف عديدة فرأيت من اصالة رأيه في الأمور وسعة مداركه ما يحتاج إلى أكثر من مقال واحد . وقد كان ممن لا يسهل تحويلهم الى ما يخالف رأيهم بوجه من الوجوه الاً بالحق والاقناع . ولكنه يذعن للصواب إذا أمكن اقناعه به . اصف الى ذلك انه كان قوي الحجة شديد البرهان سريع الخاطر

وقد حدثني يوماً ان جلالة الملك ادوارد السابع دعاه مرة إلى ليلة ساهرة في قصر بكنغهام فذهب بملابس السهرة السوداء ولما التقى بجلالة الملك قرأه السلام لكن الملك اعرض عنه وبعد برهة عاد اليه وسأله لماذا لم يرد ثوبه العسكري ويتقلد جميع اوسمته فأجابه أن ذلك لم يذكر في الدعوة التي تلقاها من القصر فقال له الملك ان أوامره الدائمة في شأنه تقضي بأنه اذا دعي إلى القصر لسهرة أو لمأدبة يجب ان يكون بلباسه العسكري متقلداً جميع اوسمته ومديالياته الحربية . وقد قال لي انه منذ تلك الليلة لم يكن يظهر في القصر الملكي الاً بلباسه العسكري

وأوسمته فكان يظهر مثل شجرة عيد الميلاد... ولما زار سمو عباس حامي باشا الخديوي السابق الخرطوم أقيمت له حفلة استقبال في قصر الحاكم بالخرطوم حضرها كبار رجال الحكومة والضباط العسكريين والموظفين والعمد والمشايخ والاعيان وقبل الحفلة بقليل ذهبت إلى بيته لآخذ قراره في أمر خطير فوجده منهمكاً في وضع أوسمته على ثوبه العسكري . ولما رأي قال لي انني يا ابراهيم أشتغل منذ أكثر من ساعة في ما تراني منهمكاً به فقلت له يا سعادة الباشا اعطني هذه الاوسمة التي تبهّر الابصار فلا اسمعك مثل هذه الشكوى المرة فابتسم وقال لي انني لما كنت في سنك لم يكن لي الا القليل جداً منها وها انت الآن تتقلد عدداً لا بأس به اذا نظرنا الى صغر سنك فضحكت وضحك هو لانه أدرك ما كان يدور بخاطري

وقد كان للرحوم سلاطين باشا رعاية خاصة لدى الملكة فكتوريا ولدى الملك ادوارد وكان هذا احياناً يصطحبه في زيارته الخاصة عند ما يذهب الى مارينباد او كرلسباد للاستشفاء بمياههما المعدنية

زرت مرة سلاطين باشا في مصيفه الجميل القائم على بحيرة ترونكرخن وكان المرحوم مبروك باشا فهمي رفيقي في هذه الزيارة فعرفنا عائلة انكليزية توطنت في تلك الجهة منذ زمن طويل تدعى عائلة هاسوال وقد كان احد أبنائها مديراً لمصلحة التنظيم بمصر ويعرفه كثيرون . وقد ذكر لي سلاطين باشا ان عمه المستر هاسوال المذكور وكانت دائماً تلح عليه ان يساعدوا في المثلولين يدي جلاله الملك إذا تمكن يوماً وان يستعطفه لان يعرج بقريتهم في اثناء سفره إلى المنتجعات المائية وكانت تقول له أن أقصى أمانها أن ترى جلالته قبل وفاتها . فانهز سلاطين باشا فرصة سانحة وأخبر الملك ادوارد بحدث هذه العائلة الانكليزية مولداً والنسوية تبعة وذكر له شيئاً عن الامنية العظيمة التي كانت تلك السيدة لا تفتر عن المجاهرة بها . فعين جلالته موعداً يمر فيه بتلك الجهة ويقف بقطاره في تلك المحطة وأمر سلاطين باشا أن يبرق بذلك الى هذه العائلة والى اخوانه الثلاث ففعل وعند وصول القطار كان الجميع ينتظرونه . في المحطة فنزل الملك من القطار مع شدة الامطار المنهمرة وصافح الجميع . ولما رأت السيدة الطاعة في السن الملك هتفت باعلى صوتها قائلة الآن تنطلق عبدتك يا رب السلام لان عيناى قد ابصرنا خلاصك (إشارة لما قاله سمعان الشيخ عند ما رأى المسيح طفلاً)

ومما قصه عليّ أنه أصيب في احدى المواقع التي جرت في دارفور برصاصة في منتصف عقدة بنصر يده اليمنى كسرتها فطلب من احد ضباطه ان يقطع تلك العقدة لكن الضابط تردد في تنفيذ الامر وظهر الجزع فتناول السكين من يده وقبض على الاصبع المكسورة بنواجذه . وقطعها بنفسه وقد صحت سلاطين باشا في كل اسفاره في جميع انحاء السودان مدة طويلة فلم أر أصلب منه عوداً ولا أكثر صبراً وجلداً على احتمال المشقات وكثيراً ما كنا نضطر اذا اقتضت الحال ان

نسير مسافة تقرب من مائة ميل في اليوم على ظهور الهجن
ثم اني درست حياة سلاطين باشا درساً دقيقاً في حله وترحاله فعرفت فيه الذكاء وسرعة
الخطر ومكارم الاخلاق والابتعاد عن الاساءة للغير ولا أذكر إنه سعى في ايذاء احد من
الذين اعتدوا عليه أيام اسره وكان يساعد كل من التجأ اليه بكل وسيلة تصل اليها يده وكثيراً
ما كان يحسن إلى أشخاص وأسر اخني عليها الدهر ويجود بمال من جيبه الخاص بعد
نقاد جميع المبالغ المرصودة لمثل هذه الغايات في ميزانية مكتبه وميزانية قلم المخابرات
وميزانية الحاكم العام . وما رأيته يوماً يخيب رجاء انسان إذا رأى وجهاً لمساعدته . وكان يقول
لي ان السياسة التي كان يسير عليها الحاكم العام ويناصره هو فيها بكل ما في وسعه هي السياسة
التي بلغت بالسودان في مدة قصيرة الى ما وصل اليه من الارتقاء . وقد صدق وايم الحق من
وضع رسم اللورد كتشنر ورسم الجنرال ونجت باشا ورسم سلاطين باشا في اطار واحد وكتب
تحتها The three Makers of the Sudan اي الرجال الثلاثة الذين شيّدوا معالم المدنية في السودان
وقد كان سلاطين باشا في اثناء اقامته في الخرطوم مفتشاً عاماً للسودان ، مقصد جميع السياح
والصيادين الاجانب الذين كانوا يحضرون الى السودان افواجاً كل سنة في فصل الشتاء وفصل
الربيع التي لا تسقط في اثنائهما الامطار ، فكان يمدّهم جميعاً بما في طاقته ، وكان يقيم الولائم ثلاثة
ايام او اربعة في الاسبوع لمن يكون منهم في الخرطوم في اثناء فصل السياحة فكانوا
يدهشون لاحاديثه الطلية وملحه العذبة التي طرب لها الملوك والامراء فسرّهم استدعاؤه الى
قصورهم وإلى حفلات ولأئهم ومراقصهم

وقد ذكر لي أنه أعطى يوماً كريماً الملكة الكسندرا رسمه فقالت له الملكة مازحة انها
تجده كغيره من الرجال لا يروقه سوى إرضاء الشابات فقال لها معتذراً ان كريماًها قدمن
رسومهن له وطلبن رسمه ففعل فابتسمت الملكة ولم تفتشها النكتة فقدمت له رسمها الكريم
موقعاً عليه منها وكان للبasha كل الفخر أن يحذو حذوها

وقد كان لسلاطين باشا كما عرفت منه الفخر العظيم يوماً ان يرقص مع جلالة الملكة
الكسندره بناءً على اشارة جلالة الملك ادورد وذلك لكي يرقص محاذياً لجلالته لما افتتح
الرقص مع جلالة ملكة اليابان التي كانت في ضيافته فجاء هذا دليل على ما كان لسلاطين باشا
من المكانة والالتفات في قصر أعظم ملوك العالم

وكان لسلاطين باشا يد في الانتصار على جيوش الخليفة في موقعة أم درمان الشهيرة لانه أرسل
سراً إلى بعض أصدقائه الاوفياء في أم درمان بمن كان يضمهم بلاط الخليفة وكانوا أعضاء في
مجلسه الخاص يحثهم على أن يشيروا على الخليفة بأن لا يهاجم الجيش المصري ليلاً في كرري
بل ينتظر الى الصباح لان الانوار الكشافه الكهربائية التي تطلقها السفن الحربية تكشف

رجال جيشه وتبهر ابصارهم فلا يرون شيئاً مما حولهم فتفتك بهم المدافع والرشاشات فتكاً ذريعاً وان يشيروا بالتريث إلى بزوغ الفجر فيكر عليهم بخيله ورجله ويبيدهم عن آخرهم ثم يعود إلى أم درمان ليصلي صلاة العصر في الجامع طبقاً لما جاء في نبوة المهدي قبل موته إذ قال ان جند الحكومة سيباد عن بكرة أبيه في كرري . وكرري هو المحل الذي جرت فيه موقعة أم درمان التي اعادت سلطة الحكومة إلى بلاد حلت بها القوضى وعم الظلم والخراب مدة طويلة من الزمن . ولو أن الخليفة هجم على جنود الحكومة بجيشه اللجب ليلاً لكانت خسائر الجيش اعظم على ما يقوله الخيرون

ولما نشبت الحرب العظمى سنة ١٩١٤ كان سلاطين باشا بالاجازة في النمسا . وقد تم زواجه في بدنها بالبارونة رامبورغ فارسل اليه حاكم السودان العام وصديقه الحميم ونجت باشا ان يوافيه إلى مصر لكنه لم يفعل لان جنسيته ومركزه الادبي والاجتماعي حالاً دون ذلك على انه ذهب الى الامبراطور وأخبره انه يتحتم عليه كنمسوي مخلص لامته وبلاده ان يخدم وطنه خدمة صادقة لكنه لا يسمح لنفسه ان يستل السيف لمحاربة امة يحترمها وتربطه بملكها وأعظم رجالها او اصر الصداقة فأجابه الامبراطور وكان فرنسوى جوزيف انه يعلم ذلك واستمهله إلى الغد حتى يتسنى له ان يستشير رجال وزارته . وفي اليوم الثاني دعاه اليه واخبره انه قرر تعيينه مديراً لجمعية الصليب الاحمر فقام بواجبه نحو امته ونحو الدول المحاربة بما يرضي ضمير كل محب للانسانية . وأذكر ان بعثة الصليب الاحمر التي كانت برئاسة الدكتور خريستوفر سن — وكان هذا من زملاء سلاطين باشا لما كان مديراً لمصلحة الصحة العمومية في الخرطوم — عند ما وقعت في أسر القائد النمساوي عند انتصاره على جيش الجبل الاسود اتوا بها إلى فيينا فقابلها سلاطين باشا بكل حفاوة واحترام على المحطة وقدم لجميع أفرادها هدايا من الحلويات والاشياء التي كان الحصول عليها أيام الحرب متعذراً ثم سعى باطلاق سراحهم جميعاً وترحيلهم إلى البلاد المحايدة . وهذه وغيرها من الخدمات الانسانية التي كان يقوم بها سلاطين باشا نحو الحلفاء من دون الاضرار بمصلحة حكومته وأمته كان لها أبلغ وقع لدى حكومات الحلفاء فحمل ذلك حكومة انكلترا على أن لا تمس رتبة وأوسمته الانكليزية . ولم يكن للخبر الذي نشرته بعض الجرائد انه أعاد أوسمته إلى انكلترا عند وقوع الحرب أدنى أثر من الصحة كما عرفت منه بالذات . وقد جاملته الحكومة المصرية فأعطته كل ما كان متجمعاً له من المعاش مدة الحرب وكفأته حكومة السودان لما وضعت الحرب اوزارها بمبلغ من المال

وكان له يد في مساعي الصلح الابتدائية بين الدول الاوربية فكان لشهرته العظيمة ولحسن صلاته الودية مع ملوك اوربا ووزاراتها اكبر أثر في تسهيل مهمة مفاوضات الصلح كما عرفته منه

ابراهيم ديمتري

حيفا

الحضارة الفينيقية

وتأثيرها في التمدن القديم

علاقة فينيقية بمصر

— ٢ —

أثبتتها بحوادث التاريخ من الفتح العربي الى العهد الحديث

الفتح العربي

إذا صرفنا النظر عن العصر البيزنطي ولم نتبسط في الكلام عنه خلوه من أدلة تاريخية بارزة على اشتراك مصر وسورية في أمر هام أو تعاونهما على درء شر مستطير وما شاكل ذلك من وجوه الاتحاد والتآزر فلا يسعنا الاغضاء عما قام بينهما من الصلات الوثيقة في عصر العرب. فإن التاريخ طافح بالشواهد والبيّنات على أن هذا العصر أعاد العلاقات بين البلادين إلى أحسن مما كانت عليه في عهد الفراعنة. ذلك أنه لما تقلّص نفوذ الدولة البيزنطية أو الدولة الشرقية من سورية وافضت السلطة فيها إلى العرب المسلمين في القرن السابع للمسيح عادت صلات المودة فاستحكمت بين الديار الشامية والمصرية باتصال سيادة الفاتحين إلى مصر على يد عمرو بن العاص^(١). وقد كان عصر العرب في القطرين في ولاية بني أمية وبني العباس عصر فلاح واقبال ولو أنه لم يخل من شوائب شوهت شيئاً من محاسنه. وبلغ الرقي الأدبي العلمي في سورية شأواً بعيداً في أيام هارون الرشيد أعظم خلفاء العباسيين وانتشرت دور العلم ومعاهد التربية في ولايته انتشاراً كبيراً ولا سيما في دمشق، ورسخت آداب الفاتحين والعلوم التي تلقنوها من علماء السريان واليونان في القطرين السوري والمصري وتأسست عاداتهم وأخلاقهم وتقاليدهم عند السوريين والمصريين على السواء وما زال هذا شأنها إلى اليوم. فانك ترى إلى الآن في أخلاق الشعبين وعاداتهما وعلاقات الأفراد والجماعات أحدهم بالآخر مسحة عربية بحث لا تكاد تختلف في شيء عنها في إبان عصر العرب مع أن الدول الفاتحة التي تعاقبت على حكم البلادين بعد الفتح العربي ولا سيما الأتراك على اختلاف دولهم وتفاوت نزعاتهم السياسية وأسااليبهم الاستعمارية أفرغت جهودها في التمتع بجميع حقوق الفتح على منوال يؤدي حتماً إلى حرمان البلادين من طابعهما العربي

(١) أنشأنا حديثاً رواية تمثيلية بسطنا فيها حكاية فتح العرب لمصر على أسلوب جديد توخينا فيه إظهار الفضائل العربية التي تجلت على أيديهم في حكم العرب للممالك الشرقية

ولما نقل مركز الخلافة الى بغداد قامت في الديار الشامية فتن شديدة تلتها ازمة طويلة الاجل انجلت عن استقلال امراء البلاد وغزاتها بالحكم ولم يبق للخلافة رأي في شؤون بلادهم السياسية فكانوا يجلسون مقامها بما لا يخرج عن الطاعة الاسمية . وأصبحت سورية من جراء هذا الانقلاب كريشة في مهب الريح تارة تضم إلى مصر كولاية خاصة بها وطوراً يقوم على حكومتها ملوك اكفاء يستقلون في شؤونها

عصر الرول المانوية

وفي مقدمة الفاتحين الذين اغتصبوا ولاية الديار الشامية أثر تلك الفتن احمد بن طولون صاحب مصر في القرن الثامن . ثم قامت دولة الاخشيديين في القرن العاشر . ثم دولة بني حمدان في الموصل . ثم دولة القرامطة فعاثت في البلاد فساداً . ثم قامت المنازعات بين امراء سورية وعماها على السيادة فيها فتحين الروم الفرصة واسترجعوها . ثم قامت دولة الفاطميين في مصر في منتصف القرن الرابع للهجرة واستولت على ديار الشام وعادت العلاقات السياسية بين مصر وسورية الى ما كانت عليه في العصور السابقة . وقام الحاكم بامر الله ينشر دعوته في الديار فنشبت في البلاد ثورة فكرية تخلّستها فتن شوهت صفحة الفاطميين . ثم قامت دولة الاتراك السلجوقيين في القرن الحادي عشر فاكتملت سورية وعادت الفتن والمنازعات تمزقها وظهرت دولة بني عقيل المرديين في الشمال ثم عصابات السفاحين المعروفين بالاسمعية فعاثت في البلاد كثيراً وانقسمت على يدها دولة السلاجقة إلى قسمين قسم في حلب وقسم في دمشق

عصر الصليبيين

وفي عصر الصليبيين تجددت العلاقات بين مصر وسورية . وحاول بعض ملوك الافرنج فتح مصر على عهد الملك الصالح بن الكامل وخلفائه ولكنهم لم يقووا على ترسيخ قدمهم فيها واكرهوا على الجلاء عنها بعد وقوع لويس التاسع ملك فرنسا في الاسر . ثم قام نور الدين الزنكي صاحب دمشق ففتح مصر على يد قائده الناصر صلاح الدين الايوبي الكردي في أواخر القرن الثاني عشر وقطع دابر الفاطميين منها . ثم استبد صلاح الدين بالحكم وفتح ديار الشام وواقع الافرنج وكسره في معارك كثيرة واليه يرجع معظم الفضل في تقويض اركان سلطنتهم في المشرق

وفي اواسط القرن الثالث عشر ظهر أهل خوارزم وهم من القبائل التي فرت من أمام جنكيزخان في زحفه على بلاد الشام وفتحه لها واستقروا في شمال سوريا بإيعاز المصريين لاجتثاث حين الحاجة . ثم تفاقم أمرهم واجتاحوا الديار السورية حتى بلغوا أورشليم وغلبوا الافرنج على أمرهم وحصروهم في منطقة ضيقة في بلاد الجنوب

دول الممالك

ثم قامت دولة الممالك البحرية أو الكردية في منتصف القرن الثالث عشر واستولت على مصر وسورية وقضت على دولة الأيوبيين . وفي اثناء ذلك ظهرت دولة التتر أو المغول فاستحوذت على سورية وطردت الممالك منها ثم عاد الممالك فاسترجعوها على يد الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدار الذي دانت لصولجانه بلاد الشام بأسرها . ثم استردَّ المغول سورية في آخر القرن الثالث عشر في عهد تيمور لnk الذي غزا دمشق وأجلى صناعاتها ولا سيما صناعات الاسلحة الدمشقية المشهورة إلى بلاد (سنة ١٤٠٠ م) . ثم قامت دولة الجراكسة المعروفة بدولة الممالك البرجية على حكم مصر وسورية في أواخر القرن الرابع عشر وظلتا في حيازتها إلى الربع الأول من القرن السادس عشر حيث أفضى تاج آل عثمان في الدولة التركية إلى السلطان سليم الأول الفاتح الشهير

الفتح العثماني

ما كاد السلطان سليم يفرغ من قتال الفرس ويستتب له الامر في ولاياته البلقانية والاوربية حتى طمحت نفسه إلى فتح الديار الشامية والمصرية وكان ما آل إليه هذان القطران الشقيقان في عهد الممالك من الضعف والانحطاط باعثاً له على استصغار شأنهما والتعجيل في اجتياحهما ولا سيما أنه شعر بعدم انتظام أمور الممالك فيها وعجزهم عن الاحتفاظ بسيادتهم فيها فزحف على سورية بجيش عظيم (١٥١٦ - ١٥١٧) واكتسحها وتابع زحفه إلى مصر فتملكها بعد أن ظفر بجيش الجراكسة ونكّل به واستأسر الملك طومان باي وشنقه وبه انقرضت دولة الممالك . على أن الغاзи ترك لامراء سوريا شيئاً من الاستقلال وأقرأ كثيرهم في ولاياتهم واقطاعاتهم بعد أن فرض عليهم جزية قليلة وترك للممالك في مصر بيكاتهم الاربعة والعشرين وهي الاقطاعات التي كانوا يحكمونها بأمر ملوكهم وأطلق عليها اسم سناجق مكتفياً بإبطال سيادتهم العليا في وادي النيل وتخلي له المتوكل على الله آخر الخلفاء العباسيين في مصر عن الخلافة العربية وبايعه شريف مكة وبذلك دانت الامة العربية لصولجانه

وعلى الاجمال فان الفترة التي انقضت بين الفتح العربي والفتح العثماني في الديار المصرية والشامية نغصت عيش الشعبين المصري والسوري لما توالى عليهما فيها من الرزايا والنكبات التي صرفت الناس عن أرزاقهم الى الاحتيال على تخفيف عبء المظالم التي حلت بهم بالتزلف الى الحكام ووقف كل ما هو عزيز لديهم من شرف وروح ومال على مشيئتهم وأهوائهم فكانت هذه الفترة أكثر العصور المظلمة شؤماً على البلادين

وقد ظهر الأتراك العثمانيون عند استيلائهم على الديار الشامية والمصرية بمظهر الخلفاء الاولين فأجروا العدل بين الناس وأقاموا دعائم سلطانهم على اساس الحلم والانصاف فأقالوا البلاد من عثرتها وانتشلوها من وهدة الخراب والانحطاط التي كانت دول الاكراد والمماليك والمغول قذفت بها اليها . لكنهم بعد انقضاء زمن الفتح وانبساط رواق سلطانهم في هاتيك الديار ظهر عجزهم عن مجاراة الخلفاء الاولين وفقدوا تلك الاخلاق السامية التي تخلقوا بها عند الفتح لانهم لم يألفوها في قصور السلاطين الذين تقدموهم وشادوا مجد دولتهم على أسنة الرماح وشفار السيوف ذاهلين عما ينبغي لأرباب التيجان ان يتحلوا به من الفضائل الرائعة ليتمكنوا من اقامة أركان الدولة على اساس صحيح لا تقوى عليه صروف الدهر وكوارث الايام . فجار لذلك السلاطين وجار عمالهم في القطرين الشقيين وهم في شغل عنهم يتلاهون ببهجة الملك فرجعا القهقري وغرقا في لجة عميقة من الضنك والشقاء . وحال اعتساف الحكام وشيائهم بعضهم ببعض الآخر وتحاسد الوعماء وتنابذهم وتنافرهم دون سد ثلثهما واصلاح ما فسد من امورها

وفي ايام السلطان سليم الثالث حمل نابليون بونابرت على مصر ثم اجتازها الى سورية سنة ١٧٩٩ فاخضع احمد الجزار والي عكا وفتح بعض مدن فلسطين ثم قفل راجعاً الى مصر ففرنسا وعاهد الأتراك على السلم مكرهاً

عهد ابراهيم باشا في سورية

وفي ايام السلطان محمود (١٨٠٨ - ١٨٣٩) انفرجت الازمة السياسية في البلاد وشعر الاهلون في مصر وسورية بشيء من اليسر والهناء . غير ان ظهور الوهابيين في جزيرة العرب افسد الامر على البلاد . وكان الحكم في مصر افضى الى محمد علي بموافقة الدولة العثمانية وكان هذا الفاتح العظيم منذ ما تبوأ عرش الامارة المصرية يرمي الى التوسع في الملك وانشاء سلطنة واسعة الاطراف تليق بعظمته ولم تر الدولة اقدر منه على خضد شوكة الوهابيين فحقق ظنها به وقضى على هؤلاء القوم قضاءً مبرماً . وحدث ان عبدالله باشا بن احمد الجزار والي عكا خرج عن طاعة الدولة فعهدت الى محمد علي في تأديبه واعادته الى طاعتها فارسل ابنه ابراهيم باشا الى عكا سنة ١٨٣٢ فحاصرها وفتحها بمساعدة الامير بشير شهاب الكبير حاكم لبنان مع رجاله اللبنانيين وكافأ صاحب مصر امير لبنان بان خوله الحق في تسمية الحكام المحليين في جميع انحاء سورية ولبنان . ولم يقتصر الفاتح المصري على اخضاع العاصي بل اوغل بجنده في البلاد الشامية واستولى على دمشق وصادق اللبنانيين فكانوا له عوناً على الأتراك ردحاً من الزمن عملاً بالاتفاق السري الذي عقد بين والده والامير بشير يوم زاره في مصر . ثم انقلب فريق من اللبنانيين

عليه لعدة اسباب اهمها اقدمه على نزع سلاحهم وارهاقهم بالضرائب فقاتلهم واوغل في بلادهم ثم سار الى حمص وبيلان واقتتحهما . وبعد سنة واحدة لاجتيازه حدود مصر دخلت بلاد الشام باسرها في حيازته واقر حكومة والده فيها واستأنف الزحف على الاستانة لفتحها . فاشفقت اوربا من بطشه على سلامة السلطنة واختلال التوازن الدولي فاتفقت انجلترا والفرنسا وبروسيا وروسيا على اخراجه عنوة من ارض الدولة . وبعد ان امنت الدول جانب فرنسا التي كانت تؤيد امير مصر ارسلت الى سورية حملة دولية مختلطة غلبته على امره بمساعدة ثوار لبنان . وفي استيلاء الاميرال بابه الانجليزي على حصن عكا تم جلاء الجند المصري عن ديار الشام على اسلوب فني مدهش اعجب به اعظم رجال الحرب في اوربا ورجوعها الى الدولة العثمانية بعد ان قامت مصر على حكمها ثمانية اعوام

ولقد اشتهرت حكومة ابراهيم باشا في سورية ولبنان بالعدل والانصاف . وما زال السوريون واللبنانيون الى اليوم يتناقلون اخبار هذا الفاتح العظيم ويتحدثون بما تجلى في بلادهم من آيات عدله وشجاعته ومروءته . وهم يجمعون على انه فاتح عظيم ومن اكبر رجال القرن التاسع عشر

بمر فنية ١٨٦٠

بعد الفتنة التي اثارها رجال الدولة العثمانية سنة ١٨٦٠ في لبنان وسورية تطرق الضعف الى البلاد الشامية فهجروا كثيرون من اهلها الى الخارج التماساً للحرية والهناء . وادرك الاهلون ما هم مستهدفون له من الاخطار في ععودهم عن الاخذ باسباب الرقي الصحيح وكان ان اقبلت على البلاد الرسائل الاوربية الدينية فانشأت مدارس كثيرة ونشط الاهلون من عقالمهم ونسجوا على منوالها فاكثروا من دور العلم . وما هي الا فترة من الزمن حتى غصت البلاد بالمتعلمين من ابنائها ولا سيما لبنان حيث استقر اكثر الرسائل فقصد فريق كبير منهم الى الديار المصرية في مدات متقاطعة فاختصتهم الاسرة العلوية الشريفة بالتفاتها السامي وقربت نوابغهم ونشطت علماءهم وكتابهم فكانوا من اعظم دعائم الحركة الفكرية في وادي النيل ولم تدخر وسيلة لمساعدتهم على تعزيز مقامهم في هذه البلاد حاذية حذو مؤسسها العظيم الذي كان اول من فكر في اتخاذ اللبنانيين وبعض السوريين عوناً لآخوانهم المصريين وشركاء لهم في تأسيس نهضة مصر الحديثة على قاعدة تبادل المنفعة بين القطرين الشقيقين . وبذلك استطاع هؤلاء المهاجرون ان ينشئوا في وادي النيل وحدة قومية تغبطهم عليها سائر الجاليات غربية كانت او شرقية وان يعيشوا مع آخوانهم المصريين اشقاء متآزرين في السراء والضراء

الزيتون

بولس مسمر

بَابُ شُؤْنِ الْمَرْأَةِ وَتَدْبِيرِ الْمَنْزِلِ

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم المرأة وأهل البيت معرفته من تربية الأولاد وتدبير الصحة والطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة وسير شهرات النساء ونهضتهن ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

ارشادات صحية لربات المنازل

للدكتور محمد زكي شافعي

السكرتير الفني بمصلحة الصحة العمومية

ربة المنزل الحازمة والمالكة لخاصية وظيفتها في الحياة هي نعمة عظيمة من أنعم الله وملاك رحمة واسعاد أرسلها إلى عباده لتخفف من لوعة ما يعانیه بنو الانسان في طريق الحياة المملوءة بالاشواك . ربة المنزل الجديرة بهذه المهمة السامية والرسالة المقدسة لها أعظم شأن في مستقبل قريتها وأولادها فهي الرأس المدبر والقوة المنفذة في مملكتهما الصغيرة بل هي الاساس الذي تبنى عليه دعائم تقدم القطر اذ هو يتكوّن من مجموعة هذه الممالك الصغيرة فاذا اختلّ توازن احدها حاق ذلك تقدم القطر في ناحية فتأثرت بقية النواحي — ولا تظنوا ان في هذا القول أي مبالغة . فربة المنزل بسبب اهلها قد تنتج ابناء ضعاف الصحة يصبحون عالة على الامة بسبب عدم كفايتهم للعمل أو أولاداً لاخلق لهم يكونون شراً عليها ومعاول هدم في بنائها اذ أن الامم الاخلاق — ألا ترون أيها السادة ان ربة المنزل اذا حادت عن الطريق السوي قد تكون سبباً في تلف زوجها وفي ذلك الطامة الكبرى بل قد تكون مثلاً سيئاً لغيرها فتقوض في من تتسرب اليهم عدواها دعائم هئائتهم وبالتالي تصبح معولا من معاول الدمار في كيان الامة

ربة المنزل — أيها السادة — هي المسيطرة الاولى على الصحة العامة هي مفتاح الصحة لنا جميعاً أفراداً وجماعات ولذلك شغلنا وشغلت الامم الاخرى بالعناية بها جنيناً وطفلاً وفتاة وعروساً وأماً وكهلاً وشيخة — نخطورة هذا الموضوع هي التي دعيتي لان أحاضركم هذا المساء في الارشادات الصحية اللازمة لربات المنازل وأرجو ان لا يجول بخاطر أحد منكم ان

ما سأذكره قاصر على الاناث دون الذكور بل العلم به لازم علينا معشر الرجال لان الجنس اللطيف مهما دفعه الماضي الذي اصبح الآن مصدر ألمنا — ماضي حياته في أسرنا واستعبادنا — مهما دفعه الى الانتقام من الجنس النشيط فاننا يجب ان نشعر على الدوام بأننا ملزمون باعداد وسائل الرفاهية والغبطة لشريكة حياتنا وكفى انها من جنس أمننا — هذه المخلوقة التي تحوطها هالة من النور والتقدیس وتصدر عن صوتها الحنون أعذب نغمات الموسيقى السحرية لابنائها وفي بساطها اقوى الامال وفي ثلماتها أرقى درجات الحنان وفي احضانها نستمتع بغاية الهدوء والاطمئنان ومتى أحسنا بلمس يدها لاجسامنا شعرنا بدبيب الحياة وبالصحة تجري في عروقنا ومنها نأخذ النصيح الخالص وبرضاها علينا تذلل أمامنا الصعاب فهي اذا أرادت ازالته من ناموس الحياة كلمة «المستحيل» وقضت — ولا راداً لقضائها — وقالت وكان القول ما قالت — وجماع القول ان الام هي روح المحبة المتغلغلة في أعماق القوة أو بمعنى آخر هي أسمى مظاهر العقل البار وهذه هي ارقى مرتبة من مراتب الانسانية

اني أقصد بالارشادات الصحية — أيها السادة — كل ما يدعو للعناية بصحة المرأة ولتجديدها ولصونها فاننا نعلم جميعاً ما عليه جسم المرأة من الدقة ونعلم ايضاً ما له من الوظائف الهامة وما يتحمله في سبيل ذلك من المشاق ولذلك هو في حاجة قصوى الى العناية به محافظة على روائه وبهائه وعلى ضمان قيامه بوظائفه على الوجه الاكمل . فالمرأة كالشجرة التي لا تثمر ثماراً طيبة الا ان كانت سليمة فان أصابها العطب أثمرت ثمراتاً فجاً أو تعذر عليها الاثمار فأصبحت عقياً ولذلك فاني سأتبع خطواتها من يوم دخولها في مضمار الحياة العملية المنزلية لان المجال لا يتسع لتتبع حياتها العملية خارج المنزل — ولنترك ذلك لفرصة أخرى

أيها السادة

تبدأ الفتاة حياتها الزوجية الجديدة وقد تكون ملة بعض الالمام بمبادئ الصحة وربما تجتهد في تطبيقها على منزلها وحياتها الجديدة أو تهملها وقد تكون معلوماتها خاطئة وفي الغالب يرجع سبب ذلك الى تشرب أفكارها بما يلقيه الوسط في روعها من المبادئ غير الصحيحة فتتساق في الاخذ بها حرصاً على اتباع ما يقال له «المودة»

ان «المودة» — أيها السادة — لم تترك بيتاً لم تدخله ولم تترك سيدة لم تحترق بنيرانها الا من عصم ربك وقليل ما هم — يبدأ أثر «المودة» السيء من وقت بدء السيدة لحياتها الزوجية . ينشأ هذا الشر المستطير من اليوم الاول من ايام هذه الحياة المقدسة مع انه على هذا البدء يتوقف تمتع السيدة بصحة جيدة في معظم الباقي من حياتها وعليه يتوقف قيامها باحسن واقدس ما يجب عليها وهو الامومة

كنا فيما مضى نعيب على «المودة» ضيق الثوب والمشد وما مائلهما ونحشى أثرهما في إضعاف النسل ولكننا والحمد لله قد خلصنا من هذه الرزايا بفضل الميل العام الى الرياضة البدنية اذ ان الثياب الضيقة تعوق السيدة عن اداء ما تتطلبه هذه الرياضة ولكن لعنة المودة لا تزال تتبع السيدة اينما سارت اذ حلت بدل الثياب الضيقة الملابس الفضفاضة والطويلة التي لازلنا نرى البعض من السيدات يلبسها في الطرقات العامة فيكنسها بذيولهن وبذلك تبلى الثياب بسرعة فضلاً عما تحمله الزيول من الجرائم التي تنتقل معها الى المنزل . ولا شك ان مثل هذه الثياب لا تصلح إلا لمن لا ينتقلن من مكان الى آخر إلا وهن راكبات فضلاً عن انها لا ترتدى إلا في السهرات . ونحمد الله ان اكثر سيداتنا غير هاويات للسهرات — وان كانت عدوى «المودة» تكاد تهدم فروق الموارد المالية التي يجب ان تراعى بين الغنية والفقيرة اذ السيدة المتوسطة الحال تحاول التشبه في ملابسها بالسيدة الغنية فتختل ميزانية زوجها ويرفرق على المنزل شبح الخراب والشقاء

وهناك ايضاً «مودة» اخرى خطرها يعود على الامة مباشرة وهي «مودة» الاقلال من النسل فان الفتاة تجعل همها الوحيد من بدء السنة الاولى لحياتها الزوجية ان تترك وشأنها بغير نسل لكي تصيب من متع الحياة او فر نصيب قبل ان تقيد حركاتها وسكناتها الاطفال ، ولكي تحافظ على بهاء منظرها وتنتحل هي وقرينها الاعذار لذلك واهمها ان نفقات المعيشة اصبحت كثيرة فلا يقدران على تحمل نفقات مولودهما مجبران على انباته نباتاً حسناً واحاطته بجميع أسباب الهناء وقد تستعمل لمنع النسل طرقاً ضارة كلها وربما تسبب للسيدة العقم المستديم او امراضاً نسائية عديدة او امراضاً عصبية أو نفسية يتعذر الخلاص منها بسهولة. وفي بعض الاحيان قد تصل القسوة بالام الى قتل الطفل وهو جنين في بطنها ويكفي للتدليل على شناعة هذا العمل أن نصف الام بالكلمة التي تتفق وفظاعة عملها أي بوصف القاتلة . والسيدة التي لا تحب النسل هي في الواقع أقل من الحيوان الضاري احساساً وشعوراً بل هي امرأة خرجت عن طبيعتها وظهرت عواطف لا تتفق والغرائز البشرية لان حب النسل والتناسل غريزة في كل انثى في المملكة الحيوانية على الاطلاق — والتناسل للمرأة التي تتصف بالامومة الكاملة هو كالغذاء والهواء اللازمين لحياتها لان رسالتها في الحياة هي اقامة النسل وحفظ الجنس ولا بد لها من ان تلي داعي خالقها والا كانت متعدياً لطورها معطلة لحياتها فتجيا حياة لا معنى لها اذ انها بلا غرض سوى ارضاء الغرائز الحيوانية الزائلة — أما الروح فتتقصد دائماً الى الخلود لا بالاقتصار على الحياة الاخرى بعد الموت بل بالخلود في هذه الحياة الدنيا ايضاً وما هذا الخلود إلا ان نظل احياء في اولادنا واحفادنا الجديرين بان يحملوا اسماءنا . هذه هي مهمتنا في الحياة قد يقال ان الفقر يأتي في اثر الاطفال وأنا أقول إن السعادة في التناسل والنسل . وقد

توجد هذه السعادة في اكواخ الفقراء حيث توجد القناعة في حين ان التعاسة قد تهيم على قصور الاغنياء . ان مظاهر السعادة التي تشاهد أحياناً في هذه القصور قد تكون مظاهر خادعة وقد يكون في بعض هذه القصور من الشقاء وعدم الهناء ما لا يخطر ببال ولا سيما اذا كان القصر لا يزينه طفل ويملاؤه سروراً وجوراً لأن نعمتين من اعظم نعم الله على الجنس اللطيف تتمناها كل فتاة هما « الصحة والاطفال » فاذا حرمت منهما ذات مال فلا ينفعها مالها ولا جاهها لاستخلاص السعادة مما يحيط بها

« لها تنمة »

احاديث صحية وطبية

للككتور سُخَابِيرِي

مقام الطبيب من صحة الجمهور

لا جدال في ان مقام الطبيب من صحة الجمهور خطير وعلى جانب كبير من الشأن فهو خطير بحكم صناعته التي يمارسها بين عامة الناس وخاصتهم وخطير بما ينشأ عن هذه الصناعة من تعارف وروابط بينه وبين افراد الجمهور فضلاً عن الفوائد المشتركة التي يحس بها هو ومن يتصل بهم على السواء . فتجده يدأب في فنه على صيانة حيوية الأمة والزيادة من نصارتها والدفاع عن كيانها ويرفع بمهارته وحسن سياسته وبمقدار ما يسديه من خدمات مقامه الفني والاجتماعي الى المستوى الذي يجب ان يكون فيه محترم الشخصية موفور الكرامة فيعيش في سعة وطمأنينة لا هموم تساوره ولا منازع اقتصادية تصرفه عن متابعة الدرس والتغذي بالمعارف والعلوم الحديثة والاختبارات المستجدة . ومن الحكمة وسداد الرأي ان تضمن له وسائل المعيشة الكريمة والظهور بصورة محترمة تتفق وكرامة الفن الذي نصب نفسه له . وفي ذلك تتوفر جهوده على العناية بصحة الجمهور الذين هم في الواقع جزء من ذلك الجمهور . ومع هذه الاعتبارات المموسة الاثر ترى صلة الطبيب بالجمهور ضعيفة متراخية الاوصال على غير ما يجب ان تكون عليه من تلاحم وتقرب . فانك ترى بعض الجماعات حتى في اوقات اليسر والرخاء لا تنال من الرعاية الطبية لا عن طريق المعالجة ولا عن طريق الوقاية القدر الذي تستحقه . وترى من الناحية الاخرى اطباء عديدين على استعداد في كبير من غير عمل وفي حالة عسر شديد . وكذلك تشاهد مرضى كثيرين بحالة بؤس وشقاء ولا سيما في هذه الاوقات العصيبة يطلبون التداوي ويتلمسون الدواء فلا يجدون لا هذا ولا ذاك وهم في حال

لا يقوون على دفع تكاليف المعالجة كما يجب فيظلون عرضة للأمراض . في حين ان طائفة من
الاطباء تشتغل في استمرار وخصوصاً في العيادات المجانية مقابل أجر ضئيل . وهذا التناقض
غير مقتصر على مصر وغير مصر من بلاد الشرق بل تجد أمثاله في اوربا واميركا وكل مكان .
وقد وصل سوء الحال في اميركا إلى حد الخوف من انقطاع عدد كبير من الاطباء عن مزاوله
صناعتهم وفي اوربا يتحدثون بأن العيادات الخصوصية ستبطل وتعود لا وجود لها مما
جعل موضوع مقام الطبيب من الصحة العامة في غاية الخطورة . وقد تألفت لجنة في العام
الماضي في الولايات المتحدة لدرس تكاليف العناية الطبية من نواحيها المختلفة وأسباب هذا
التناقض الموجود في علاقة الطبيب بالجمهور وازالته . ويظهر ان منشأ هذا التناقض هو تقدم
العلوم الفنية واقبال الاطباء على التخصص بها والتوفر على فروعها وتيقظ الحكومات لمساعدة
الجمهور وتوزيع الفوائد الطبية على افراده في حدود طاقتها . وأقرب شاهد ماثل امامنا حكومة
مصر ومنشأها العديدة من عيادات وملاجىء ومستشفيات فانها تضيق على الطبيب مجال عمله
الحر في عيادته الخاصة وترغمه على اتخاذ وسائل تحط من كرامة الفن وتنال من مقامه الاجتماعي .
وهو في حال لا يكفيه ان يكون متبعاً لخطوات العلم فقط مأمناً بأبحاث العلماء في مختلف
الفروع الطبية وابقاً على الخطوات الحديثة في التشخيص والمعالجة والوقاية بل عليه ان يعتبر
المريض الذي يتداوى على يديه جزءاً هاماً من جسم الامة لا فرداً مستقلاً عنها وان ما يصيب
الجزء من مرض وعلة يتأثر له الجسم ويكون السبب في ضعفه والنيل من قوته والباعث على
فنائيه واضمحلاله

الحكومات الاوربية وسياستها الطبية

يعنى الاوربيون اشد عناية بتوسيع نطاق المعالجة الطبية إلى اقصى مدى يخوله العلم لانها
في نظرهم اساس ينبنى عليه قوام صحتهم وبقدر ما يكون هذا الاساس سليماً من الوهن تكون
اعمالهم سليمة ومنتهجة . وعليه فهم ينظرون إلى الطبيب كما ينظر إلى المحارب في خطوط الدفاع
عن كيان امته فعليه تقع التبعة في دفع غوائل الادواء عنهم والقضاء على مسبباتها بالوسائل
العلمية الحديثة . وأهم اركان الدفاع عن الصحة العمومية ومكافحة الاوبئة والأمراض الوافدة
التشخيص الباكر وان النجاح في التغلب عليها يتوقف على صحة ذلك التشخيص وسرعته .
ومقام الطبيب الحر اليوم يختلف عما كان عليه سابقاً فهو بعد توزيع العناية الطبية على افراد
الامة فقيرها وغنيها سواء امام امرين لا ثالث لهما فاما ان ينضم إلى الحكومات او الجمعيات
ويشتغل بأجر محدود وأما ان يبقى معرضاً في أعماله الحرة إلى المنافسة الشديدة ويتقبل مصيرها
وما تقول اليه نتيجة هذا الكفاح القائم بينه وبينها بالرضى ومن غير تدمر

التأمين ضد الامراض

وقد استقر الرأي العام في اوربا واميركا على محاربة الادواء كجماعة منظمة لا كفرد وانشأوا لذلك جمعيات التأمين ضد الامراض ورأوا الحاجة ماسة الى العناية بالعمال وغير العمال ووقايتهم من الامراض ومعالجة من يصاب بها منهم مقابل قدر صغير من المال يدفعونه كل شهر من اجورهم. وقد سرى هذا الرأي وعم طبقات العمال وتطور وجعلوا له نظاماً وقيدوا المنضم اليه بشروط كما فرضوا غرامة على من يخرج عليه من الاعضاء . وكانت المانيا اول من قرر الاخذ بنصرته سنة ١٨٨٣ وانتشر نظام التأمين على صحة العامل بعد الحرب الكبرى في اوربا واميركا وامتد الى ابعد من اوربا واميركا وكان على صورتين اجباري واختياري . فالتأمين الاجباري متبع في المانيا والنمسا وزوج ولكسمبرج والمجر وبريطانيا ويوغسلافيا وروسيا واوربا المتوسطة وفرنسا وهولندا واليابان وتشكوسلوفاكيا والبرتغال وبولونيا واليونان . وجميع هذه الممالك توجب على كل مشغل بصناعة معلومة وكل من لا يتعدى ايراده مبلغاً معيناً ان يضم الى المؤمنين على صحتهم او بالحري الى الجمعيات التي تجمع المال بالتقسيم وتنقده عند الحاجة على المرضى . وهو اختياري في الارجننتين واسبانيا والدنمرك وسويسرا وبلجيكا وفنلندا واسوج وهذه الامم لا ترغم احداً على التأمين على صحته ولكن الحكومة تشجع المؤمنين بالاعانات حيناً وبالمكافآت حيناً آخر . ويظهر من الاحصاء الرسمي العام ان اوربا ماعدا اسبانيا وايطاليا لا يزال نظام التأمين فيها غير شامل لكل الامراض اي ان المؤمن له الحق ان يتداوى من الامراض المعدية وليس له هذا الحق في احوال التداوي بالجرحة فهو مكلف ان يدفع عن هذه الوسيلة عند ما تدعو الحاجة اليها . والغاية التي ترمي اليها تلك الامم هي ان يتأزر المجموع على حمل اعباء المرض لكي لا يقضى على الفرد بسبب المرض او بسبب توقيفه عن العمل او عجزه عن دفع نفقات المعالجة . وكانت نتيجة هذا التأزر والاقبال على التأمين ان تضاعفت العناية الطبية بسواد الامة وازداد عمل الاطباء وتحسن ايرادهم وقل تقشي الامراض بينهم . وتدل الاحصاءات على ان ثلاثة اخماس الشعب الالماني منضم الى هذا النظام البديع وله الحق في المعالجة الطبية عند الحاجة اليها مجاناً . وان ثلاثين الف طبيب او ثمانين في المائة من مجموع اطباء تلك الامة قائمون على خدمة هذا النظام يمارسون صناعته في ظله الوارف ولولاه لضافت بهم الدنيا على رحبها ودب اليأس في قلوبهم وقنطوا من الحصول على معاشهم. وعدد المؤمن عليهم في بريطانيا العظمى بلغ سبعة عشر مليون عامل. وفي تشكوسلوفاكيا نصف سكانها مؤمن على صحتهم ويعتني بهم نحو خمسة آلاف طبيب من مجموع ٧٣٠٠ طبيب وقد بلغ ايرادهم سنة ١٩٢٧ نحو مليون ونصف مليون من الجنيهات . وعدد المؤمنين في

الدانمرك نحو ٦٦ في المائة من مجموع السكان ومعدل نسأهم بين ١٤ و ٦٣ . ومعظم العمال في هولندا مؤمن عليهم . وفي بلجيكا ٥٠ في المائة من الاهالي مؤمنون و ٢٥ في المائة من الجر ٨٠ في المائة من شعب بودا ست . وأما في بولونيا فلم يتجاوز معدل المؤمننين من شعبها ١٦ في المائة . وفي يوغسلافيا ٣ ١/٢ في المائة وهذا يدل على ان معدل المؤمننين ينقص في البلاد الزراعية عنه في غير هذه ما عدا الدانمرك . ويقوم بهذا التأمين الجمعيات المؤلفة من العمال وممثلي الموظفين وهم احرار في شؤونهم . وتجمع الاموال من المشتركين ومن الاعضاء الامناء والحكومة تساعد بالتبرع وفوائد التأمين عديدة وتختلف في بلاد عن أخرى وهي مالية وفنية وليس في نظام التأمين ما يبيح هذه الفوائد لغير المؤمنين الا ان الفوائد الطبية تشمل اهل المشتركين . والفائدة المالية هي ان يدفع للمريض المؤمن مدة مرضه ما يعادل نصف أجره والفائدة الطبية هي ان ينال المريض من الطبيب المعالج العناية الطبية في حدود مرسومة ، ما خلا بريطانيا فالمعالجة غير مقيدة بشروط الأزمن المعالجة ، ومع ذلك فالريض المؤمن على صحته يتداوى مدة طويلة ويدفع الى عائلته ما يقوم بمعيشتها مدة مرضه . وفي المانيا ينال العامل المؤمن في حال المرض المساعدة المالية والمعالجة الطبية في جميع صورها واحتياجاتها كاجراء عملية جراحية والمعالجة الطبية في المصحات والمستشفيات والاشعة ومعالجة الاسنان والادوية ويدفع قيمة معينة للحامل عن المدة التي تضطر فيها الى الانقطاع عن العمل مع العناية بها قبل الولادة وفي اثناء الولادة وبعدها ويدفع لها اجر المولد وأجر المرضة التي تعتني بها وبمولودها . وقد بلغ عدد الامهات سنة ١٩٢٥ اللواتي نلن هذه المعاونة نحو ٨٥٠ الف امرأة وهو نحو ثلثي والدات تلك السنة كان اثر هذا النظام الواسع النطاق ان زاد زيادة عظيمة في عمل المستشفيات وغيرها من المعاهد الطبية وكان شبه دعاية للاعمال الطبية وكذلك كان اثره في تقرير اجور الاطباء وتعيينهم في المراكز المزدهجة بالعمال ظاهراً . وقد دعت جمعية الامم في العام الماضي الى عقد مؤتمر دولي ليدرس شؤون الصحة العامة في الارياف والقرى ومعرفة ما يحتاج اليه كل قسم منها من الاطباء بحيث ينال الجميع العناية الطبية على التساوي . ولهذا النظام ثلاث فوائد عامة فالاولى اجتماعية فانه يصون كرامة العائلة من مذلة النقر في اثناء مرض عائلتها والثانية طبية بحيث يساعد المريض على التداوي واسترداد قوته بالادوية والارشادات والتمريض والثالثة الوقاية فهو يضمن للحامل جميع اسباب الصحة والرفاهية قبل الولادة وفي اثنائها وبعدها وفي مدة الرضاعة فضلاً عن الوسائل التي تتخذ ضد انتشار الامراض المعدية كالسل والزهري وغيرها . ولا يخفى على فطنة احد ما ينطوي عليه هذا النظام من فوائد بعيدة المدى في استقرار صحة الفرد على قاعدة منظمة ومعيشة مرتبة وشعور مطمئنة وهو ولاشك اقوى العوامل على حفظ الصحة ووقايتها من عدوى الامراض

المانيا تشكو كثرة الاطباء

نشرت احدى المجلات الطبية رسالة عن كثرة الاطباء في المانيا قالت يحتاج طالب الطب في المانيا الى سبع سنوات دراسة بما فيها مدة الامتحانات وسنة تمرين والى سبعين الف مارك او نحو ٣٣٣٢ جنياً ولكي يكون الطبيب المتخرج مطمئن البال الى ايجاد عمل يقوم بتكاليف المعيشة عليه ان يهتم بالحصول على مركز في جمعية العناية بالمرضى لان ايراد العمل الحر في حكم العدم وللجمعية المذكورة شروط لقبول الاطباء منها ان يعتني كل طبيب بعدد من المرضى لا يقل ولا يزيد على ستمائة مريض . ولما كانت هذه النسبة قد تعادلت فقبول اطباء جدد اصبح غير متيسر الا في احوال ملء المراكز الخالية بسبب اجازات عادية او مرضية وان على المتطوع ان يقضي ثلاث سنوات بصفة مساعد قبل ان يعيّن تعييناً رسمياً . وعدد المساعدين لا يزال ناقصاً عن المطلوب ومعنى هذا ان طالب الالتحاق مستعد ان يشتغل كمساعد من غير مقابل الى ان يخلو مركز ومع ان الاجر على معالجة المريض المؤمن على صحته ضئيل جداً فيكاد يكون من المستحيل على الطبيب المتخرج حديثاً ان يجد في العمل الحر ما يصرفه عن الاهتمام بمثل ذلك المركز وقبول ما فرضت له الجمعية من شروط . والمراكز في المصالح الاخرى قليلة جداً وخلوها نادر . وصناعة الطب وحاجة البلاد الى معونتها على رأي بعض الثقة الخبيرين لاتدعو الى أكثر من الف ومائة الى الف ومائتي مخرج في السنة وان كل زيادة على هذا العدد تقلل من كرامة الفن بما ينشأ عنه من المحاولات والتنافس جرياً على سنة تنازع البقاء وهذا من دون شك ينال من شهرة الاطباء القدماء المعروفين . وفضلاً عن ذلك فعدد الطلبة المنضمين الى كليات الطب قد فاق في السنين الاخيرة أضعاف ما تحتاج اليه البلاد . فبلغ في سنة (١٩٢٨-١٩٢٩) ٣٣٥٠ طالباً وفي سنة (١٩٢٩-١٩٣٠) ٣٧٩٥ وفي سنة (١٩٣٠-١٩٣١) ٤٢٦٧ طالباً ومن هذه الارقام يتضح لك ان الزيادة في مدى ثلاث سنوات قد بلغت ٧٨٠٠ طبيب لا تحس البلاد بحاجة الى معونتهم الفنية . وهذه الزيادة مستمرة في صعود وعدد من لا يكفيهم دخل عياداتهم يتضاعف كل سنة ويعدون بالآلاف . ومما تقدم فأنت ترى ان الشعب الالماني مهدد بخطر انحلال اخلاق طائفة كبيرة من ارقى عناصره علماء وخلقاً وهذه الحقيقة تدعو الى الاسراع في اتخاذ الوسائل اللازمة لملافاة قبل استفحاله وأنجع طريقة هي ان تفرض على الطالب شروطاً مرهقة لا يقبل الاخذ بها الا من كان على استعداد في ظروفه ومواهبه ونحن نأسف اشد الاسف على تقييد العلم بشروط ولا سيما في امة راقية كالمانيا

الدكتور شخاشيري

بَابُ الزَّرَاعَةِ وَالْإِفْتِصَا

في الانتاج الزراعي

كتبت هذا البحث على أثر ما قرأته للجنة البرلمانية في موضوعه منذ شهر

متوسط محصول الفدان من القطن الاشموني بالجهات الجنوبية ٥٠٠ قنطار — حيث
يباع قبل الحليج — ومتوسط ثمنها ونفقات انتاجها بالمزارع الكبيرة قبل سنتين اي في
سنة ١٩٢٩ المتداخلة في سنة ١٩٣٠ والآن

التمن بالقروش	سعر القنطار	النفقات
١٨٠٠	٤٠٠	٦٥٠ مصاريف زراعية بما فيها تطهير المساقى واجرة الحفر
		٢٥٠ ضرائب ورسوم اميرية ومصاريف ادارة زراعية ٥٠ قرشاً
		٩٠٠

١١٢٥	٢٥٠	٦٠٠ مصاريف الخ
بعجز ٣٧٥ ٪ ٣٣٠		ضرائب الخ والنقص في مصاريف الادارة لافي الضرائب
		٨٣٠

ومتوسط محصول الفدان من القطن السكلاريديس بالجهات البحرية ٣ قناطير ومتوسط
ثمنها ونفقاتها كما يلي :

التمن بالقروش	سعر القنطار	النفقات
١٦٥٠	٥٥٠	٦٣٠ مصاريف الخ
		١٧٠ ضرائب الخ
		٨٠٠

٩٠٠	٣٠٠	٥٧٠ مصاريف الخ
بعجز ٤٥٥ ٪		١٥٠ ضرائب الخ والنقص في مصاريف الادارة
		٧٢٠

ملحوظة : راجع مذكرة سياسة الحكومة القطنية للاستثناس وما سيذكر بعد

واذا فالربح كما يلي بالقروش :

العجز الآن	الآن	قبل سنتين
٦٧٣٪ بالجهات الجنوبية	٢٩٥	٩٠٠
٧٩٪ بالجهات الشمالية	١٨٠	٨٥٠

ومتوسط محصول الفدان من القمح ٦ ارادب و ٦ احمال تبين بالجهات الجنوبية و ٣ ارادب و ٣ احمال بالجهات الشمالية ومتوسط الثمن والنفقات كما يلي :

في الجهات الجنوبية

الثمن	السعر	النفقات
{ ١٠٢٠	١٥٠ الارادب	٤٣٠ مصاريف الخ
	٢٠ الحمل	١٦٥ ضرائب الخ
		<u>٥٩٥</u>

{ ٦٦٠	١٠٠ الارادب	٣٤٥ مصاريف الخ
	١٠ الحمل	١٥٥ ضرائب والعجز في المصاريف الادارية
		<u>٥٠٠</u>

في الجهات الشمالية

{ ٥٨٥	١٥٠ الارادب	٣٧٠ مصاريف الخ
	٢٠ الحمل	١١٠ ضرائب الخ
		<u>٤٨٠</u>

{ ٣٨٠	١٠٠ الارادب	٣٠٠ مصاريف الخ
	١٠ الحمل	١٠٠ ضرائب الخ
		<u>٤٠٠</u>

واذا فالربح كما يلي

الفرق	الآن	قبل سنتين
عجز ٦٢٪ بالجهات الجنوبية	١٦٠	٤٢٥
بالجهات الشمالية	والآن خسارة ٢٠ قرشاً	١٠٥

وبما انه في المزارع الواسعة لا يستطيعون عادة زراعة الارض كلها زراعة نيلية لحسابهم تزيد نفقاتها في الجملة عن ايراد ما يزرع منها زيادة تأكل الربح الطفيف الذي قد يكون الآن

من زراعة القطن الصيفي وزراعة القمح الشتوي وقد اقتصرنا على ذكر انتاجهما ونفقاته دون سائر الزروع اذ الغرض التمثيل لا الاستقصاء فضلاً عن انهما اهم الزروع وتزيد النفقة حينما يكون الري كله او اكثره بالآلة ويزيد الانتاج في الارض الفائقة الخصب — واذ كانت الارض اقل من المتوسط انتاجاً لسوء ظروفها الزراعية او الادارية فان الخسارة تكون في كل زرعة كما هو الحال الآن في كثير من المزارع الكبيرة في هذا الرخص إلا أنه في الغالب يجمع الملك في استغلال ارضه بين ذراعتها لحسابه والتأجير قطاعي لصغار الفلاحين فتتجزأ الارض الى مزارع صغيرة ومن هنا يكون له ربح بقدر ما يكون من التأجير وموافقته للظروف بدون افراط ولا تفريط

في المزارع الصغيرة حيث يستغلها زراعتها بانفسهم واولادهم وحيث ينتفعون من ماشية فلاحتها انتفاعات اخرى تقل نفقات الانتاج الى النهاية الصغرى واذاً يكون منه ربح هو في الغالب نتيجة عمل الفلاح واولاده يأخذوه وهو كزراع لا كأجير

منذ شهور استشارني احد موظفي الحكومة وهو مستأجر واخوته ارضاً بجوار ارضهم لاحد الملاك — فيما يصنع لاقتناعه بقبول ايجار معقول فكتبت له مذكرة بالقواعد التي يصح الرجوع اليها في تقدير الايجار تقديراً معتدلاً وقد أثمرت هذه الوسيلة وجاء عني هذا الموظف شاكراً فشجعتني هذا على التوسع في تلك المذكرة ونشرها في مجلة المقتطف «عديوني الماضي» منذ شهور سألتني احد المشتغلين بالادارة الزراعية عما كان يجري قبل وسعر القطن رخيص في استغلال الارض بربح فأجبتُه باجمال أبينه فيما يلي

حينما كان ربح انواع الحاصلات الزراعية قطنية كانت او حبوبية او علفاً مماثلاً وكانت اثمانها واثمان المصنوعات أهلية كانت او اجنبية متناسبة وكانت الضرائب والرسوم متجهة الى التقليل والتخفيف وكانت احوال الفلاح مستقرة منسجمة وكان هناك مبادئ نهضة عامة زراعية ومالية واجتماعية يسودها الاطمئنان الى الحاضر وحسن الامل في المستقبل — حينذاك وكان ذلك منذ بضع وثلاثين سنة كانت زروع العلف كالبرسيم والفول واثرها الفعال في تخصيب الارض وفي تسهيل تربية المواشي — وكان عدد هذه سواء كانت للعمل او للانتفاع بالانها ولحومها — وبالتالي كان السماد العضوي الناتج من ذرائبها وكان اثرها في فلاحه الارض وعموم الاسواق المحلية باللحوم والالبان والاكتفاء بها عن الواردات الاجنبية — وكان الاعتماد في فلاحه الارض بانقار تعطى لها اطياف نظير اجرتها — كل ذلك كان اكثر من الحاصل الآن ولذلك كان هناك تناسب بين انتاج الارض ونفقاته وبالتالي كان هناك ربح مرضي (راجع

مقتطف يونيو سنة ١٩٣٢ ص ١٠٢) يقوم بحاجة المالك القانع البعيد عن الدين والاسراف اذ لا ترف ولا دين الا قليلاً في حدود خاصة

ولكن لما غلا سعر القطن وصار الربح منه اكثر من ربح سائر المزروعات زادت زراعته وقلت زراعة الحبوب والعلف وعدد المواشي وبالتالي كثر استيراد الحبوب والاسمدة المعدنية (الكياوية) ومواد العلف ومنتجات الالبان واللحوم والآلات الزراعية باثمان عالية عما كانت وكثرت الحاجة للانقار لفلاحة الارض واعتمد في استكراها على النقود لوفرتها ومع كل ذلك كان الربح من القطن كافياً لموازنة الاحوال الاقتصادية ولكن كان بعض الزراعيين والاقتصاديين ينوون حذراً من الاندفاع في التوسع في زراعة القطن واهمال ما عداه وكتبت في ذلك بحثاً مسهباً بجريدة المؤيد سنة ١٩٠٥ وأعدت نشره بكتابي زراعة القطن سنة ١٩١٠ ولكن استمرار الارتفاع في ثمن القطن أغرى الزارع بالاستمرار في زيادة زراعته والاعتماد عليه وحده والاستدانة للاسراف ومشترى الاطيان باثمان عالية مقسّط اقساطاً الى ان كان هذا الكساد الذي فاجأنا منذ سنتين كساد ثمن القطن والمنتجات الزراعية وبقاء الغلاء في المصنوعات والواردات الاجنبية والديون ففقد التناسب بين الانتاج ونفقاته وبين كسب الزارع وحاجاته وديونه

وفيما يختص بموضوعنا فقد رجع الزارع الى الاقلال من زراعة القطن والاكتثار من زراعة الحبوب والعلف وتربية المواشي الخ واخذ بعضهم في الاعتماد في استكراء الانقار لفلاحة باعطائهم اطياناً بدل النقود ولكن لا تزال الضرائب والرسوم الحكومية على ما صارت اليه من الزيادة حتى ضريبة القطن التي ضربت عليه وثمانه فوق الاربعين جنبها للقنطار ولا تزال اثمان الواردات الاجنبية غالية ولا تزال الديون وقد كانت تعتبر منذ سنتين جزءاً من قيمة الاطيان فصارت الآن ضعف ثمنها او اكثر وصار ريع الارض لا يفي بربا الدين هذا مصداق لقول القرآن الحكيم « يمحى الله الربا ويربي الصدقات » ورحم الله الدكتور صروف اذ يقول (لولا الدين لكانا في رخاء)

ملاحظة — كان ثمن قنطار القطن في سنة ١٩٢٨ سكالاريدس واشمونى اعلى منه في سنة ١٩٢٩ ببضعة ريالات ولكننا اكتفينا بجعل المقارنة بين هذه وما يليها لانه لو بقي سعر سعر القطن كما كان في سنة ١٩٢٩ ما كانت هذه الازمة الشديدة

احمد الالفي

مكتبة المقتطف

ميزان الاكوان ودولاب الزمان

ظهر في هذه الآونة كتاب بهذا العنوان قلما نرى له ندأ في عالم المطبوعات العربية في عام حتى ولا في بضعة اعوام . وهو كتاب قيم في فلسفة الكون بقلم الدكتور ابراهيم شبلي الصليبي اللبناني . وقد اشتمل على احدث النظريات العلمية وبعضها من مبتكرات المؤلف . اقول قلما نرى له ندأ في لغتنا لأن انفس المؤلفات العربية التي صدرت في هذا العصر الى الآن ينذر ان تتجاوز دائرة الادب العربي والتاريخ العربي . وهيئات ان نرى مؤلفاً في موضوع علمي حديث الآراء طريف النظريات عصري الحقائق الطبيعية

لذلك طالعت الكتاب الذي نحن بصدده بشوق عسى ان اجد فيه كل جديد عن فلسفة الكون . وقد وجدت كثيراً واستفدت كثيراً وأثنت على المؤلف وشكرت تحفته للعربية توخى المؤلف تحليل كثير من الظواهر الكونية والحركات الفلكية جاعلاً اولية ابحائه ان الكون شيان هما الوجود والحركة (ولعله يعني الوجود المادي) وان ميدان الكون ظرفان هما المكان والزمان . فكانت هذه الاولية السمط الذي انتظمت فيه حلقات بحوثه في «الجوهر الفرد» الذي اصطلحنا اخيراً على تسميته بالذرة، وفي الأثير الذي يتحرك فيه الجوهر الفرد ومجموعاته من اجرام وأجسام وفي طبائع حركاتها

ثم فصل اسباب تلك الظواهر فشرح أولاً كيفية نشوء النظام الشمسي وما نجم عنه من اعراض وما تناوبه من حالات ككلف الشمس وأهليجية افلاك السيارات وتداول قوتي الجذب والدفع وتعاقب الحركات المختلفة في ذلك النظام وتباين افلاك السيارات وميلها وسبب دورانها في محاورها ونشوء الاقمار الخ

ثم تبسّط فيما نجم عن اختلاف الحركات ومن تمایل سطح خط الاستواء على سطح دائرة البروج الى غير ذلك من اسباب المدّ والجذر وتعاقب الادوار الجليدية على الارض . وما اقتضاه ذلك من تعاقب ادوار العمران وروقي الانسان الى غير ذلك من المباحث التي تتسلسل تسلسلاً انيقاً يستهوي القارئ

وبعد ان استغرقت هذه المباحث نحو نصف الكتاب عكف المؤلف على اثبات وجود

الاثير وايضاح انه سبب الجاذبية والامواج النورانية والكهرباء الى غير ذلك جاعلاً هذا الاثير علة لكل ظاهرة كونية وطبيعية ومن جملتها الحياة والعقل والاجتماع والاخلاق الخ فيما تقدم كفاية لبيان ماهية هذا السفر النفيس للقارىء . ومنه يفهم قيمته وشأنه في عالم العلم . وقد لاحظت ان كثيراً من النظريات المبسوطه في هذا الكتاب انما هي من مبتكرات المؤلف . وفي بعضها يخالف نظريات غيره من علماء العصر . ولذلك تحتمل النقد والمناقشة من اهل العلم او تحتمل الاستزادة من الايضاح والتفسير من قبل طلاب العلم ككتاب هذه السطور ومن امثلة ذلك قوله في مطلع الفصل الاول ان الشمس تسير في الفضاء في خط مستقيم الى جهة معلومة بسرعة ١٣ ميلاً في الثانية نحو السماء الرامح . وبناءً على ذلك يستنتج انها لا بد ان تصطدم يوماً بحجر من الاجرام

والظاهر من قوله هذا انه يقصر فعل السير على الشمس وحدها . وكأن السماء الرامح ثابت في مكانه . ولكن الارصاد الفلكية المختلفة اظهرت ان جميع الاجرام متحركة حتى السماء الرامح نفسه متحرك ايضاً . (ويحتمل ان يكون هو المقبل الى الشمس) وانها جميعها متساوقة كأنها تدور حول محور ولو وهمي . فاذا كان السماء الرامح في جانب من دائرة كون الجرة التي هي عالمنا الخاص والشمس في جانب آخر وهما يتراءيان الآن كأنهما يتقاربان ، في حين ، ولو بعد ملايين السنين ، سيتراءيان متباعدين . وهكذا الامر مع سائر الاجرام . ولذلك يندر الاصطدام . ويغلب ان تكون الشمس ناجية منه . فليس اكيداً ان سبب اشتعال الشمس اصطدام قديم . وجميع النجوم او معظمها مشتعلة . فهل اشتعلت كلها من جرء اصطدامات ؟ اذاً الاصطدام امر كثير الحدوث بين ملايين الاجرام ولا بد ان يرى منه كل يوم او كل عام او بضعة اعوام . وقد قدر الاستاذ ادنجنجت احتمال اصطدام شمسنا باخرى فاذا هو كنسبة واحد الى مائة مليون

ومن اقواله ان من نتائج الاصطدام انفصال كل من الجرمين المتصادمين بحيث يجعل كلاً منهما يدور على محوره لان كلاً منهما كان قبل الصدمة يسير في خط يميل على خط مسير الآخر . وهنا تجاهل حضرته فعل الجاذبية مع انه قرره في بدء الحديث . ولذلك مهما كان خطأ مسير الجرمين مائتين ، ومهما كانت سرعتيهما ، فكلما تقاربا اشتدت قوة التجاذب الى ان تغلب على الحركة الاستمرارية Inertia فينقض كل منهما على الآخر انقضاضاً سميئاً Vertical ولذلك لا يحدث الانفصال الذي علل به الدوران على المحور

ولو كان المقتطف يأذن بمزيد البحث لذكرت امثلة اخرى . على اني اعجب جداً بتعليل حضرته لنشوء النظام الشمسي وان كان يخالف الرأي الحديث الذي ارتآه السير تهايمس تيجنز وأذعن له جانب من العلماء . فضلاً عن انه يحتاج الى براهين اسعد . وكذلك اعجب بتعليله اهليلجية افلاك

السيارات وان كان سببها الاساسي محل للنظر. وأعجب أكثر بتعليله لتعاقب الادوار الجليدية على الارض ان اهم ما يسترعي نظر المطلع الدارس تفسير حضرته لنظرية الاثير واثباته لوجوده. وقد تبهرت في مباحثه جيداً فما وجدته يسند تفسيره الى امتحانات واختبارات معملية او رصدية وانما هو وصف الاثير بأنه جسم متصل ، لا مسام فيه ، تام السيولة ، لا يقبل التمدد ولا الانضغاط ، ولا يتأثر بالحرارة ، مالىء كل فراغ في الكون حتى مسام المادة . مترجع من كل جهة طرداً وعكساً بسرعة فائقة . ولكنه لم يعطنا برهاناً دامغاً على ان الاثير كذلك بل كأنه يطلب من القارئ ان يسلم بوجوده بهذه الصفات تسليماً اعمى . ثم يبنى تعليله للجاذبية وغيرها من نور وكهرباء واشعاع على هذه الاوصاف . فبناء البرهان على شيء غير مبرهن هو كالبناء في الهواء . والا لجاز ان نفرض اي شيء بلا برهان ونبني عليه ما نشاء من المزاعم والذي نعلمه ان الاثير فرضاً لتعليل الانتقال في الحيز كانتقال النور. وكان فرضاً جميلاً لارتياح العقل الى تعليل سير النور به يوم زعموا ان النور حركة تحتاج الى شيء يتحرك. ولكن لما ثبت انه مادة كهربائية مغناطيسية تنتقل بلا وسيط اصبح الاثير مستغنى عنه فوضع على الرف الى ان يحتاج اليه فيستدعى ثانية

الى الآن لم يقم برهان عملي على وجود الاثير. وقد اطلعت على كتاب «الاثير والحقيقة» تأليف زعيم الاثريين السير اوليفر لدج واطلعت ايضاً على مقالة في دائرة المعارف البريطانية الطبعة الاخيرة سنة ١٩٢٩ فما وجدت برهاناً امتحانياً في العمل يثبت وجود الاثير بالصفات التي وصف بها . بل ان عملية ميكلسن — مورلي التي ذكرت في المقتطف غير مرقمة عجزت عن اثبات وجوده . لذلك لا استطاع قبول تعليل جناب الدكتور صليبي للجاذبية بصدم الاثير للجرمين المتجاذبين لان الاثير لا يزال فرضاً بلا برهان حسي

واصرار جناب الدكتور على وجود الاثير وكونه علة لكل حركة حمله على شجب نظرية الكهرب Electron في حين ان المعمل اثبت وجوده وقاس حجمه ووزنه وسرعته وشحنته الكهربائية . فكيف نستطيع ان نجد الكهرب المبرهن بالمعمل ونسلم بالاثير الذي لا يزال فرضاً ثم انه جحد النسبية مع انها ناموس رياضي لا يمكن شجبه . وما هي زعم لفرض شيء طبيعي . قد نقبل من جناب الدكتور جحدته لنظريتي النسبية والكهرب اذا كان عنده برهان عملي ينقضهما . ولكنه اذا كان يقتصر على التهمك والسخرية في جحدهما فلا نظن اهل العلم يحسبون قيمة لهذا الجحد. فخذوا لو نزهة حضرة الدكتور كتابه القيم عن هذا التجريح. وحذا لو يغتفر لهذا العاجز الذي لا يدعي الا التلمذة لاهل العلم تعرضه لهذه النقط المحتملة الاعتراض

نقولا الحداد

شبرا

المحرر — سيصدر في العدد القادم مقال ضاف للكاتبة عن الاثير والنور. فنوجه الانظار اليه



ابو عثمان الجاحظ
كما تخيَّله مؤلف هذا الكتاب ورسم بارشاده

باب مكتبة المقتطف

مقتطف نوفمبر ١٩٣٢

ادب الجاحظ

تأليف حسن السندوبي — طبع بالمطبعة الرحمانية — صفحاته ٢٤٧

نال الجاحظ من عناية الكتاب في هذا العهد ما لم ينلّه اديب او عالم آخر من علماء العرب وادبائهم . ولا غرو فقد قيل ان الفيلسوف ثابت بن قرّة الصبائي الحرّاني قال « ما احسدُ الامة العربية الا على ثلاثة انفس اولهم عمر بن الخطاب والثاني الحسن بن الحسن البصري (وهو من شيوخ المعتزلة) والثالث ابو عثمان الجاحظ . وقال ابن العميد « كُتِبَ الجاحظ تعلم العقل اولا والادب ثانياً » وقال كذلك « ثلاثة علوم الناس كلهم عيال فيها على ثلاثة انفس اما الفقه واما الكلام واما البلاغة والفصاحة واللسن والعارضة فعلى ابي عثمان الجاحظ » . وقال ياقوت — بعد ما ذكر ان ابن الاخشيد اقام بعرفات ينادي : يرحم الله من دلنا على كتاب الفرق بين النبي والمتنبي لابي عثمان الجاحظ على اي وجه كان — « وحسبك بها فضيلة لابي عثمان ان يكون مثل ابن الاخشيد ، وهو هو في معرفة علوم الحكمة وهو رأس عظيم من رؤوس المعتزلة يستهم بكتب الجاحظ حتى ينادي عليها بعرفات والبيت الحرام ... » وقال ابو القاسم الاسكافي « استظهاري على البلاغة بثلاثة : القرآن وكلام الجاحظ ، وشعر البحتري » . وجعل ابن دريد « كتب الجاحظ من متزهات القلوب » لما ذكرت امامه متزهات الدنيا او متزهات العيون كما دعاها

وقد اطلعنا في خلال الشهرين الماضيين على كتابين من الكتب الحديثة في الجاحظ الاول كتاب شفيق جبري — وقد ذكرناه في مقتطف اكتوبر الماضي — والثاني الكتاب الذي بين ايدينا الآن . وعلمنا ان خليل مردم بك وضع كتاباً في الجاحظ كذلك ولكننا لم نره . وعندنا بعد مطالعة كتابي السندوبي وجبري ان الاول عني بايراد سيرة الجاحظ وآرائه فانت تخرج منه بصورة واضحة (انظر الصورة) لشكله وتعليمه ورزقه وبسطة جاهه ومقامه الادبي ورأيه في المعتزلة والكتب التي صنفها والمؤلفات التي نسبت اليه . وعني الثاني عناية بدرس ادب الجاحظ وطريقته في البحث والتحقيق والنقد وتحليل شعوره الديني ونواحي ادبه من الضحك الى التهمك الى الصنعة الى الفن وغير ذلك . فاذا استعملنا التعبير الغربي قلنا ان الاول تاريخ خارجي للجاحظ والثاني تاريخ داخلي . وكل منهما مكمل للآخر

وقد حقق المؤلف مولد الجاحظ فرأى ان يعتمد النص الذي جاء به الجاحظ قال (صفحة ٢٠)

نقله الينا ياقوت في معجمه فقد روى انه قال : انا اسنُّ من ابي نواس بسنة ولدت في اول سنة ١٥ هـ (٧٦٧ م) وولد في آخرها » وليس بعد هذا — في رأي المؤلف — نصُّ يعتدُّ به ثم اظهرنا في الفصل الثالث على صورة من اساليب التعليم في ذلك العصر قال :

« فقد كان الرجل يبعث بولده الى كتاب الحمي فيتعلم فيه مبادئ القراءة والكتابة ، ويشدو شيئاً من قواعد النحو والصرف ، ويتناول طرفاً من اصول الحساب ، ثم يستظهر كتاب الله الكريم استظهاراً تاماً مجوداً مرتلاً ، وهو في خلال ذلك يتردد مع اترابه على القاص فيسمع منه احداث الفتوح ، وانباء المعارك ، وأخبار الابطال ، ومقاتل الفرسان ، ومفاخرات الشجعان ، وسير الغزاة والفتاحين ، ممزوجاً ذلك بالمواعظ والعبر وياراد احوال الصالحين وأطوار الزهاد والنسك والمتقين . وبعد ان يأخذ من كل طرف من هذه المعلومات نصيبه الكافي يولي وجهه شطر حلقات الدرس بالمساجد العامة ، والمعاهد الجامعة ، والمدارس الخاصة فيقوم من حلقة الفقيه إلى حلقة المحدث ، ومن مجلس الغوي الى سارية النسابة ، ومن حضرة الاخباري الى دارة المتكلم ، ومن معهد المنطقي الى مجمع الفلسفي ، ومن محفل الاديب الى قاعة المهندس ، ومن بين يدي المفسر الى حظيرة الاصولي ، ومن غرفة الراوية الى بيت الشاعر ، ومن ديوان الكاتب الى صاحب النجوم ، ومن الاسطرلابي الى الجغرافي ، ومن مشهد الموسيقى الى مقعد المغني ، ومن عند الزمار الى دكانة الوتار . الصبيان والبنات في ذلك سواء ، وان كانت الغالبية في الصبيان دون اخواتهم . حتى السجون ، فقد كان لاهلها حظ من التعليم وكان لهم معلمون يدخلون اليهم في اوقات معينة »

وقد تلقى الجاحظ علومه على شيوخ البصرة والكوفة ومن أخذ عنهم علومه الاصمعيُّ وابو زيد الانصاري وابو الحسن الاخفش ومن تلقى عليه العلم المبرّد صاحب الكامل ويقال انه كان وهو في دور الطلب يعاني الاتجار في الخبز والسمك بسَيْحان (نهر بالبصرة) وسواء صحَّ هذا الخبر ام لم يصحَّ فقد درج الجاحظ في بحبوبة من اليسر والرخاء واتسعت موارد رزقه . . . فلا عجب ان يعلو على امثاله فضلاً وفهماً ، ، وان يقدم للغة العربية هذه المصنفات التي وضعها في كل ضرب من ضروب العلم وفن من فنون الآداب على كثرتها وجليل شأنها . فان العطايا واللهي تفتح لها ، على شريطة الاستعداد الفطري والكفاية الظاهرة (ملخصاً من الفصل الرابع) وقد أشار مصطفى صادق الرافعي الى ذلك في مقالته عن شوقي (في هذا الجزء)

ومما عرض له المؤلف ولم يدعمه باسناد قوله ان الجاحظ أتى مصر قال (صفحة ٧١)

ووقعت في كتاب الحيوان على انه وفد مصر واقام بها زمناً واجرى بها اختبارات فيما عثر عليه من حيوانها « وحبذا الحال لو أشار الى الفقرة التي نُصِّر فيها على ذلك او يحصل ذلك من معناها . ولكنه كان شديد الحذر لما ذكر ان الجاحظ كان يلمُّ بالفارسية — قال اجل ليس هناك نص صريح يملأ يد الباحث في هذا الشأن ولكن هناك من العبارات والالفاظ ما يدفع الى استنباط هذا الرأي . . . وقال كذلك بعد ما ذكر شاهداً على قوله . . . فسأله عرفان الجاحظ باللغة الفارسية تستنبط بالقوة من خلال سطور كتبه ولا تؤخذ بالنص »

ونرى انه كان شديد القسوة لما بين ان كتاب « التاج » ليس من مؤلفات الجاحظ (١٤٥ — ١٥٢) فبعد ما اورد نص مقدمة صدر بها الجاحظ كتاباً له ونص مقدمة « التاج » وهما موجّهتان الى رجل واحد قال: « فأي امرئ له مسكة من عقل او افارة من الذوق او بقية من ادب أو لبابة من فضل ، يستطيع ان يقول ان كاتب تلك المقدمة هو كاتب هذه . ولعل بلاغة العبارة ساقته في تيار وقعها فالساق

وفي الكتاب فصل مسهب احصيت فيه كل مؤلفات الجاحظ والمؤلفات التي نسبت اليه وفصلان بسط فيهما مذهب المعتزلة ورأي الجاحظ فيه ، وفصول اخرى تحتوي على نواته ومختارات من نثره وشعره

وفي حواشي الصفحات ترجمات موجزة للاعلام الذين ورد ذكرهم في المتن

نقول وباليات المؤلف توسع في بعض الفصول توسعاً يتفق الغلة كالفصلين اللذين افردهما لمعارف الجاحظ واحاطته وتحقيقه للعلم فانهما شديداً الايجاز . ولكنه قد يفعل ذلك لدى نشره كتاب « الحيوان » وكتاب « البيان والتبيين »

الصاحب ابن عباد

ورثة هذا اللسان العربي هم الآن أقل خلف شوقاً الى نشر التاريخ المطوى لمن سلف من آبائهم ، وأبعدهم عن معاناة المشقة في استقصاء أخبار من غير من علمائهم وأئمتهم وهداتهم ومن فتح ومن قاد ومن حكم ومن استوزر من أسلافهم ، فلذلك نكسروا التاريخ العربي إذ لم يعرفوه ، ورگت أساليبهم إذ كان الادب العربي على جانبي التاريخ العربي وفي طريقه ومن بين يديه ومن خلفه . ولا تجب فقد كانت البلاغة لعهدهم هي ميزان الرجال ، ومقياس العقل ، وقسطاس الحكمة . وما عى هذا الخلف أبوة من غير من أسلافه إلا لأسباب أخذت عليه

طريقة، ولو ان جلها ليس مما يبرر هذا العقوق أو يُعذر منه
ولقد انتدب لمدواة هذا العقوق رجال من الادباء والشعراء فبدلوا ولم يرضوا، وأخرجوا
في رجال الادب والتاريخ كتباً تعرف الناس بهم وبأدبهم وأخلاقهم وفضائلهم وما سوغوا
من الحكمة، وما رزقوا من الفضل. فن ذلك ما كتب الاديب الجليل «خليل مردم بك»
عن «الجاحظ» و«ابن المقفع» و«ابن العميد» و«الصاحب ابن عباد». والثلاثة الاول
من كتبه قد نشرت من أشهر وتداولها الناس. ونشر حديثاً كتبه عن «الصاحب ابن عباد»
فاستوفى ترجمته ما استطاع، وجمع شتات ما وصل اليه من اخباره، ثم ابدى في ذلك من
صواب الرأي والدقة والتوثق قبل الحكم ما يشهد بأمانته وعدله. وفي الكتاب من رسائل
«الصاحب» ومن شعره ما لم ينشر مستقلاً بعد

وأسلوب كتابه هذا، هو الاسلوب الجيد في عرض التراجم التي يقصد من كتابتها تعريف
الناشئين بمن مضى من أسلافهم، حتى لا يقفوا منهم موقف الجهل اذا ما عرض ذكرهم في
حديث أو كتاب. على انه لا يمكن ان يقال ان هذا الكتاب هو أوسع ما يكتب عن الصاحب،
فان أكثر ما كتب هو وما ألف، او ما كتب عنه أو قيل فيه، قد استبد به الضياع. ولا
يبعد ان يطلعنا القدر يوماً ما على اثر من آثار الصاحب أو آثار من عرض لذكره والكلام عنه
يبدل الحكم عليه او ينقص منه او يزيد فيه

واهم أبواب كتاب «الصاحب ابن عباد» هو القول في «اسلوبه وخصائصه» من ص ١٢٩
— ١٥٧ قد وفق المؤلف في الكلام عن الاسلوب ولم يوف خصائص الاسلوب حقها حتى
تستطيع بعد ان تقرأه ان تعرف ما يميز اسلوب «الصاحب» من اسلوب استاذه «ابن العميد»
على ان المؤلف عذراً بيناً في هذا فان آثار «الصاحب» و«ابن العميد» قد ضاعت ولم يبق الا
اقلها مما لا يعين على التحديد والحصر والابانة عن مواضع التميز. والكلام على خصائص اساليب
الكتاب من امثال الصاحب وابن العميد هو اهم ما يكتب عنهم واجدها على العربية وطلابها
الا انه فيما نرى اشتقها وابعدها مطلباً، ولن يوفق اليه الا من استكمل العُدَّة وتهيأ له الطبع
الراقي والبصر النافذ وواتته الاسباب بظهور جزء من الكتب الضائعة والمغمورة واعانه العلم
المستفيض بأخبار الكتاب واخبار عصورهم ومن سبقهم ممن أخذوا عنه او نهلوا منه. واما
بعد، فان كتاب خليل مردم بك عن الصاحب هو من احسن ما يعرف الناس بلسان من الالسة
البليغة ووزير من الوزراء النابهين في القرن الرابع للهجرة

محمود محمد شاكر

وكيل البريد
وقصص أخرى

خالي
وقصص أخرى

لشاعر الهند : رابندراناث طاغور

نقلها الى العربية عبد اللطيف النشار

لاسم « طاغور » رنين جميل في أذني ، ولاشعاره وقصصه وآرائه مكان وسيع من قلبي . وما قرأت له شيئاً إلا أحسست في نهايته اني ارتفعت الى عالم بعيد من النور والقداسة اجتذبني اليه في رفق ولين ، وغمرني بالاحلام والاماني ، وحملني على اجنحة هادئة الرفيف فهو الكأس الإلهية التي تسقي العالم في عصره المادي خيراً روحية الكرمة والعصير وهو الناي الذي يجتذب أصداء الخلود من عالمها فيرددتها على أسماع الفنانين الهالكين ولطاغور أسلوب مزدهر الالفاظ ، ألق المعاني ، سامي التفكير ، حلو النفس والرنين ولقد عرف له العالم الغربي هذا فترجم كثيراً من مؤلفاته ، وعرفنا نحن هذا الينبوع الصافي نخففنا إليه ، واغترفنا ما قدر لنا ان نغترف منه . والكتيبان اللذان نحن بصددهما هما مجموعة من قصصه نقلها الى لغتنا الاديب عبد اللطيف النشار إلا انني قرأتهما فأحسست ان ألوان طاغور الفتاة قد تلاشت ، وكأن الناقل الفاضل قد أحس بذلك من قبل فاحتاط اليه بقوله : « ولست أزعم أنني أدتيته في لغتنا كما أداه ذلك بأن معاني الشعر (ومثله القصة) تنقل في سهولة ، أما الضوء وأما اللون فلا ينقلان في الترجمة » وإذا كان هذا عذراً من الناقل يظنه راداً عنه فقد أمثالي فهو عذر ضعيف — وخاصة منه هو — فالاديب النشار شاعر له من الألوان ما يمكن ان يؤلف منها ألواناً تقرب الينا روح طاغور في كتابته

على ان الضوء واللون شيئان غير الروح ، فهما في إمكان الشاعر والرسام نقلهما عن غيرها أما الروح فهي سر في نفس كل إنسان تعطى بقدر ، وتوهب بنسب مختلفة كما اني لا أفهم معنى لان ينقل الأديب النشار اغنية ريفية في قصة « خالي » باللغة العامية ... ألا انها ريفية ؟ وما علاقة اللغة العامية المصرية بريف الهند ؟ وهل اذا كتب أديب غربي عن ريف مصر وضع اللهجة الريفية في كتابته ؟

أم اراد أن يصوغها في لغة بسيطة فلم يجد إلا الاسلوب الدارج ، وكان أدبه وشاعريته وروحه كفيلة بأن تنقل هذه الاغنية عربية اللهجة سمحة الاسلوب ساذجة اللفظ على ان ذلك لا ينقص من قدر مجهوده الذي نود ان لا يقف به عند حد في نقل زهرات الآداب من لغاتها الى لغتنا وهو حريص على خدمتها حسن كامل الصيرفي

جماعة اخوان الصفا

لعبد اللطيف الطيباوي

اخوان الصفا وخلان الوفا هؤلاء جماعة من العلماء الذين المُوا بما كان معروفًا في إقليمهم من صنوف العلوم وضروب المعارف ، وقد تألفوا فيما بينهم بعد ان فشا في العالم الاسلامي نقل فلسفة اليونان وحكمة الهند وآداب الفرس ، وذلك في منتصف القرن الرابع للهجرة . رأى هؤلاء الجماعة ما أصاب الناس من الفساد في الخلق والرأي والمعتقد ، ورأوا ما أصاب اهل العلم والنظر وحمة الآراء والفكر من الاضطهاد والتنكيل والتشريد وتسليط العامة عليهم ففزعوا الى ما بين جنوبهم من ضائر صافية وإلى ما في قلوبهم من رحمة على المجتمع ورأفة ، وحسبوا انه لا صلاح للناس إلا بصلاح النفوس ولا صلاح للنفوس إلا بالفلسفة متميزة بالشريعة ، او بالشريعة معتمدة على الفلسفة . فأجمعوا امرهم على ان يحتجبوا عن الانظار ويبعثوا في الناس أشعة علومهم ومعارفهم بواسطة رسائل يكتبونها ويثبتونها في الوراقين وباعة الكتب وناسخيهاء ، وقد نشروا من ذلك احدى وخمسين رسالة (وان شئت فقل : مجلة علمية) وظلّ امرهم مخفيًا ورسائلهم معروفة متداولة الى ان كانت سنة ٣٧٣ هجرية حيث كان ابو حيان التوحيد في حضرة الوزير ابن سعدان وزير صمصام الدولة بن عضد الدولة ملك بغداد في عهد الطائع لله العباس فسأل الوزير ابا حيان في كلام كان سمعه من زيد بن رفاعه — وقد كان من الجماعة بلا شك وكان مع هذا من خاصة الوزير ومن اكبر جلسائه — فأخبره ابو حيان بشأنهم وأنبأه بما يتلجلج في صدورهم وأطلعته على اسلوبهم في بث تعاليمهم وذكر له ان زيد بن رفاعه « لا ينسب الى شيء ولا يعرف برهط ، لجيشانه بكل شيء وغليانه بكل باب ولاختلاف ما يبدو من بسطته ببيانه وسطوته بلسانه ، وقد أقام بالبصرة زمانًا طويلاً وصادف بها جماعة لاصناف العلم وأنواع الصناعة منهم ابو سليمان محمد بن معشر البستي ويعرف بالمقدسي وأبو الحسن علي بن هرون الريحاني ، وأبو احمد المهرجاني ، والعوفي وغيرهم فصحبهم وخدمهم وكانت هذه العصابة قد تألفت بالعشرة ، وتضافت بالصدقة واجتمعت على القدس والطهارة والنصيحة ، فوضعوا بينهم مذهباً زعموا أنهم قربوا به الطريق الى الفوز برضوان الله الخ » في هذه الجماعة وضع الشاب النجيب عبد اللطيف افندي الطيباوي خريج كلية الآداب والعلوم بالجامعة الاميركية ببيرت رسالة حاول فيها التعريف بشأن افرادها من هو الرأس المدبر لها وهل كاتب رسائل اخوان الصفا رجل واحد أو عدة رجال . وقد دل بهذه الرسالة انه شغوف بالبحث محب للتنقيب متجه نحو عرفان حقائق الاشياء على وجهها . وهو وان لم يبلغ في هذه الرسالة الغاية التي يتوخاها اهل البحث والتحصيل فإننا نرجو له بلوغ هذه الغاية في بحوثه الالية فان استعدادده الظاهر من خلال رسالته يبشر بهذه النتيجة المنتظرة

باب الاخبار العلمية

مؤتمر الطلبة الشرقيين

ان موقف الطالب الشرقي موقف غريب معقد ، فهو بين حضارة غربية مادية لا توأم طبيعة نفسه ونوع نزاعاته ، ولكنها حضارة غالبية صبغت كل شيء بلونها وكسبت الظفر في كل الميادين فهو مضطر ان يصطنعها . وبين حضارة شرقية جلية ليس في مبادئها شيء من هذه السمة الذي تتسم به الحضارة الغربية ، فيوم ان كانت لها السيادة كانت تبسط النور حيث حلت ولم تكن آثارها الثكنات والمعسكرات تترك حيث سارت بل كانت المعاهد والجامعات والتقدم العلمي والروحي والفكري . ولكن هذه الحضارة الشرقية ركبت مياهاها ، وجدت حتى فقدت بعض عناصر الحياة فيها ثم زادها ضعفاً ابتعاد الشرقيين عن الشرق وتراهمهم على الغرب وفقد الصلة بين نفوس الشرقيين وتعاليمهم . والطالب الشرقي اذ يستقبل عهد الشباب ، عهد الحماسة والايمان والعمل لا يدري الى اي متجه يتجه ويحس بنفسه كشرقي يجب عليه الاعتداد بشرقيته وكانسان يجب ان يأخذ بأسباب التفوق والنجاح مضطرباً حاراً لا يعرف كيف يوفق بين ما يرجوه وبين ما يجب عليه . على ان هذه الحالة اذا تركت

دون علاج تفاقمت واستفحل شرها لان الشرقيين الذين يأخذون عن الغرب كل شيء يفقدون ثقتهم بأنفسهم فيسعون مقلدين محتدين وتضعف فيهم ملكات الابتكار والابداع . ولان الشرقيين الذين لا يأخذون عن الغرب لا تواتيهم الحضارة الشرقية في نهوض . فما الوسيلة اذن لعلاج هذه الحالة ؟ العلاج فيما نخيل لبعض المفكرين ان العناصر الحية في الشرق يجب اولاً ان تجتمع ، وان تنظم علاقاتها بعضها ببعض . ولهذا الاجتماع آثاره الجلية . ذلك لان اجتماع العناصر الحية في الشرق — ونعني الطلبة الشبان — يقرب الشرقيين من الشرق ، لان الطلبة في هذا الشرق لا يقصدون الا الغرب ولا يتعاونون الا مع الغربيين ولا يزورون الا اوربا واميركا فان اجتمعوا مع اخوانهم وهم في شبابهم ، اتجه تفكيرهم اتجاهاً جديداً . ولان الشباب في الشرق يرنو الى النهوض ويبغي العمل ، فاذا اجتمع بعضهم مع بعض احس ان في الشرق حياة وشعر ان هذه الرغبة في النهوض التي يحسها في بلاده وفي الشرق بوجه عام ، هي رغبة شاملة تعم الشرق كله فيزداد قدره في عينه فتعود ثقته بالشرق اليه وبهذه الثقة

يستطيع ان ينزل الى ميدان الحياة بسلاح جديد:
سلاح الاعتداد والاعتزاز

لهذا نبتت فكرة مؤتمر الطلبة الشرقيين
ليضم الطلبة من جميع بلاد الشرق على اختلاف
ألوانهم وأديانهم وجنسياتهم . على ان يكون
اجتماعاً دورياً يعقد كل عام في عاصمة من
عواصم الشرق . حتى يكون لكل أمة في
هذا الشرق فرصة عرض جهودها امام شباب
النهضة فتتاح لشباب الشرق فرصة دراسة الشرق
كله والتعرف عليه . والمؤتمر اينما يعقد
لا شك سيجمل بزور الحياة لان اجتماع مائة
شاب لغرض واحد وقد جاؤوا من بلادهم
للبحث والاستقراء والتعرف سيفتح الازهار
والنفوس للاخوة التي تربط الشرق كما ان
بحوثهم ومناقشاتهم في المؤتمر وقراراتهم
ستفتح ابواب البحث والجدل والدرس للكتاب
والمفكرين

وهذا المؤتمر سيكون بطبيعة الحال أبعد
ما يكون عن السياسة والمنازعات الدينية ،
والواقع ان علة هذا الشرق في خلافاته الطائفية
والمذهبية والسياسية هذه الخلافات التي تسبب
التوزع والتخاذل والتي تذهب بالجهود فيما لا
يفيد ولا يجدي . ولعل هذه خدمة جديدة
يقدمها المؤتمر للشرق . فيجمع البوذي
والهندوكي والمسلم والمسيحي معاً في صعيد
واحد ، ويرسم لهم جميعاً مثلاً أعلى مشترك
تتجه اليه الجهود ويسعى لتحقيقه الشباب
وسينعقد المؤتمر في شهر فبراير القادم
بعد ان نظمت له رعاية في البلاد الشرقية كلها .

وبعد ان كوّنت لجان له تعمل باسمه في هذه
البلاد وتذيع دعوته وتوضح فكرته . على ان
هذه العناية نفسها ستأخذ صوراً مختلفة
حتى ينعقد المؤتمر

وستسعى اللجنة المركزية التحضيرية
للمؤتمر في مصر ، للحصول على امتيازات
كثيرة لاعضاء المؤتمر من شركات
النقل والملاحة ولدى مصالح السكك الحديدية
حتى يكون باب السياحة والتنقل مفتوحاً
للطلبة الشرقيين دائماً ، وحتى تكون وسائل
هذه السياحة مذللة ممهدة . وهذه اللجنة تستطيع
أن تظفر بالكثير لانها تتكوّن من سعادة
علي باشا ابراهيم نائب مدير الجامعة ومن
الدكتور منصور فهمي ، والاستاذ احمد امين
والدكتور عبد الوهاب عزام ، والدكتور عبد
الرازق السنهوري ، والدكتور علي مصطفى مشرفة
والدكتور احمد زكي ، والدكتور خليل عبد
الخالق وكلهم من كبار أساتذة الجامعة . والى
جانب هذه اللجنة لجنة من الطلاب تضم جميع
جنسيات الشرق . فهي في اجتماعاتها عصابة أم
شرقية صغيرة وقد انتجت اجتماعات هذه
اللجنة وجهودها حتى أصبح اسم مؤتمر
الطلبة معروفاً في سومطره وجاوه والهند
والصين وفارس ، بالقدر الذي هو معروف
به في مصر وسوريا والعراق

وسيدوم اجتماع المؤتمر ٦ أيام يبحث في
خلالها الموضوعات الآتية ١ - انشاء صحيفة
للطلبة الشرقيين تكون دورية وتكتب باكثر
من لغة شرقية ٢ - تنظيم ألعاب اولمبية دورية

درس الاشعة الكونية من ناحيتين: الاولى تحقيق الاختلاف في قوة الاشعة باختلاف الارتفاع . والثانية : تحقيق الاختلاف في قوتها باختلاف الاتجاه

اما نتائج البحث في الناحية الاولى فتتفق مع نتائج الاستاذ رجنر Regener وهي ان قوة الاشعة الكونية تزداد بالارتفاع ثم تقل زيادتها رويداً رويداً الى ان تصبح ثابتة فوق ارتفاع معين . اما البحث في الناحية الثانية فأسفر عن ان الاشعة الكونية لا تكثر في اتجاه معين دون آخر

وليس الاستاذ بيكار بمنفرد بين العلماء في درس هذه الاشعة . فالاستاذ مـايـكن الاميركي ما زال يوالي البحث فيها . كذلك الاستاذ كوهلرستر وهو من اوائل الذين كشفوا عنها . وكان ملكن قد ابان ان الاشعة الكونية لا تكثر فوق منطقة معينة على سطح الارض دون اخرى ولكن الاستاذ كـمـسـطـن الاميركي نظم رحلة علمية طوق بها الارض من الشرق الى الغرب ومن الشمال الى الجنوب لامتحان نتائج ملكن وقياس قوة هذه الاشعة في بلدان مختلفة فأسفر بحثه عن وجود اختلاف في قوتها في مناطق مختلفة وخصوصاً في الاشعة الضعيفة منها . وقد بعث برسالة الى المجلة الطبيعية (اول سبتمبر ١٩٣٢) قال فيها ان هناك ارتباطاً بين قوة الاشعة الكونية واتجاه مغناطيسية الارض . فهي اقوى في نواحي القطبين المغناطيسيين منها في نواحي اخرى . وقد

شرقية تشبه الالعب الاولمبية الاوربية ٣ - ايجاد اندية للطلبة الشرقيين في جميع بلاد الشرق ٤ - انتخاب يوم يسمى عيد الطلبة الشرقيين يحتفل به في جميع البلاد الشرقية احتفالاً شرقياً خاصاً ٥ - وضع برنامج خلقي اجتماعي يسير عليه الطلبة الشرقيون في بلادهم

وسيزور اعضاؤه متاحف مصر وآثارها ومعاهدها ويلقي عليهم كبار الاساتذة محاضرات في نواح من العلم والادب مختلفة . وعقب انتهاء ايام المؤتمر ستنظم رحلة للاعضاء في صعيد مصر فينزلون في عواصم المديريات كلها حتى يصلوا اسوان فيقيمون هناك يوماً او اكثر ويعيشون معاً عيشة كشافية بسيطة ثم يعودون الى القاهرة

مباحث جديدة في الاشعة الكونية

يعلم قراء المقتطف ان الاشعة الكونية ظاهرة طبيعية استرعت عناية العلماء في العهد الاخير . وقد والينا الكتابة في كل طريف عنها من سنة ١٩٢٦ الى الآن . وأحدث تاخيص لما عرف عنها نشرناه في مقالة «ارتداد طبقات الجو العليا» في مقتطف اكتوبر الماضي صفحة ٣١٧-٣١٩ وقد قلنا في نهاية تلك المقالة ان العلماء ينتظرون نتائج رحلة الاستاذ بيكار بفارغ الصبر

وقد انشأ الاستاذ بيكار في جريدة التيمس (٨ اكتوبر) مقالاً لخص فيه نتائج الارصاد التي قام بها في هذه الناحية فقال انه حاول

ايدُهُ في ذلك العالمان كلّاي وبرلاج في رحلة رحلاها من امستردام بهولنده الى بتافيا بجزيرة جاوه لقياس قوة الاشعة في مسير الباخرة التي استقلّاها. وهذا منتظر اذا كانت الاشعة الكونية من تيارات من الدقائق المكهربة السريعة لا من امواج قصيرة من قبيل امواج الاشعة السينية (X rays) ولكن اقصر منها . وثمة مباحث اخرى تدور حول هذا الموضوع الاخير ، ويبدو منها ان الاتجاه الآن الى حسابها دقائق مكهربة سريعة — كهارب او بروتونات — وهو مخالف لما كان يراه الاستاذ ملكن

أمن المواد

اتخذت ام الارض الذهب قاعدة للمعاملات التجارية . لذلك اذا اراد احد ان يعرب عن قيمة مادة ما قال «تعدل وزنها ذهباً» فاذا حاولنا ان نعين اعلى المواد وجب ان نحصر بحثنا في المواد التي تشرى وتباع في الاسواق الحرّة ، صارفين النظر عن الاشياء التي تستمد قيمتها من قدمها او طابعها الفني او علاقتها بالعلم كالتحف والآثار والصور والكتب النادرة وطوابع البريد والآلات العلمية المفردة

فاذا سرنا على ذلك وجدنا مواد كثيرة تعدل « اكثر من وزنها ذهباً » . ففي الاحوال العادية يبلغ ثمن البلاتين ثلاثة اضعاف الذهب وزناً بوزن . أما عنصر الاريديوم فيبلغ ثمنه ١٥ ضعف ثمن الذهب . وأما الماس

فثمنه يختلف باختلاف حجم الماسة ولونها وصفائها . فاذا اتخذنا سعر ثمانين جنيهاً للقيراط الواحد بلغ ثمن الاوقية نحو ١٢ الف جنيه . يقابل ذلك ٨ جنيهات لاوقية من البلاتين . فثمن الماس يفوق ثمن البلاتين ١٢٥٠٠ ضعف ويفوق ثمن الذهب نحو ٣٠٠٠٠ ضعف . ومن غرائب الازمة الاقتصادية الحالية ان سعر الماس كان اكثر ثباتاً من غيره من المواد الكيماوية . فسعر البلاتين قد هبط سعره خمسون في المائة وأما سعر الماس فلم يهبط سوى ١٠ في المائة

ولكن اعلى المواد التي تشرى وتباع هو عنصر الراديوم وما يحلّ محله مثل المزوثيريوم . فقد انقضت سنون وسعر الماغرام الواحد من الراديوم يتباين من عشرين جنيهاً الى ٢٥ جنيهاً . فاما اكتشفت مناجم الراديوم في بلاد الكونغو البلجيكية هبط سعر الماغرام الى ١٤ جنيهاً . والراجح ان هبوطه الى هذا الحد كان يقصد به مزاجمة مستخرجيه في الاقطار الاخرى . فسعر الاوقية يبلغ نحو ٤٠٠ الف جنيه فكأن ثمن الراديوم يفوق ثمن الذهب ١٠٠٠٠٠ ضعف وزناً بوزن . يليه في ذلك المزوثيريوم وثن الاوقية منه نحو ٣٠٠ الف جنيه

الحري الصناعي من الخيزران

تجرب التجارب في الهند الآن لصنع الحري الصناعي من الخيزران

زلزلة اليونان

حدثت زلزلة في بلاد اليونان في ٢٦ سبتمبر الماضي دمرت قرى كثيرة في خلقيديقه وكان مركزها في بحر ايجه على مقربة من شواطئ اليونان حيث يلتقي خط العرض ٣٩ بخط الطول الشرقي ٢٤ وقد دوت آثارها وآثار ما تلاها من الهزات في ادوات رصد الزلازل بالولايات المتحدة الاميركية

ويظن ان زلزلة من هذا القبيل كانت السبب في تدمير الحضارة الزاهرة التي نشأت في جزيرة كريت من نحو ثلاثة آلاف سنة ، ذلك ان كنوسس عاصمة كريت القديمة زالت من الوجود فجأة في سنة ١٢٠٠ ق.م على ان اطلالها كلها ومبانيها تشير الى ان زلزالاً كان سبب التدمير الذي حل بها. ولعل فعل الزلزال في تدمير المباني وقتل الناس بلغ درجة لم يتمكن معها الاحياء من ترميم المباني المدمرة واعادة حضارة المدينة سيرتها الاولى. ومن ثم توالى عليها القرصان والملاحون من مدن السواحل المناوحة والمجاورة فلم يستطع ابناء الجزيرة من صدّهم عن النهب

نجمة جديدة

اكتشف عالمان احدهما اميركي والاخر روسي نجمة جديدة لا يزيد قطرها على عشرة اميال وتكمل دورها حول الشمس في ٢٣ و ٢٠ من السنة فهي ثالثة النجيمات في سرعة دورانها حول الشمس. والنجيمات كما لا يخفى هي اجسام

فلكية صغيرة تدور حول الشمس بين فلكي المريخ والمشتري ويقال انها بقايا سيار تهشم ويبلغ عددها ١٥٠٠ نجمة
بكتيريا تعيش ٢٢ سنة

بين سنة ١٩٠٣ و ١٩١١ ازرع الاستاذ ويت (Waite) احد اساتذة جامعة نبراسكا الاميركية طوائف من ضرب خاص من البكتيريا في مادة مغذية ثم وضعها في انابيب وختم الانابيب ثم توفي الاستاذ ويت ولم تفتح الانابيب الا من عهد قريب فتحتها الاستاذ ومبر ديكن (Deacon) واجرى عليها تجارب متنوعة فوجدها لا تزال حية

تعليل زيادة اصابات السرطان

الباحثون في الاحصائيات الطبية مجمعون على ان اصابات السرطان في ازدياد مطرد. وتعليل ذلك ان الناس الذين يبلغون الآن بفضل وسائل الصحة العامة والطب الوقائي السن الذي يتعرض فيه الانسان للسرطان هم اكثر من الذين كانوا يبلغون هذا السن من قبل. وثانياً كانت طائفة كبيرة من الناس الذين يبلغون سن السرطان يموتون بامراض اخرى كالنزلة الصدرية وغيرها. ولكن نسبة وفياتهم الآن بهذه الامراض اقل جدا مما كانت قبلاً. فتعرضهم للاصابة بالسرطان يصبح مضاعفاً. وعليه فنقص الاصابات بالامراض العامة في الحداثة والشباب والكهولة يصحبه زيادة في اصابات السرطان

الجزء الرابع من المجلد الحادي والثمانين

صفحة	
٣٨١	تشية الحيوانات وتصنيفها
٣٨٥	شوقي . لمصطفى صادق الرافعي (مصورة)
٣٩٨	القضايا الاجتماعية الكبرى . للدكتور عبد الرحمن شهنندر
٤٠١	قبر شاعر (قصيدة) لعل محمد طه المهندس
٤٠٤	ارز لبنان ومغادرة قاديشا . للامير مصطفى الشهابي
٤١٠	قاهر البعوض . السر رنلد رُس (مصورة)
٤١٥	الحياة الاجتماعية في الحيرة . ليوسف رزق الله غنيمه
٤٢٢	مآثر الحضارة العربية . لقدري حافظ طوقان (مصورة)
٤٣٠	من الشعر الغربي . للدكتور ابراهيم ناجي
٤٣٢	وبعد تحطيم الذرة
٤٣٦	مولد المأساة . لحنا خباز
٤٤٠	مهاتما غاندي . لاسماعيل مظهر
٤٥٢	الجريمة والعقوبة . لفؤاد عنتابي
٤٥٦	شيخوخة جوته . للدكتور علي مظهر
٤٦١	الحياة والكهربائية
٤٦٤	البارون سلاتين باشا . لابرهم ديمتري (مصورة)
٤٧١	الحضارة الفينيقية . ليولس مسعد



٤٧٦	باب شؤون المرأة وتدير المنزل * ارشادات صحية لربات المنازل . احاديث صحية وطبية .
٤٨٤	الحكومات الاوربية وسياستها الطبية . التأمين ضد الامراض . المانيا تشكو كثرة الاطباء .
٤٨٨	باب الزراعة والاقتصاد * في الانتاج الزراعي
٤٩٧	مكتبة المقتطف * ميزان الاكوان ودولاب الزمان . ادب الجاحظ (مصورة) . قصص
	لرابندرانات طاغور . جماعة اخوان الصفا
	باب الاخبار العلمية * وفيه ٨ نبد